الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة السانية -وهران-
كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية
قسم الحضارة الإسلامية

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في التاريخ و الحضارة الإسلامية
تحت عنوان :

عبد الكريم الفكون القسنطيني
حياته و آثاره
(988هـ ـ 1073هـ)/(1580م ـ 1663م)

إعداد الطالب :
حسين بوخلوة

تحت إشراف الأستاذ :
الدكتور الجيلالي سلطاني

لجنة المناقشة:

أ-د عبد المجيد بن نعمية – رئيسا
أ-د الجيلالي سلطاني – مقررا
أ-د محمد معمر – مناقشا
أ-د جهيدة بوجمعة – مناقشا

السنة الجامعية 2008/2009

مقدمــــــــة :

شهدت الجزائر مع الدخول التركي إليها الكثير من التحولات السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية فمن الناحية السياسية أصبحت الجزائر دولة موحدة لها عاصمة واحدة و نظام سياسي موحد بعد أن كانت مجزأة إلى شرق يتبع الحفصيين و غرب للزيانيين ، و كثير من الإمارات المستقلة المتناثرة هنا و هناك ، أما من الناحية الإقتصادية فقد تطورت الجزائر تطورا ملحوظا حيث أشرفت الدولة على تنظيم الإقتصاد بإقامة الأسواق الداخلية و الخارجية و تحديد العلاقة بين السلطة و الرعية في هذا المجال ، و قد تم تدعيم الإقتصاد الجزائري بمصادر جديدة للدخل تمثلت فيما كانت تدفعه الدول الأوربية من ضرائب و أتواة لقاء السلم و التجارة أو لتحرير الأسرى ، أما من الناحية الثقافية فبالرغم من أن العثمانيين لم تكن لهم سياسة واضحة في التعليم إلا أنهم لم يقفوا في وجه تعلم الجزائريين مما إنعكس إيجابيا على الحياة الثقافية في البلد حيث نشطت حركة التدريس و التأليف في هذه الفترة

و لعل الحياة الإجتماعية هي الجانب الذي لا زال يكتنفه كثير من الغموض خاصة إذا علمنا أن الكتابات حول هذا الجانب إهتمت بمجتمع الجزائر العاصمة دون غيره من المجتمعات ، و من هنا تظهر أهمية دراسة شخصية عبدالكريم الفكون القسنطيني الذي عاش خلال القرنين العاشر و الحادي عشر الهجريين ، 16 و 17 الميلاديين و بالظبط خلال (هــ 988 – 1073هــ) (1580 م –1663م) أي حوالي نصف قرن من دخول الأتراك مدينة قسنطينة

إن مؤلفات الفكون تعطينا صورة حية عن الحيات الإجتماعية و الثقافية و حتى السياسية فيما يتعلق بالعلاقة بين السلطة التركية و مختلف فئات المجتمع القسنطيني و هذا في أبرز مؤلفيه) (منشور الهداية) و (محدد السنان) و خاصة أيضا لتنظرة التآليف خلال القرنين العاشر و الحادي عشر الهجريين .

إضافة إلى ما ذكرناه فإن هذا البحث يميط اللثام عن إحدى الشخصيات الهامة خلال هذه الفترة الحساسة من فترات تاريخ الجزائر ، فعبدالكريم الفكون هو العالم الرباني الذي جمع بين

الصلاح و إستقامة السيرة و بين التدريس و التأليف مع رفضه تولي مناصب سياسية لصالح الأتراك فكان بحق أحد أعلام قسنطينة و الجزائر عموما .

كما يمكننا هذا البحث من إبراز الطريقة التي إعتمد عليها العثمانيون لتثبيت سلطاهم في الجزائر كالإعتماد على العائلات الكبرى ذات النفوذ و من ذالك إعتمادهم على عائلة الفكون ذات النفوذ الواسع في قسنطينة ، إجتماعيا و إقتصاديا و دينيا ، و تقلدت مناصب هامة كالإمامة و القضاء و قيادة ركب الحج إلى أن ألغت سلطات الإحتلال هذا المنصب عام 1838 .

و يمكننا الموضوع من أن نرد على من يدعي أن العهد العثماني هو عصر الجمود العلمي خاصة في مجال العلوم الدينية ، كما يمكننا من تصحيح الإنطباع الذي قد يتركه لدينا طابع السلطة العثمانية العسكري و إنعكاس ذلك على الجانبين العلمي و الثقافي .

و من الذين درسوا هذا الموضوع الدكتور أبو القاسم سعد الله لكن ربما إستطعنا إضافة أشياء جديدة منها :

1- تكلمنا بشيئ من التفصيل على العصر الذي عاش فيه الفكون حتى تكون الصورة أوضح للقارئ و ذلك من النواحي السياسية و الإجتماعية و الثقافية لا في قسنطينة فحسب بل في الجزائر عموما .
2- الحصول على نسخة قسنطينية لمخطوط الفكون (محدد السناني) إظافة إلى مخطوط إبنه محمد بن عبد الكريم بعنوان (نوازل الفكون)
3- توفر بعض الدراسات الحديثة مثل دراسات المهدي شعيب و فاطمة الزهراء قشي .

على هذا لم يخلو البحث من صعوبات واجهتنا منها :

1- قلة المادة العلمية لندرة المصادر خاصة فيما يتعلق بالحياة الشخصية للفكون إلا بعض الإشارات المتناثرة هنا و هناك بين مؤلفاته .
2- وجود جزء كبير من المعلومات حول شخصية الفكون وعائلته منشورة باللغة الاجنبية مع ضرورة ترجمتها

3- مشاق السفر إلى قسنطينة ذهابا و إيابا .

قسمنا البحث إلى ثلاثة فصول أما الفصل الأول فخصصناه لدراسة العصر الذي عاش فيه الفكون من الناحية السياسية و الإجتماعية و الثقافية و تناولنا أوضاع الجزائر قبيل الدخول التركي حيث أشرنا إلى ضعف الدولة الحفصية في الشرق و الزيانية في الغرب و تكالب الصليبيين على البلاد الإسلامية و هو ما عجل بظهور الترك بزعامة عروج و خير الدين الذان كان لهما الفضل في بداية تثبيت الحكم التركي في الجزائر ثم تتبعنا أهم الأحداث التي شهدتها البلاد خلال المراحل المختلفة في هذه الفترة إلى غاية سنة 1663 م التي توفي فيها الفكون . فتكلمنا عن مرحلة البايلربايات حيث خلال هذه الفترة إستكمال السيطرة العثماني على الجزائر بما في ذلك قسنطينة كما تعرضنا إلى أهم الأحداث التي مرت بها الجزائر خلال هذه الفترة أهمها التدخل العثماني في تونس عام 1574 م و إنهاء الدولة الحفصية و ظم تونس إلى الدولة العثمانية كما تناولنا التدخل العثماني في شؤون المغرب الأقصى ، منها حملة 1576 بقيادة علج علي و مجاعتي 1578-1579 م اللتان ضربتا الجزائر مما جعل الدولة العثمانية تلغي نظام البيلر بايات و تعوضه بنظام البشوات حيث أصبح الباشا يتمتع بنفوذ واسع و يحكم لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد كما تطرقنا إلى تزايد نفوذ الإنكشارية داخل النظام الحاكم في الجزائر حيث قاموا بثورة سنة 1629 و قتلوا الحسين باشا لتأخره في دفع الأجور كذا الثورة الشهيرة التي قام بها الكراغلة عام 1630 م من أجل السيطرة على الحكم لكنها كانت فاشلة كذا تمرد الإنكشارية ضد إبراهيم باشا بسبب تأخير الأجور حيث سجنوه و ألغوا نظام البشوات و حل محله نظام الأغوات لكن هذه الفترة ستكون بالفوضى و الإضطرابات و الإغتيالات السياسية و من ذلك إغتيال خليل آغة قائد التمرد نفسه .

كذا الإضطرابات في العلاقات الجزائرية الفرنسية التي كانت تتراوح بين مد و جزر خاصة ما تعلق بالإمتيازات الفرنسية بالشرق الجزائري و استخدام ورقة الدولة العثمانية للضغط على

الجزائريين إضافة إلى الحملات الأجنبية كالحملتين البريطانية و الهولندية عام 1655 الفاشلتين.

كما تعرضنا أيضا إلى تزايد القوة البحرية الجزائرية خاصة خلال القرن السابع عشر بعد أن تطعمت بالخبرة الأوربية و الأندلسية، حتى وصل تمهيدها غلى أقاصي البلاد كإسلندا وبريطانيا.

كما تعرضنا في هذا الفصل للمجتمع الجزائري حيث تحدثنا عن العوامل المؤثرة فيه كالوجود العثماني و الهجرات الأندلسية، إضافة إلى الحالة الصحية والمعايشة، و حدد أهم الفئات التي كانت تشكل المجتمع الجزائري، الذي كان ينقسم عموما إلى سكان المدن و سكان الأرياف، و تكلمنا بشيء من التفصيل حول مجتمع قسنطينة سواءا مجتمع المدينة أو مجتمع البايلك فحددنا فئاته، و تعرضنا لبعض مظاهر الحياة فيه.

كما تعرضنا للحياة الثقافية في الجزائر عموما، حيث تطرقنا إلى العاصمة و تلمسان كنموذج، و تطرقنا للواقع الثقافي في قسنطينة بنوع من التفصيل، حيث ذكرنا التأثير التونسي غلى الحياة الثقافية إضافة إلى تأثير عوامل أخرى كتوفر المدارس، المكتبات و وجود فئة العلماء وطلبة العلم.

أما الفصل الثاني فقد تناونا فية التعريف بالشيخ الفكون من حيث مولده و نسبه و العوامل المؤثرة في ثقافته، كما عرّفنا بعائلة الفكون المتجذرة في التاريخ و تكلمنا أيضا عن مكانة الفكون، و كذا الوظائف التي أسندت له و الامتيازات التي منحت لعائلته في الفترة التي عاش فيها، كما حاولنا إماطة اللثام عن جوانب لشخصية المكون فحددنا موقفه من السياسة و من التصوف، أما الفصل الثالث فقد خصصناه لدراسة ما خلفه الفكون من مؤلفات، و مراسلات سواءا بعلماء الجزائر أو غيرهم في العالم الإسلامي.

و قد أنهينا البحث بخاتمة ذكرنا فيه أهم ما توصل إليه.

و قد اعتمدنا في سبيل إنجاز هذا البحث على جملة من المصادر و المراجع المهمة، منها مؤلفات الفكون و التي من بينها:

1-منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم و الولاية و هو واحد من أهم تأليف الفكون التي حققها الدكتور سعد الله، حيث أنهى الوؤلف كتابته بعد سنة 1045هـ وتناول فيه تراجم لشخصيات صنفها على ثلاثة فصول، العلماء ثم أدعياء العلم للوصول إلى المناصب و أخيرا الدجاجلة الكذابين.

2-محدد السنان في نحور إخوان الدخان و هو مخطوط قسنطيني يقع في 29 ورقة إنتهى الفكون من تأليفه عام 1025هـ قد عالج هذا الكتاب ظاهرة التدخين و أعطانا صورا عن الحياة الاجتماعية و الاقتصادية بقسنطينة.

3-فتح الهادي في شرح الجرادي مخطوط يقع في 34 ورقة عبارة عن تقييد على نضم أبي عبد الله الجرادي و قد أنهى تأليفه في شهر أو يزيد سنة 1038هـ.

4- كتاب نوازل الفكون لابن المترجم له محمد الفكون المتوفي عام 1114 هـ، و هو عبارة عن مخطوط يقع في 295 ورقة، لم يذكر تاريخ الانتهاء من كتابته و هو عبارة عن فتاوى لنوازل تعطينا إشارات عن الحيات السياسية، الاجتماعية، الثقافية و الاقتصادية خلال هذه الفترة في قسنطينة.

كما اعتمدنا على جملة من المصادر التي تحدثت عن أوضاع قسنطينة خلال العهد الحفصي منها كتاب ابن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان، و كتب ابن قنفذ القسنطيني: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، و الحلل السندسية للوزير السراج.

تعريف الخلف برجال السلف، و نشير إلى ان الحفناوي التبس عليه الأمر بين الجد و الحفيد.

إضافة كتاب القادري : نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر و الثاني و الرحلة العياشية للعياشي الذي أعطانا تعريفا للفكون و مختصرات عن بعض مؤلفاته ، و كتاب المقري نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب .

أما فيما يخص أوضاع قسنطينة فقد غعتمدنا على كتاب محمد الصالح إبن العنتري : فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة و سيطرتهم على أوطانها و رغم أن الكتاب يغطي فترة وجيزة من الفترة التي عاش فيها الفكون إلا أن الدكتور المحقق يحي بوعزيز تدارك هذا النقص و أضاف جزءا يتحدث عن الفترة السابقة للباي فرحات و يمكننا أن نضيف مصادر أخرى مهمة : كتاب وصف إفريقيا للوزان و كتاب التاريخ للعدواني ، و الكتابات الفرنسية منها كتاب تاريخ قسنطينة لفايسات و البحوث المنشورة في مجلتي : المجلة الإفريقية ، و المجلة الإجتماعية و الأثرية لقسنطينة .

أما فيما يخص المراجع العربية فقد إعتمدنا على كتاب الهادي شعيب (أم الحواضر في الماضي و الحاضر) حيث تكلم عن التاريخ السياسي و الثقافي لقسنطينة في فترات زمنية مختلفة و ترجمة للكثير من الأعلام ، و يشبه كتاب سليمان الصيد نفح الأخبار عن ما في قسنطينة من الأخبار . و قد أشار المؤلف نسخة من ديوان الفكون في المكتبة الوطنية بتونس إضافة إلى الكتابات القيمة لكل من أبو القاسم سعد الله و ناصر الدين السعيدوني و فاطمة الزهراء قشي .

و لا ننسى كتاب المؤرخ الإسباني ديغو دي هايدو : تاريخ ملوك الجزائر و التاريخ العام للجزائر . رغم أن هايدو كان سجينا خلال الفترة التي مكث فيها بالجزائر إلا أن قلة المصادر تجعل ملاحظاته هامة جدا فيما يتعلق بتاريخ الجزائر خلال هذه الفترة .

أخيرا نقول ان هذا البحث هو خطوة متواضعة لطالب مبتدئ من أجل إماطة اللثام عن شخصية هامة عاشت خلال هذه الفترة الحساسة من تاريخ الجزائر و المساهمة و لو بشيئ بسيط في توضيح صورة الحياة السياسية و الإجتماعية خلال هذه المرحلة ، و الله الموفق .

الفصل الأول:

عصر عبد الكريم الفكون

المبحث الأول: الأوضاع السياسية

1- أوضاع الجزائر قبل الدخول التركي:

ظلّت قسنطينة تابعة للدولة الحفصية حيث أولاها الحفصيون إهتماما بالغا إذ كانت ملجأ للمنتفضين ضد سلطات تونس، وكذا موقعها على حدود السلطنة الحفصية من الجهة الغربية.

وقد فقدت الدولة الحفصية خلال القرن الثامن الهجري بريقها وقوتها لعدة أسباب من بينها القتال حول العرش بين الأمراء الحفصيين والهجمات المتكررة من جيرانهم الزيانيين وبني مرين أو القبائل العربية التي كانت تستترف قوة الحفصيين، لأن هذه القبائل كقبيلة الذواودة مثلا والمتفرعة من رياح الهلالية، كانت ترفض ما يتوجّب عليها من مغرم فلجأ الحفصيون إلى محاربتها، فقد أنفق أبي العباس الحفصي 80 ألف دينار على حربه ضد الذواودة عام 792هـ.[1]

وبلغ اضطراب الدّولة مداه بعد وفاة السلطان أبي عمرو عثمان، حيث زالت هيبة الدولة فبعد تولي السلطان أبو زكريا بن محمد المسعود خرج إلى المحلة حسب العادة فهربت جماعة من الجند وأخبروا أن المحلة أخذتها الأعراب وأن السلطان مات، ومن غد جيء برأسه فوضع على رمح فطيف به واستبد بالملك بن عمه أبو محمد عبد المؤمن وجيء بجثة أبي زكرياء وكان ذلك ملفق فالسلطان أبي زكرياء كان لا يزال حيا، فاستقر بملكه وجيء برأس أبو محمد عبد المؤمن وطيف به، وكفى الله المؤمنين القتال. ورجع إلى حضرته بتونس وتولّى إلى سنة 899هـ، وخلفه محمد بن الحسن بن محمد المسعود، وقد جرت بينه وبين الأعراب عدة وقائع حتى هزموه على القيروان ورجع منهزما إلى تونس في ثمانية خيول.[2]

وهناك انقطع الخبر وعمي الأثر وطُويت صفحات أخبار العلماء بما حلّ بالحضرة في المائة العاشر من الفتن وتقلص ضل الدولة الحفصية عنها وتجاسر عليها الثوار من كل جانب، وتناقّصت أطرافها وأجلبت الأعراب عليها[3]. ولما تولى السلطات الحسن بن محمد (1533-1542).[4]

---

[1]ابن القنفذ القسنطيني: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية تحقيق محمد الشاذلي النيفر الدار التونيسية للنشر، تونس 1968، دون رقم الطبعة، ص 187.

[2] محمد بن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تونس، 1967، دون معلومات حول الطبع، ص 160.

[3] أحمد بن أبي الضياف، اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1967، دون رقم ط، ج7، ص ص 61، 62.

[4]مولود قايد، البربر عبر التاريخ من الكاهنة إلى العهد التركي، منشورات ميموني، الجزائر 2007، دون ر ط ، ص 236.

أبطل المكوس وأجرى الناس على عادة جده عثمان وأحسن السيرة إلا أنه ضرب في حديد بارد ومخالسة أمل شارد.[1]

خلال القرن 16م فقد السلطنة الحفصية جزءا كبيرا من أراضيها فالسلطان أبو العباس عبد العزيز ملك بجاية في صراع حاد مع أخيه أبي بكر حاكم قسنطينة لأن هذا الأخير طمع في حكم بجاية التي كانت تقاومه بشدة حتى استطاعت قوات بجاية اقتحام قسنطينة لكن الإسبان باغتوه باحتلال المدينة.[2]

أما القل فسكانها عاشوا متحررين لأنهم لم يفتأوا يدافعون عن أنفسهم ضد ملك تونس وأمير قسنطينة.[3]

أما مسيلة ففلاحوها فقراء بسبب جيرانهم الأعراب الذين يسلبونهم مداخيلهم وملك بجاية أثقل كاهلهم بالضرائب[4] ، أما عنابة فأهلها شرسون إلى حد أنهم لا يرضون فحسب بقتل حاكمهم بل يتجرؤون بالتهديد بتسليم المدينة إلى النصاري إذا لم يرسل إليهم حكاما منصفين مستقلين.[5]

أما جيجل فكانت مستقلة قبل أن يسيطر عليها الجنويون فقد حافظ هذا القصر دائما على حريته بالرغم عن ملوك بجاية وملوك تونس لأنه لا يستحيل حصاره.[6]

وهناك مشيخة الجزائر، وسلطنة كوكو التي كان يحكمها بن القاضي وهي القسم الغربي من القبائل الكبرى وإمارة بني جلاب التي استقرت بتقرت وكانت واحات وادي ريغ الواقعة بين بسكرة وبليدة عمار في أقصى جنوب تعيش مستقلة متطاحنة[7] ، أما ورقلة فكان لها ملك مشرف كالملك يعين نحو 1000 فارس من حرّاسه ويجبي من إمارته 100 ألف مثقال.[8]

---

[1] بن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان، ج7، ص 242.

[2] صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي، (1514-1830)، دار هومه الجزائر، 2005، ط1، ص 10.

[3] الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقية، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي بيروت، الشركة المغربية للناشرين المتحدين الرباط، ط2، 1983، دون ر.ط، ج2، ص 54.

[4] الحسن بن محمد الوزان: وصف إفريقية، ج2، ص54.

[5] المصدر نفسه، ص 61.

[6] صالح عباد: مرجع سابق، ص 19.

[7] أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة عام بين الجزائر واسبانيا (1493-1792) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ط2، 1976، ص 95.

[8] الوزان: وصف إفريقيا، ج2، ص 137.

وقد زاد تأثير القبائل العربية على الأوضاع، فملك ورقلة كان يؤدي إليهم خراجا مرتفعا كذلك كان يفعل أهل ميزاب، و لم تكن إمارة تقرت تحافظ على وجودها، إلا بموافقة العرب الذواودة الذين كانوا يمارسون

سلطانهم على الصحراء من الزيبان إلى ورقلة، ولما ظهر الأتراك على مسرح الأحداث كان الذواودة يسيطرون على قسنطينة وكان بإمكانهم جمع 10 ألاف فارس، يمتد نفوذهم من قسنطينة إلى قرب بجاية.[1]

حقق الحراكة العديد من الانتصارات على العرب الشابية وشكلوا جمهورية مستقلة بهم وفعل الحنانشة نفس الشيء أما قبيلة النمامشة فضلت مستقلة تجوب مناطق الحدود وبين وادي سوف وتبسة.[2]

لم تكن الجبهة الغربية أحسن حال من الجهة الشرقية فالزيانيون كانوا يعانون من ضعف كبير أواخر عهدهم، خاصة بعد سيطرة الإسبان على الأندلس الإسلامية، فقد دخل الزيانيون تحت الحماية الإسبانية، خاصة زمن السلطات الزياني أبي عبد الله محمد الذي التقى فرناندوا وقدّم إليه الهدايا الثمينة ووعد بالخضوع والطاعة.[3]

أمام هذا الاضطراب ظهرت الهجمة الصليبية الإسبانية بشكل واضح فقد إحتلوا المرسى الكبير عام 1505، وألحقوه بمدينة وهران عام 1509م واحتلوا بجاية عام 1510م، وقبلت تنس ودلس وشرشال ومستغانم دفع الإتاوة، وسلّمت الجزائر إلى بيدروا نفاروا إحدى الجزر الصغيرة (برج فنار) فأقام به حصنا عسكريا على بعد 300م من الميناء.[4]

2- أوضاع الجزائر في فترة البايلر بايات:

أمام هذا الوضع لم يجد الأهالي سوى الاستنجاد بالأتراك ممثلين في الأخوين عروج وخير الدين. فلبّا الدعوة وتمكنا من طرد الإسبان من جيجل التي كانت منطلقا للسيطرة على الجزائر، باستثناء وهران التي تأجل تحريرها إلى 1792.

[1] صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي، ص ص 13/12.

[2] نفسه، ص 15.

[3] عثمان الكعاك: موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، تقديم ومراجعة مجموعة من الأساتذة، دار الغرب الإسلامي لبنان ط1، 2003، ص 239.

[4] شارل أندريه جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية من الفتح الإسلامي إلى 1830 ترجمة محمّد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر ط2، 1983 ج2، ص 324.

في سنة 1521 تمكن خير الدين من السّيطرة على القل ثم عنابة وقسنطينة عام 1522 ووضع حاميات من الإنكشارية قدرها 200 جندي في المدينة الأولى و600 جندي في المدينتين التاليتين، يرأسهم ضباط يسمون العسكر.

كان قائد حامية قسنطينة يسمى يوسف، حيث أُعطي الحرية في اتخاذ السياسة التي يراها ملائمة مع السكان وحثه خير الدين على تحسين علاقاته بالسكان، خاصة وأن قسنطينة يصعب تموينها من البحر، ويتحتم تموينها عبر الأسواق المحلية، لذا ربط القائد يوسف علاقة جيدة مع الشيخ الفكون (الجد) الذي مكّنه من الاتصال بأولاد يعقوب الذواودة الذين يتحكمون بمناطق واسعة بقسنطينة، وتعهدوا بتزويد الأتراك بالمؤن مقابل الحصول على البارود بصفة كافية.[1]

بعد انسحاب خير الدين من تونس عقب استنجاد الحسن الحفصي بشارل لكان عام 1535 عرجت قواته على قسنطينة لكنها مُنعت من الدخول فتدخّل القائد يوسف والشيخ الفكون وأقنعوا الجيش بالتمركز خارج المدينة والحصول على ما يكفيهم من المؤن، وعندما عُين حسن أغا ساردوا قبطانا على البحرية العثمانية خلفه حسن قورصو بايلر بايا على الجزائر وقد وضع عدة حاميات تركية في أماكن مهمة بقسنطينة ما بين 1541/1540 وفي زمورة، برج بوعريج، مسيلة، بويرة، لقد لعب الصراع بين القبائل دورا بارزا في عدم استقرار الترك بالمنطقة وأخيرا توصلت الأطراف المتنافسة إلى حل بأن يستقر الحنانشة شرق البلاد والذواودة غربها، وتم تعيين بوعكاز بن عاشور على الذواودة شرق قسنطينة وعبد العزيز من قلعة بني عباس على مجانة عام 1542. [2]

لما تولّى صالح رايس (1552-1556) قام بحملة عام 1552 ضد تقرت ورقلة حيث استعان ببني عباس، كما استرجع بجاية من الإسبان في 1555 وقد طلب سلطان بني عباس من صالح رايس السماح له بأن يوسع نفوذه في الشرق لكن صالح رايس رفض فهاجم عبد العزيز

[1] محمّد الصالح بن العنتري: فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها مراجعة يحيى بوعزيز، ديوان، المطبوعات الجامعية، الجزائر دون ر.ط. 1991 ، ص 27 . وقد جرى الخلاف حول تاريخ دخول الترك قسنطينة ففايسات يقول أنه بدأ عام 1517 بشكل مؤقت وبداية من 1537 بعد عودة خير الدين من تونس بشكل فعال. أما ميرسي فيقول أنه بين 1519-1522 أما ابن العطار فيذكر تاريخ 1528، وليمبري عام 1526 أما بن العنتري فيتأخر ويجعله عام 1640، أنظر نفس المصدر ص 06.

[2] محمّد الصالح بن العنتري: فريدة منسية ص 28.

الحاميات المذكورة سابقا وقامت بينهما حروب طاحنة، ولما عاد حسن ابن خير الدّين إلى السلطة تزوج من إبنة كوكو ولد القاضي وواصل الحرب ضد بني عباس إلى أن أجرى الصلح بينه وبين أحمد أمقران أخو عبد العزيز الذي قتل زمن صالح رايس.[1]

عمل حسن خير الدين على تضخيم جيشه بفرق من القبائل والأندلسيين وهو ما رفضه الإنكشارية فأُخذ مكبّلا إلى استنابول لكنه أقنع البابا العالي ببراءته وعاد لقيادة الجزائر من جديد عام 1562، حيث قام بتنظيم إدارة البلاد بأن قسّمها إلى أربع مقاطعات: دار السلطان وقاعدتها العاصمة، تيطري وعاصمته المدية، بايلك الشرق العاصمته قسنطينة وبايلك الغرب وعاصمته مازونة.[2]

إن منح حسن باشا إقليم قسنطينة إدارة خاصة (بايلك) في 1567 لم يرضي أعيان قسنطينة، فلما وقعت مناوشات بين أحد الأعيان وجندي إنكشاري تدخل أشخاص آخرين وعمت الفوضى واندلعت المواجهات بين الطرفين، فأرسلت الجزائر محمّد آغا ابن صالح رايس الذي أعاد الهدوء للمدينة، لكن بعد أعمال التخريب والقمع والإعدامات في حق 50 رجل ومعاقبة الثائرين بمصادرة أموالهم، وفرض تعويضات على المدينة[3].

يرى هايدوا أن الثورة كانت بسبب انتهاك حرمة فتاة جميلة بينما يرى التّر[4] أنها بتحريض من الحفصيين[5].

في نفس سنة 1567 عين رمضان تشولاق باي (1567-1574) على قسنطينة وقد تقرر تكوين وفد إلى الجزائر (البايلرباي محمد بن صالح رايس) الوفد يتكون من الشيخ عبد الكريم الفكون

الجد، والمفتى عبد اللطيف المسبح وعدد من الأعيان[1]، فلما انصرفوا خلع القسنطينيون البيعة وصادفهم خبر ذلك بعد استقرارهم بدار السلطنة المذكورة وبعد أن قضوا مآربهم وما بُعثوا من أجله وفرح بهم

[1] المصدر نفسه، ص 29.

[2] عبد الرحمن جيلالي: تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط7، 1994، ج3، ص ص 94/93.

[3] Mouloud Gaid: Chronique des beys de Constantine, office des publications universitaires, Agerie, p 10.

[4] Diego de HAEDO/Histoire des Rois D'Alger / T: Henri de grammont/ edition grand-Alger livres 2004 p 271.

[5] عزيز سامح التر: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، دار النهضة العربية بيروت لبنان، ط1 1989، ص ص 222/221.

الأمير فرحا كبيرا، وأحلهم دار الكرامة وأنزلهم مترلة قُربى، فأتاهم الخبر بما أحدثه أهل البلدة بعدهم من نهب للدور وخلع ربقة البيعة من أعناقهم ففرّوا من دار السلطنة قاصدين زواوة فبعث في إثـــرهم وسجنهم ثم تبصر فلم يرى لهم وجها لذلك فأطلق سبيلهم بعد اعتذار منهم عن فرارهم المذكور[2].

عزل محمّد بن صالح رايس وعين بدله علج علي بايلر بايا عام 1568 وقد إشتهر علج علي بمحاولاته لإنجاد المسلمين في الأندلس ونقله لحوالي 100 ألف منهم إلى المغرب الإسلامي وفتحه لجزيرة قبرص عام 1570، كما أشرف على تجنيب الأسطول الجزائري كارثة حقيقيـــة بعـــد انهـــزام التحـــالف الإسلامي أمام التحالف المسيحي في معركة ليبانطوا عام 1571 [3].

خلال هذه الفترة قام بعض العصاة باختطاف الشيخ عبد الكريم الفكون والمفتي عبد اللطيف المسبح، وجد الفكون للأم مزوار الشرفاء إذ ذاك وقائد جيش البلد، فمسكهم الأعراب المتغلبة علـــى البلد، واختلى الشيخ يدعوا عليهم فما لبثوا أن استأصلهم العباسي (وهم قوم من المتلصصة)[4].

في سنة 1574 تمكن علج علي من استرجاع تونس والقضاء على الدولة الحفصـــية وطـــرد الإسبان من حفص لا قولات وأسر السلطان الحفصي مولاي محمّد وقائد الحصن الإســـباني قـــابريو سربلوني وأرسلا إلى إستانبول[5].

في سنة 1574 غزى النصاري مدينة عنابة واحتلوها فاستدعي رمضان وعيّن بدله جعفـــر باي 1574-1588، أحرز على علاقات جيدة مع مواليه فدعّم حاميات جنوده من الانكشـــاريين وفرسان المخزن، كما دعّم حملات علج علي ضد سلطان المغرب (1576) فقـــد عـــزم مـــولاي عبدالملك الذي كان يعيش بالجزائر طلب المساعدة من إستانبول لاستعادة عرشه فوافق السلطان على ذلك وأعطى الأمر للقائد رمضان، فتحركت القوات الجزائرية نحو فاس والتي كان عليها مولاي أحمد الأسود أخ

---

[1] بن العنتري : فريدة منسية، ص 30.

[2] عبد الكريم الفكون: منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تحقيق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإســـلامي بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص 48.

[3] R.Reda Et Chiali l'epopee de EULDJ-Ali Rais, le grand Keletch Ali pacha (1507-1587), edition dahlab, Algerie P.P. 56.57.59.71.

[4] عبد الكريم الفكون: مصدر سابق، ص 49.

[5] Etchali; IBID. P: 91.

عبد الملك، استطاعت القوات الجزائرية دخول فاس وإجبار الأمير محمد على التقهقر إلى طنجة وطلب المساعدة من الملك البرتغالي سبستيان ووقعت المعركة الشهيرة بمعركة القصر، قتل الملكان محمّد وسبستيان في وادي المخازن[1] كما قتل عبد الملك وخلفه أخوه الأمير محمّد[2].

خلال سنتي 1578-1579 تعرضت الجزائر لفترة جفاف وقحط شديدين فعم الجوع مختلف المناطق[3] في سنة 1579 مات بالجزائر حوالي 5656 شخص خلال شهر واحد وقام الإنكشارية بنهب المنازل وعمت الفوضى مختلف المناطق حاول البايلرباي حسن فتريانو الذي تولى عام 1577 أن يخلق مصادر جديدة للأموال فاستولى على العبيد الذين كانوا ملكا للرياس وحتى سبقته وهو القائد رمضان وفرض لنفسه نسبة من الأرباح على غنائم البحر واحتكر شراء القمح لنفسه كما نشطت عمليات القرصنة في عهده سواء من قبله أو من طرف قراصنة آخرين خاصة مراد رايس، فقد هاجموا سواحل إسبانيا واستولوا على كثير من الغنائم[4] قام الإنكشارية بتحرير شكاوي ضد حسن فتريانوا وأرسلوها مع وفد لإستانبول فأرسل جعفر باشا للتحقيق لكن الرشوة التي دفعها علج علي لجعفر باشا ووالدة السلطان العثماني حالت دون إقامة العدل[5] . في سنة 1580 وعندما خلف جعفر باشا (1582/1580) حسن فتريانوا على رأس الجزائر قام باي الشرق الذي يحمل نفس الاسم بزيارته مع أعوانه محملا بالهدايا لأعضاء الديوان فقد قدم ابن أمير بن عباس ومعه 60000 روبل ذهبية قدرها 2400 ريال ذهبي إسباني، 400 جمل، 1000 خروف.[6]

3- الجزائر خلال فترتي الباشوات والآغوات

ألغت الدولة العثمانية منصب البايلر باي ولجأت إلى تعين باشوات يديرون أمر المقاطعات كما أنشأت ثلاث آيالات هي الجزائر تونس وطرابلس على كل منها باشا وقد تمتع هؤلاء بإمتيازات واسعة كحصولهم على نسب من الغنائم والعبيد ومراقبة المداخيل المالية والهدايا وقد حددت مدة التعيين ثلاث سنوات وكان لقصر هذه المدة آثار سيئة على أداء هؤلاء الباشاوات.

1 Haedo, Histoire des rois d'Alger. Pp. 169.172.

2 أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة عام، ص 407.

3 التر، الأتراك العثمانيون، ص 258.

4 Haedo: op. cit, pp. 180.185.

5 Ipid: p 192.

6 Gaid, chronique du Beys de costantine. P 14.

أستدعي جعفر باي لمهام أخرى عند السلطان وخلفه محمّد بن فرحـات بـاي (1588-1608) وهو من نبلاء قسنطينة سلك نفس سياسة من سبقه فيما يخص التقـرب مـن العـائلات الكبرى، القائمة على المسالمة[1] لكن بعض القبائل الأساسية لم تدفع الضرائب في الوقت المحـدد ممـا صعب دفع أجور المليشات وتحصيل مصاريف الحملات التي يقوم بها الباشا فعندما تولى خضر باشـا (1582-1589) شدد على باياته لاستنفاد سلطاتهم ليتم دفع الضرائب من طرف الجميع في أسرع وقت ممكن، وقد بلّغ بن فرحات باي هذا الأمر لشيوخه وخلفائه لكن بعضهم اعتبروا اللزمة مساس باستقلالهم فدفعها بانتظام يعني لهم المهانة والإذلال[2] ومن هؤلاء أولاد مقران بمجانة الـذين أعلنـوا الحرب عليه فاستنجد بالباشا بالعاصمة، فأرسل إليه مساعدات عسكرية ثم من خلالها إجبارهم على دفع تعويضات عن الحرب مع الاحتفاظ بامتيازاتهم وقد تواصلت بين محمّد بن فرحات والمقـرانّيين الذين متّنوا صِلاتهم بابن القاضي أمير كوكو وتحالفوا معه وأخذوا يهددون مدينة الجزائر مثـل مـا هددوا باي قسنطينة من الناحية الشرقية، أرسل الباشا بالجزائر العاصمة قوات كافية قادهـا الآغـا مصطفى ولاحق المتمردين إلى سفوح الجبال جرجرة وأطراف البيبان، وفي عام 1596 أُبرمت هدنة مؤقتة سرعان ما نُقضت من قبل الباشا مصطفى (1596/1599) وقام الباي محمّد بـن فرحـات بالزحف من الشرق والآغا مصطفى من الوسط ضد عمر بن القاضي و لم تنتهي هذه الحروب إلا بعد أن رحل مصطفى باشا وحل محله خضر باشا للمرة الثالثة[3] مات أمقران عام 1595 وخلفـه ابنـه ناصر ثم عوض بابنه بتكه بعد وفاته وهو الذي سوف يشارك في انتفاضة الشرق الجزائري ضد مـراد باي[4].

أصبح الانكشارية أكثر تأثيرا في النظام السياسي بالجزائر فقد اختلقوا فتنة خضر باشا وأبلغوا استانبول أنه يريد القضاء عليهم وتشكيل جيش من الأهالي لإعلان استقلاله بالجزائر فعُـزل وعـيّن مكانه مصطفى باشا الذي عجز عن تمرد زواوة فعزل وسجن باستانبول وعين مكانه حسن بوريشـة عام 1599 [5].

[1] ابن العنتري: فريدة منسية، ص 32.

[2] Gaid, chronique du Beys . p 14.

[3] ابن العنتري: فريدة منسية، ص 33.

[4] صاح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي، ص 108.

[5] التر، الأتراك العثمانيون، ص 310.

عين خضر باشا للمرة الثالثة عام 1604 أبرم السلطان العثماني محمّد الثالث معاهدة لامتيازات مع الملك الفرنسي هنري 04 عام 1597 تم الاعتراف بامتيازات التجار الفرنسيين بالجزائر فغضب الديوان ورفض قبول ذلك وأمر الباشا خضر، باي قسنطينة محمّد بن فرحات بتحطيم وتهديم الباستيون الفرنسي في ساحل القالة، لأن المرسيليون كانوا يسمحون للأجانب برفع الرّاية الفرنسية على المراكب الأوربية، كما أن الباستيون كان يشرف على شراء القمح الذي كان من المفروض أن يطعم الجزائريين ويقوم بتصديره إلى فرنسا، وبعد احتجاج الفرنسيين أرسلت استانبول الباشا محمّد كوسا الذين ألقى القبض على خضر باشا وأعدمه عام 1603 وأُبرمت معاهدة مع هنر الرابع تمنع استرقاق الفرنسيين أو مصادرة بضائعهم وسفنهم[1].

خلال 1603/1602 حصل وباء بالطاعون بقسنطينة وقتل خلق كثير ثم حصل قحط وجفاف توال لـ 09 سنوات كاملة أدى إلى حصول مجاعات قتلت كثير من الخلق.

في عام 1607 نظم الدوق الأعظم لتوسكان حملة تظم 14 سفينة و2000 رجل تحت قيادة بيكوا ليميني أنزلت بعنابة فلم تتمكن الحامية التركية بالتصدي لها. وفي اليوم الموالي وصل باي قسنطينة على رأس قواته وتمكن من فك الحصار عن المدينة، لكنه توفي متأثرا بجراحه وبعد أيام غادر العدو المدينة حاملا معه كثير من الأسرى، اهتم قائد القصر رجب بن حسين بالأمر حيث أعاد الوضع إلى طبيعته ثم توجه نحو قسنطينة أين إستقبل الباي الجديد حسان باي 1608-1622 [2]. في عهد هذا الداي تم إبرام معاهدة ضبط الحدود مع تونس عام 1614 حيث حددت بوادي سيراط[3].

سنة 1617 عقدت اتفاقية مع فرنسا لتبادل الأسرى ولما تبين أن عدد الفرنسيين كان قليل مقارنة بعدد الأتراك ثار السكان ورفضوا ترك الفرنسيين يمتطون البواخر، وعزم الرياس توجيه حملة ضد الباستيون في القالة وعنابة ولكن السلطان العثماني رفض ذلك، وعزل الباشا بالجزائر وبقي حسان باي في مركزه حتى حدث وباء الطاعون عام 1622 بقسنطينة فمات به هو وغيره وخلفه مراد

[1] وولف: الجزائر وأوروبا، ص 247، أورد جمال قنال الامتيازات التي منحها العثمانيون للفرنسيين في 16 بند وهي امتيازات خطيرة تعطي نفوذا واسعا للفرنسيين سواء في أرض الدولة العثمانية أو المقاطعات التابعة لها أنظر د/ جمال قنان: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1830/1500 المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 1989. د.ط ص ص 56-59.

[2] Gaid, chronique du Beys. p 16.

[3] أنظر محمّد بن محمّد الأندلسي الوزير السراج: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الكتب الشرقية، تونس 1973، ج2، ص 172.

باي (1622-1647) حيث اهتم بحفظ الأمن والنظام في البايلك كما اهتم بتأمين الفرنسـيين في مراكز صيد المرجان مثلما فعل سلفه استجابة لرغبة السلطان وأوامر الباشا بالجزائر وفي هذه الفتـرة قام التونسيون بخرق اتفاقية عام 1614 فوجّهت الجزائر حملة ضد تونس اشترك فيها مـراد بـاي بقوات البايلك وخاضوا معركة سطارة قرب الكاف[1] حيث هزم التونسيون عام 1628 وأجـبروا على الصلح فأرسلوا وفدا فيه جماعة من العلماء منهم الشيخ محمّد تاج العارفين العثماني إمام وخطيب جامع الزيتونة والشيخ إبراهيم الغرياني، وإبراهيم الجديدي، وعددا من قادة الجيش وباشـا تـونس سليمان ووقعوا معاهدة جديدة نصت على:

1/ الحد الحاصل بين العمالتين وادي سيراط مع هدم قلعة النوبة التي وقع عليها الصراع.

2/ الحد الفصل من ناحية القبلة وادي ملاق والأحيرش وقلوب الثيران إلى رأس جبل الحفا إلى البحر كما جرت عليه العادة السابقة.

3/ إنّ رعايا كلا من الجانبين إذا تجاوز الحد للعمالة الأخرى فلا يطالبه أهل العمالة المنتقـل عنـها بخراج بل يكون خراجه للعمالة الجديدة[2].

يعتبر القرن السابع عشر قمة المجد بالنسبة للبحرية الجزائرية حتى أن الجزائر أصـبحت قبلـة للعديد من البحارة الذي كان هدفهم الإثراء من هؤلاء البحار الفنلندي سيمون دونسا الذي اسـتقر .بمرسيليا وتزوج من مرسيلية، انتقل بسفينة إلى الجزائر أين مارس القرصنة واستولى على عدد كبير من المراكب، وقد ساهم دونسا في تطوير السفن الجزائرية حيث أصبحت أكثر خفة وفعالية زادت مـن عمليات القرصنة[3]. وبث الرعب في قلوب المسيحيين فقد وصلت السفن الجزائرية حتى اسلندا بالذات عام1616 وتجاوزت قيمة الغنائم أثناء السنتين المتتاليتين بصفة خاصة (1615، 1616) مليـوني

---

[1] ابن العنتري: فريدة منسية، ص ص 34-35.

[2] الوزسي السيراج: مصدر سابقن ص ص 177، 179، 181، ذكر الشيخ عبد الكريم الفكون أن أحمد بن الحاجة الذي تولى نيابة قضاء ميلة وقسنطينة قد التقى إبراهيم الغرياني ومحمّد تاج العرفين العثماني، وذكر أيضا مراسلاتهما كما ذكر الوقعة بين عسكر الجزائر وعسكر تونس والصلح الذي تم بينهما عام 1037 هـ، ويبدوا أن لقاء بن الحاجة والشيوخ المذكورين قـد تم بـالجزائر العاصمة. أنظر الفكون، منشور الهداية، ص ص 214 وما بعدها.

[3] H.D de grammont: relation entre la France et la regence d'Alger au 17 siècle, revue africain, 1879, pp 8.9.

وحتى 03ملايين من الليرات، وأثرى كل السكان بفضل المعاملات الناتجة عن هذه الغنائم وتجـــارة العبيد.[4]

ومهما يكن من أمر فإن البحرية الجزائرية بدأت قوتها تتعاظم خاصـــة بتطعيمهـــا بـــالخبرة الأندلسية، والأعلاج للتجديف فقد هاجم الجزائريون عام 1617 جزيرة مادار حتى أنهـــم نزعـــوا أجراس الكنيسية وأسروا 1200 أوروبي في سنة 1631 الحقوا خسائر كبيرة بأنجلترا ويذكر الأب دان أنه كان يوجد بالجزائر 4 بواخر في 1634 وشراعية واحـــدة و08 فرقاطـــات و70 بـــاخرة دائرية، ونفس العدد بالنسبة للبواخر الكبرى، وكلها صالحة للإبحار تتراوح عدد مدافعها بـــين 25-40 مدفع. في أوت 1634 رأى أسطول مكون من 28 ســـفينة متجهـــة إلى الغـــرب لمهاجمـــة Bretons Normands والإنجليز، ويعطينا غرامون إحصائية حول عدد السفن التي أسرت بين 1613، 1621 منها 441 سفينة هولندية و192 فرنسية و60 سفينة إنجليزية و120 سفينة إسبانية (دائرية وفرقاطات) إضافة إلى عدد كبير من المراكب الصغيرة التي أخذت على طول الساحل الإسباني و60 مركبا صغيرا من سواحل مقاطعتي بروفانس ولانغدوك عدد المراكب المغرقة، وتقدر عـــدد الســـفن المحجوزة 936 وحدة[1].

لكن البحار دونسا سوف يسبب فساد العلاقات بين الجزائر وفرنسا لأنه استولى على سفينة إسبانية بها عشرة من رجال الدين فتدخل الملك الفرنسي هنري الرابع لدى استانبول ليرجع دونســـا السفينة وأثناء المفاوضات طلب دونسا الصفح من ملك فرنسا فوافق على ذلـــك بشـــرط أن يـــرّد الأسرى فقام دونسا بشرائهم وفر إلى فرنسا مع مدفعين من البرونز سرقهما من الجزائـــر، فطلبـــت السلطات الجزائرية استرجاع المدفعين ومعاقبة دونسا، ووقعت قطيعة بين الجزائر وفرنسا واســـتهدف القراصنة الجزائريين السفن الفرنسية من جديد خاصة من قبل الرياس الذين كانوا يتحكمون ويُسيِّرون شؤون البلاد منهم مامي ارناؤوط ومراد وعلي عرباجي وسليمان وعلي بتشين.[2]

في 14 مارس 1620 زحفت جموع كبيرة من سكان مرسيليا على مكان إقامة الجزائـــريين وقتلوا كل من وجدوه فيها ونهبوا أمتعتهم والسبب هو أن رجب رايس استولى على سفينة تجار مـــن

[4] شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية، ص 355.

[1] جمال قنان: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر، ص ص 76 ، 77.

[2] Grammont : relation entre la France et la régence d'Alger, p p 8 – 15.

مرسيليا فقتل طاقمهما ورماهم في البحر لكن رجب تخلى عن السفينة لما لحق بها من تلف وقد نجا رجلين كانا مختبئين داخل السفينة فابلغا السكان بما حدث، فارتكبوا مجزرة في حق الجزائريين ثم هاجم الفرنسيون القالة للاستيلاء على الباستيون بالقوة واستغلاله دون مقابل بإشراف الدوق دي فيز لكن الجزائريون تصدوا لهذه الحملة واسر قائد الحملة نفسه، وأعطيت تعليمات للبحارة الجزائريين بمهاجمة السفن الفرنسية، فطلبت فرنسا توسُّط الباب العالي لعقد معاهدة جديدة، فأرسل سليمان شاوش الذي هاجم موقف الجزائريين وأبدى تحيزا واضحا لصالح الفرنسيين.

أرسلت فرنسا مبعوثا لمفاوضة الجزائريين وهو صانصون نابللون الذي نزل بالجزائر عام 1626 ومعه المدفعين البرونزيين وعدد من الأسرى الجزائريين[1] تمكن من عقد معاهدة مع الجزائريين نصت على ما يلي:

1 / إعادة فتح الباستيون الفرنسي.

2 / إنشاء مركز تجاري فرنسي دائم بعنابة.

3 / إنشاء قلعة صغيرة في رأس روز والقالة.

4 / حرية التجارة مع ضمانها لصالح الفرنسيين

5 / حق البواخر الجزائرية في الرسو في أي ميناء جزائري متى دهمتها الأخطار.[2]

وقد كانت نهاية صانصون نابللون محزنة إذ قتل على يد الجنوبين على أسوار طبرقة التونسية لما حاول الاستيلاء عليها عام1633. [3]

في عام 1629 تمرد الانكشارية على حسين باشا بسبب التأخر في دفع أجورهم فقد دبّروا قتله بالسم، إستغل الكراغلة هذه الأحداث وعقدوا اجتماعا لهم بحضن الإمبراطور سنة 1630 من أجل الإستيلاء على الحكم لكن الأتراك تصدوا لهم وطردوهم من مدينة الجزائر. في سنة 1633 دخلوا الجزائر في شكل جماعات صغيرة منتكرين في زي فلاحين، يحملون أسلحة مخفية وهاجموا الانكشارية كما تمكنوا من السيطرة على بعض المواقع، لكن الوقت لم يكن مناسب للثورة لأن رياس

---

[1] جمال قنان: معاهدات الجزائر مع فرنسا 1830/1619، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1987، ط1، ص 57 وما بعدها.

[2] ابن العنتري، فريدة منسية، ص 37.

[3] يحيى بوعزيز: علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا، 1500 / 1830 ، ديوان المطبوعات الجزائرية. الجزائر دون تاريخ.

البحر كانوا غائبين في البحر، فهاجمهم الإنكشارية ودفعوهم إلى أبواب القصبة، وانفجـر المخـزن الرئيسي للبارود ودكّ جزء من القصبة وانهار حوالي 500 مترل وقتل أكثر من 10 آلاف شـخص لاحقهم الانكشارية وقتلوا الكثير منهم، واتجه الناجون إلى بلاد القبائل[4] أملين أن يجدوا دعمـا مـن زواوة، الذين كان الأتراك قد حلوا أغلب فرقهم في الجيش منذ 15 سنة قرر الإنكشـارية رفـض تسجيل هؤلاء في الجيش

إلى أن وقع الوباء الكبير (1650/1648) الذي أتى على عدد كبير هؤلاء الإنكشارية، فاضطروا لقبولهم دون أن يسمح لهم بتقلد المسؤولية[1].

ألغيت الاتفاقيات المبرمة مع فرنسا التي حاولت الضغط على الديوان بالقيام بحملة ضـد الجزائـر، فأعلن علي باشا الذي تولّى الحكم خلفا ليوسف باشا (1639/1637) الحرب على فرنسا[2] وأمر علـي بشتين بقيادة حملة ضد المؤسسات الفرنسية بالقالة وحصن فرنسا فتم الإستيلاء عليها وأسر أفرادها، لم يكن مراد باي قسنطينة يجهل الدسائس التي تحاك ضد بايلكه سواء من الأجانب أو المتعاونون معهم من أهل البلد فتجنّد لمحاربتهم سواء بالقالة وعنابة أو الحنانشة بالشرق والذواودة بالجنوب، وكان أخطر ما واجهه ثـورة ابن الصخري شيخ العرب في جنوب البايلك لتتسع إلى كل البايلك[3].

استقبل مراد باي في مخيمه جنوب قسنطينة الشيخ محمد بن صخري بن بوعكاز العلـوي شـيخ العرب فأمسك به كسجين ثم تعرض للمحاكمة وأصدر في حقه حكما بالإعدام لأنه خرج عن الطاعـة، وقد نفذ فيه الحكم مع ابنه أحمد وستة شخصيات من نبلاء العرب الكبار، وطيف برؤوسـهم بقسـنطينة عدى رأس الشيخ محمد وابنه أحمد[4].

قام أخ الضحية أحمد بن الصخري بإعلان الثورة ضد الأتراك وهاجم قسنطينة التي خرج جيشـها لصـد الهجوم لكن قوات بن الصخري هزمتهم وقتلت منهم 25 فردا وقامت بعمليات حرق وتخريب ضـواحي

---

[4] وولف، الجزائر وأوروبا، ص ص : 130 / 131.

[1] Grammont: Relation entre la France et la régence d'Alger, pp 230, 231.

[2] ابن العنتري : مصدر سابق، ص 37.

[3] ابن العنتري : فريدة منسية، ص 37.

رغم أهمية هذه الثورة وخطورتها إلا أن الشيخ الفكون لم يذكرها إنما أشار إلى ثورة خالد بن نصر أنظر منشور الهداية، ص 137.

[4] Gaid, op, cit, p 17.

قسنطينة استنجد مراد باي بالباشا في الجزائر فأُرسلت له تعزيزات عسكرية لكن رغم ذلك استطاع بن الصخري هزيمتهم في قجال سنة 1638 [5].

تزامنت ثورة بن الصخري بثورة قبائل فليسة في جرجرة وثورة خالد بن ناصر من الحنانشة بسبب إقدام الأتراك على هدم الباستيون مورد رزق بالنسبة للأحرار الحنانشة فعزم الأتراك على مراجعة هذه الثورات وعزم الباشا على القضاء على ثورة فليسة لكن القوات التركية هزمت وأجبرت على توقيع هدنة، تعهدت السلطات التركية بموجبها بعدم مطالبة الثوار بدفع اللزمة، وعودة القوات العثمانية إلى الجزائر وإعادة بناء الباستيون كذا عودة الكراغلة إلى الجزائر واسترجاع امتيازاتهم[6]. عزم الباشا يوسف على القيام

بعمل جديد ضد الثوار معتمدا هذه المرة على العائلات ذات النفوذ الديني كسعيد قدورة وعيسى الثعالبي وعلى بن عبد الواحد الأنصاري ومحمد ساسي اليوني وعبد الكريم الفكون[1]. زحف الباشا يوسف فترل عنابة ثم توجه إلى قسنطينة حيث يشكل أولاد عبد المؤمن المقاومة وتوجه في ملاحقة أحمد بن الصخري نحو الجنوب، حيث حقق انتصارات كثيرة وعاد إلى الجزائر عام 1642 [2]. أما فيما يخص ثورة خالد بن ناصر فيذكر بن أبي دينار أن حاكم تونس محمد باشا قضى على الثورة سنة 1645 مما أدى إلى خضوع بقية شيوخ المنطقة منهم شيخ العرب أحمد الصخري [3].

في سنة 1642 وقعت ثورة أولاد عبد المؤمن بمدينة قسنطينة وهم من العائلات الكبيرة صاحبة النفوذ بالمنطقة إلى جانب عائلة الفكون التي كانت تزاحمهم المكانة والحضوة والنفوذ الديني السياسي والإجتماعي. استخدام الثوار السلاح ضد الإنكشارية لأنهم أهانوهم، ودامت المعارك يومين كاملين في شوارع المدينة، وقتل خلق كثير (24 شخص من أولاد عبد المؤمن) فاعتصموا بجيهم في الجابية وأغلقوا على أنفسهم الأبواب فحاصرهم الإنكشارية فتدخل شيخ البلاد وشيخ الإسلام والقاضي لدى الأتراك من أجل فك الحصار ومعاقبة المتسببين من الجهتين[4] في السنوات الموالية تبعت هذه الاضطرابات الأمراض الأكثر فتكا كالطاعون والجفاف والمجاعة.

[5] Engéne vayssettes: histoire fr constantine Sous La domination turque (1517.1837) Edition Bouchene France, 2002, p p 71 . 72.

[6] Berbygger: notes relation a la révolte de BEN SAKHRI revue africaine, N° 10. 1866, p 123.

[1] عبد الرزاق بن حمادوش: رحلة بن حمادوش الجزائري، تحقيق أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1983، د.ر.ط، ص 230.

[2] Vayssettes, histoire de Constantine: p 79.

[3] بن أبي دينار: المؤنس، ص 236.

[4] ابن العنتري : فريدة منسية، ص 38 .

اتفق الشيخ عبد الكريم الفكون مع الأعيان على تحرير رسالة يطالبون فيها تعيين حاكم عليهم، فطلب منهم أن يختاروا حاكما من عندهم فاتفقوا على فرحات بن مراد باي، فثبت الباشا هذا الإختيار وبعث لفرحات قفطان التقليد مع لقب الباي عام 1647، استطاع إقرار الهدوء والطمأنينة في الإقليم، وفي سنة 1653 يقوم بزيارة إلى الباشا بالجزائر حاملا معه محصول الزكاة والعشور مرفوقا بالأعيان وطلب من الباشا الاستعفاء من المنصب لأسباب صحية لكن الباشا رفض وأمام إلحاح فرحات عيّن ابنه محمد بن فرحات على أن يحكم بمشورة أبيه وكان ذلك عام 1653. يشير ابن العنتري إلى أن فرحات هو أول باي للترك بقسنطينة ويورد خطابا موجها من الباشا في العاصمة قسنطينة وابن الفكون لكن ذلك خطأ، إنما هو أول باي بعد انقطاع الفتن المذكورة وعودة سلطة الترك بعد إهتزازها[5].

استغل الفرنسيون انتفاضة الشرق الجزائري لعقد اتفاقية جديدة مع الجزائر فأرسلوا السيد دوكوكيل من أجل المفاوضة وفعلا تمكن من عقد الإتفاقية سنة 1640 تم الاتفاق بموجبها على أن يدفع الفرنسيون أموالا مقابل إعادة فتح الباستيون الذي خرّب بعدها أسَر ضابط فرنسي مركبين تجاريين جزائريين قادمين من تونس. وضُمن لصيادي المرجان اللجوء إلى أي ميناء جزائري أثناء العواصف وفي حالة الحرب مع الجزائر فيبقى الحصن حراً لا يساء إليه[1]، كما اتفقا على تبادل الأسرى ومنح امتيازات تجارية واسعة كاحتكار تجارة الشمع والجلود، والسماح بإنشاء مراكز عسكرية لرد غارات السفن المعادية إضافة إلى امتيازات للقنصل الفرنسي[2] لكن سرعان ما عادت المشاكل للعلاقات الجزائرية الفرنسية من جديد في عهد إبراهيم باشا (1659/1656) بسبب الباستيون فبعد أن أدار كوكيل هذه المؤسسة مدة من الزّمن سلّمها إلى توماس بيكي تاجر من ليون عمل قنصل بالنيابة بالجزائر (1646-1640) تأخر هذا الأخير في دفع اللزمة في سنة 1658 فعلم أن إبراهيم باشا سير حملة على الباستيون لإرغامه على دفع المستحقات فقام بحرق الباستيون وأخذ معه 50 جزائريا وتوجّه إلى ليوفرنا وباعهم، أرسل لويس 14 لويس كامبون للتفاوض لكن السلطة التركية في الجزائر كانت في أزمة، فعاد لفرنسا سنة1659 [3].

في سنة 1659 تمرد الإنكشاريون ضد إبراهيم باشا بسبب تأخر الأجور فألقوا عليه القبض ورموه في السجن وأُعلن نهاية نظام الباشوات وسمح للباشا البقاء بالجزائر لتمثيل الباشا دون تدخل في

---

[5] Vayssettes, Histoire de costantine, 81-82.

ابن العنتري : مصدر سابق، ص ص 45-47 .

الحكومة. كان البولكباشي خليل أوّل آغا، تميز عهد الأغوات القصير بسلسلة من الاغتيـــالات كاغتيـــال خليل قائد التمرد نفسه سنة بعد تعيينه، ثم الآغا رمضان الذي قتل في أوت 1661.

في سنة 1655 قامت إنجلترا بحملة ضد الجزائر العاصمة ورميها بالقنابل فاحترقت بعض المراكب الراسية، كما استطاعت تحرير بعض الأسرى وأمضى الأمير الإنجليزي بلاك معاهدة صلح مع الجزائـــر.[4] بعد وفاة الأميرال بلاك عاد الرياس لمهاجمة السفن التجارية الإنجليزية، كما أن عدد الأسرى الإنجليـــز كان كبيرا لدى الجزائر ومع فقدان المال لافتدائهم سعت إنجلترا إلى عقد اتفاقية مع الجزائر [4] غير أن

الشروط التي إشترطتها إنجلترا رفضتها الجزائر فقصفوا المدينة والحصـــون دون جـــدوى، وضـــربت الساحل الجزائري عاصفة هوجاء تسببت في تحطيم كثير من السفن[1] ثم تمكن الأميرال الإنجليزي جون لاوسون عام 1662 من إبرام معاهدة تقيم السلم مع الجزائر وتوقف أعمال القرصنة، وتحرير العبيد الإنجليز وقد أبرمت معاهدة مشابهة مع هولندا[2].

قرر لويس 14 تنفيذ اقتراح مازاران من أنه على فرنسا أن تحصل على ميناء قابل للاستعمال على الساحل الجزائري، ميناء تجاري وقاعدة لمراقبة تجارة المسلمين، ضن الفرنسيون أن الأهالي سوف يرحبون بهم لاشتراكهم في العداء للأتراك، نجح كولبير في تجميع أسطول هاجم به ميناء جيجل عـــام 1664، نقل الإنكشارية أسلحتهم من الجزائر إلى جيجل وتحالف الأهالي مع الأتراك لصد العـــدوان وتمكن الجزائريون من رمي الفرنسيين في البحر تاركين جميع مدافعهم، 35 من النحاس و 15 مـــن الحديد وأسر 400 فرنسي، كما تحوّل الكثير منهم إلى مسلمين لتجنب الاسترقاق، وصف القنصل الإنجليزي الاحتفالات التي أعقبت ذلك في الجزائر قائلا "وكان الفرنســـيون في تـــونس تـــرحقهم الأصوات جيجل، جيجل"[3].

---

[1] وولف: الجزائر واووربا، ص ص 292 / 293.

[2] قنان: علاقات الجزائر مع فرنسا، ص ص 67 / 67.

[3] صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي، ص 127.

[4] عبد الرحمن جيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج3 ، ص 138.

[4] وولف: الجزائر واووربا، ص 320.

[1] وولف: الجزائر و اووربا، ص ص 322، 320.

[2] صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي، ص ص 128 ، 129.

[3] وولف: مرجع سابق، ص ص 316 ، 317.

أما بالنسبة لبايلك قسنطينة فقد تولى بعد الباي فرحات ابنه محمد عام 1653 وقد ضـــرب الطاعون قسنطينة من جديد عام 1073 بدأ في شهر رمضان وراح في ارتفاع إلى غاية يوم الجمعة 8 من شهر ذي القعدة في نفس هذا اليوم حصد 500 ساكن من المدينة و 50 من الضواحي، وكـــان من ضحايا هذا الطاعون الشيخ عبد الكريم الفكون عام 1663 وقد عزل محّمد باي وعوض برجب باي عام 1666[4].

[4] Vayssettes: Histoire de costantine, p p 85 , 86.

المبحث الثاني: الأوضاع الإجتماعية.

المطلب الأول: المجتمع الجزائري عموما.

1- العوامل المؤثرة في المجتمع الجزائري.

خضعت الجزائر خاصة أواخر القرن الخامس عشر وخلال القرن السادس عشر لتحولات كبيرة خاصة من الناحية السياسية كان لها تأثير واضح على الجانب الاجتماعي.

فنحن نعلم أن الجزائر كانت مقسّمة، شرقها كان خاضعا للإدارة الحفصية وغربها كان خاضعا للدولة الزيانية ولكن في أواخر عهد هذه الدولة استقلت عنها كثير من المناطق وأصبحت تشكل وحدات مستقلة عن العاصمة تونس أو تلمسان، سواء كانت قبائل عربية أو مدن ساحلية، أو حتى مدن تعرضت للاحتلال مثل مدينة وهران التي إحتلّها سنة 1510م إلى سنة 1752م، إن هذا الضعف سوف يفتح المجال لقوتين بأن تتدخل في المنطقة، الإسبان كما ذكرنا، ثم التدخل العثماني وفرضه الحماية على البلد.

ويمكننا أن نحدد العناصر التي صاغت شكل المجتمع الجزائري في هذه الفترة كما يلي :

1/ هجرات الأندلسيين التي بدأت خلال القرن التاسع وتقوت خلال القرن العاشر.

2/ الوجود العثماني نفسه ويمكننا أن نضيف عاملا ثالثا وهو التواجد المسيحي واليهودي بالبلد[1].

إضافة إلى التأثيرات السياسية فقد تأثر المجتمع الجزائري بالحالة الصحية والمعاشية، فقد كثرت الأمراض والأوبئة في مقابل ذلك فإن الأدوية والعقاقير المحضرة كانت غير متوفرة فالصيدلية الوحيدة الموجودة بمدينة الجزائر، كانت لا تتوفر إلا على بعض العقاقير والحشائش وأن الباش جراح القائم عليها كان يجهل مواصفاتها وفوائدها الطبية[2].

في سنة 1647 و1648 كان 10 % من السكان يموتون وفي سنة 1654 حدث طاعون كبير أودى بحياة 3/1 السكان وفي سنة 1662 مات بالطاعون 10 آلاف من الأرقاء الأوروبيين من مجموع 25 ألفا.

---

[1] أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، ط1، 1998، ج1، ص 148.

[2] ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي: الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982، ص 88.

ثم حدث طاعون كبير آخر بعد ثلاث سنوات وخلال السنوات اللاحقة كـان الطـاعون المزمن، ثم سنة 1671 التي كانت سنة أخرى من الشر[1].

ومما زاد في سوء الحالة الصحية أن الحكام كانوا لا يهتمون بالصحة العامـة للسـكان ولا يولونها الأهمية اللائقة من العناية فهم لم يتخذوا أي إجراء وقائي ضد الأمراض، بل اعتبروها طبيعـة وغضبا إلاهيا فلم يفرض أي حاكم نظام الحجز الصحي على السفن أو الأشخاص باستثناء محاولـة صالح باي الذي فرض حزام صحي عام 1787 حول عنابة ليمنع انتقال العـدوى إلى قسـنطينة، وتخوف الباي عصمان حاكم وهران عام 1794 من انتشار الوباء بناحية وهران، والتجأ إلى سهول، مليتة ليقيم بها 03 شهور بعيدا عن أي اتصال بالسكان.

أمّا أماكن العلاج فتكاد تنحصر في بعض المصَحّات وملاجئ العجزة مثل مصحة زنقة الهواء، وملجئ الأمراض العقلية المخصص للأتراك بالإضافة إلى مارستانات رجال الدين المسيحي التي كانت تنفق عليها الدول الأوروبية منها المارستان الذي أقامه، رجل الدين الإسباني سبستيان، ديـون عـام 1551 لفائدة الأسرى وحدد عام 1612، والمارستان الذي أنشأه الراهب غاريدو عـام 1662 بالقرب من باب عزون ومستشفى الفرنسي بحصن فرنسا تشرف عليه الوكالة التجارية الفرنسية[2].

ورغم ذلك فإننا نجد أن الحكام الأتراك اهتموا بصحتهم الخاصة حيث جلبوا أطباء أوربـيين بالشراء ونحوه ومعظم هؤلاء الأطباء كانوا يأتون أسرى عن طريق البحر، أو أنهم كـانوا مقـيمين بالجزائر لأسباب سياسية أو تجارية، فالباشا بابا علي كان له طبيب فرنسي جراح كما عـرف عـن صالح باي أنه اشترى طبيبا إيطاليا يدعى باسكال قاميزوا عندما وقع هذا في أسـر الـرئيس محمـد الإسلامي[3].

وفوق ذلك فقد تعرضت الجزائر لعدة كوارث طبيعية كالجفاف الذي حل بـالجزائر عـام 1580، عرّض المحاصل ونتج عنه مجاعة كبيرة[4] كما حل جفاف آخر بين سـنتين 1612/1611 نتج عنه قحط شديد ومجاعة مدهشة لم يجد الناس من جرّائه ما يأكلونه[5].

---

[1] وولف : الجزائر وأوربا، ص 158.

[2] سعيدوني : الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، ص ص 88-89.

[3] سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج2 ، ص ص 419/418.

[4] Haedo: Histoire des rois d’Alger, p 175.

[5] التر : الأتراك العثمانيون، ص 326.

إضافة إلى تأثيرات الزلازل كزلزال مدينتي الجزائر والمدية عام 1632 الذي ذكر عنه أنه أهلك جل سكان مدينة الجزائر، وكذلك زلزال مدينة الجزائر وضواحيها عام 1639 و1676 على أن أهم زلزال تعرضت له السواحل الجزائرية هو زلزال سنة 1716 الذي تخربت من جرائه مدن شرشال وبجاية والجزائر العاصمة واضطر السكان إلى الخروج إلى الأرياف بعد أن تهدمت منازلهم[1].

2- عدد سكان الجزائر

قدر الوزان عدد سكان مدينة الجزائر بأربعة آلاف كانون أي أن عدد سكانها أقل من مدينة بجاية كان تعدادها 8 آلاف كانون[2].

ويقدر هايدوا عدد منازل الجزائر بحوالي 12.200 منزل خلال القرن السادس عشر منها، 2500 منزل للبلديين و1000 منزل للأندلسيين و1600 منزل للأتراك إضافة إلى الأهالي الوافدين واليهود والمسيحيين[3].

وقد قدّر جوليان عدد 12.000 منزل الموجود بالجزائر بحوالي 30 ألف ساكن دون حساب 25 من الأسرى الأوروبيين الذين كانوا مقيمين بالضواحي.[4]

وتذكر رسالة من أحد الفرنسيين يدعى جيرني إلى أحد مستشاري الملك الفرنسي محررة سنة 1630 أن عدد سكان الجزائر بلغ أكثر من 200 ألف نسمة سنة 1621 غير أن الطاعون أتى على حوالي 50 إلى 60 ألف نسمة وتوزع الرسالة العدد على النسب التالية 30 ألف من الأتراك، 97 ألف من الأهالي، 10 آلاف من اليهود وما بين 18 و 20 ألف من الأسرى والعبيد النصارى.

وقُدر عدد سكان الجزائر أواخر القرن 18م بـ 50 ألف نسمة غير عدد النساء القابعات بالبيوت واللواتي لم تكن كثيرات، منهم 6000 كرغلي، 3 آلاف تركي، 7000 يهودي. ألفان من العبيد وآخرون مسيحيين، و 32 ألف من المور منهم ناس بسكرة وزواره.[5]

---

[1] سعيدوني : الجزائر في التاريخ، 89.

[2] حسن الوزان : وصف إفريقيا، ج2، ص ص 37، 50.

[3] Diego de haedo, topographie et histoire générale d'Alger traduction de l'espagnol de A Berugger et monneraun grand Alger livres: Alger 3ème édition 2007, p 46.

[4] جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية، ص 338.

[5] Venture de paradice: Alger au 18eme siecle R, Africaine, Num 39, 139, p 267.

3- فئات المجتمع الجزائري:

ويمكننا أن نقسم المجتمع الجزائري خلال هذه الفترة إلى الفئات التالية:

أ/ **فئة الأتراك** : وقسمهم هايدوا إلى صنفين الأتراك من الأصول التركية والذي جاءوا من الدولة العثمانية سواء مع عروج وخير الدين ومن أُرسل من مقاتلين ومتطوعين من استانبول، أما القسم الثاني فهم الأعلاج أو كما يسميهم المؤرخين الأوربيين المرتدين أي الذين تخلوا عن المسيحية ودخلوا الإسلام فهؤلاء ألحقوا بالأتراك[1]. وتأتي هذه الفئة في أعلى السلم (من الباشا إلى اليولداش) وكانوا يحتكرون السلطة فمنهم الباشوات والوزراء والدايات ورؤساء البحر والآغوات، كما كان منهم أعضاء الديوان أو البرلمان ولا يخلوا مصدر عن العهد العثماني، معاصر أو غير معاصر، مسلم أو غير مسلم دون أن يصدمه شيوع الرشوة والفساد والجور، والإنحراف والظلم والإستغلال الشنيع الذي كان يمارسه العثمانيون في الجزائر، فهم كفئة متميزة وممتازة كانوا ينظرون إلى السكان نظرة إستعلاء وإحتقار وإزدراء، وكانت الرشوة وجمع الأموال عن طريقها هي أساس العلاقات فيما بينهم ثم فيما بينهم وبين السكان، ولا يكاد يعين أحد في منصب أو يرقى إلى وظيفة إلا إذا أرشى الباشا وحريمه ووزرائه وكبار الموظفين[2].

كان الإنكشارية يشكلون غالبية فئة الترك وكان يُشترط للانضمام إلى هذه الفئة الجنسية التركية وكان آغا الإنكشارية يتمتع بنفوذ كبير. فلا أحد يستطيع توقيفه أو معاقبته حتى الباشا نفسه، ولا يحق لأي جندي الشكوى بالآغا لدى الباشا يرفع الشكوى ضد أي جندي للآغا، وإذا وقع ظلم على جنود الإنكشاريين من قبل القائد يعرض النزاع على قاضيين واحد للترك (مذهب حنفي) وآخر للعرب (مذهب مالكي)، أمام الآغا ويمكن لهذا الأخير إلغاء قرار القاضيين[3].

كان هؤلاء الإنكشارية يستقرون في الحصون والثكنات العسكرية أما خارج مدينة الجزائر فتتوزع العناصر التركية على الحاميات التي بلغ عددها 15 حامية. وقد ضلت الحامية التركية ضئيلة العدد لم يتجاوز عدد أفرادها أواخر القرن 16م، 10 آلاف نسمة ولم يزد في الربع الأول من القرن السابع عشر، عندما كثر سكان المدن عن 12 ألف، وضل هذا العدد ثابتا تقريبا حتى أوائل القرن

[1] Haedo, op, cit, p 57.

[2] سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 153.

[3] Haedo, topographie et Histoire…, pp 68-69.

19 حيث ذكرت المصادر أن عددهم كان يقارب 10 آلاف نسمة[1]. وترجع قلة العنصر التركـــي رغم طول مكثهم بالجزائر والتجائهم إلى جلب أعداد من الأتراك من حين لآخر، إلى حالة العزوبــة التي كان يعيشها أغلب أفراد الجيش التركي، وعدم تبني أبنائهم من الكراغلة واعتبارهم عنصـــرا لا يرقى إلى مستوى الأصول التركية الخالصة أما عزلة الطائفة التركية فذلك راجع لرغبــة هـــؤلاء في الاحتفاظ بامتيازاهم وقد امتنع جل الموظفين الكبار عن الزواج بالجزائريات بل أن بعض الجزائـــريين، دفعوا حياهم ثمنا لمصاهرة الأتراك[2]. إن هذه الحالة جعلت الفئة (الإنكشارية) قد تلجأ إلى الإنحـــراف الجنسي، فقد كانوا متهمين بالإحتفاظ سرا بخليلات وبالتردد على المعاهر وفـــوق ذلـــك بممارســة الشذوذ الجنسي[3].

ب/ فئة الكراغلة : هم أبناء الأتراك من أمهات جزائريات وقد ظهرت لأول مرة في المناطق التي بهـــا حاميات وهي الجزائر وتلمسان ومازونة ومعسكر، وقلعة بني راشد، ومســـتغانم ومليانـــة والمديـــة، والبليدة والقليعة، وبسكرة وقسنطينة وعنابة.

ففي مدينة الجزائر ناهز عددهم نهاية القرن 16 ميلادي، 6 آلاف نسمة وأصبحوا يشكلون أغلبية وفي مدينة تلمسان لهم صلاحيات واسعة كاستخلاص الضرائب حتى من المناطق الصعبة. مـــن هؤلاء الكراغلة البايلرباي حسن باشا بن خير الدّين، وقد زاد طموح هذه الفئة في الوصول إلى الحكم إلى درجة أنها بثورة ضد الحكم العثماني سنة 1629 لكنها كشفت بوشاية من قبل أحد بني ميزاب وارتكبت مجزرة في حقهم، فأبعدوا نهائيا عن مقاليد الحكم وطردوا خارج الجزائر العاصمة.

ولو نجح الكراغلة لتغير وجه التاريخ الجزائري ولوجدنا الحكم فيها أكثر التصاقا بالشـــعب وأكثر اهتماما بمصالحه وأكثر ارتباطا بقيمه الحضارية، بل لتحول شيئا فشيئا إلى حكم وطني مستقل، والغريب أن العثمانيين كانوا يرفعون أبناءهم، إذا كانت أمهاتهن أسيرات مسيحيات ولكن الغرابــة تزول إذا علمنا أن هدفهم الأساسي هو إبعاد العنصر الأهلي عن مقاليد السلطة[4].

ج/ فئة الحضر : وهو المولودون بالمدن منذ فترات قديمة يحتلون حـــوالي 2500 مـــنزل وأغلبـــهم يمارسون التجارة ويملكون محلات للبيع، ومنهم حرفيون وهناك من هم مزارعـــون، وكـــل هـــؤلاء

---

[1] سعيدوني : الجزائر في التاريخ، ص ص 92-93.

[2] المرجع نفسه، ص 93.

[3] وولف : الجزائر وأوروبا، ص 162.

[4] سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 155.

معفيون من الرسوم منذ عهد خير الدّين حتى يتمكن من السيطرة على البلد والمجتمع[1]. ورغم سيطرة هذه الطبقة على الحياة الاقتصادية خلال القرنين 16م، 17م، إلا أنّهم لم يؤثروا في نظام الحكم، حتى بعض العائلات التي تعاملت مع بعض الحكام عرفت كيف تحافظ على امتيازاتها كعوائل ابن الفكون وبن عبد الجليل وبن باديس بقسنطينة[2]. ويمكننا أن نضيف لهذه الفئة الأندلسيين الذين تعرضوا للاضطهاد الإسباني في الأندلس، وهو ما دفعهم إلى الهجرة إلى سواحل شمال إفريقيا منها الجزائر ولدورهم التاريخي، فقد لعبوا دورا كبيرا في الجهاد ضد الصليبيين، إذا كان هؤلاء يعتبرونهم من ألدّ أعدائهم، ويوجد منهم حوالي 1000 مترل بالجزائر[3]. وقد تزايدت أعدادهم بعد قرار الطرد الجماعي في حقهم سنوات (1609-1614) وفي سنوات 1610-1667-1670 حتى بلغ عددهم 25 ألف نسمة[4].

وقد مارس الأندلسيين عدة أنشطة تجارية وحرفية، كصناعة البارود وملح البارود وصناعة الأقفال والحديد، والبناء والخياطة وإنتاج الحرير وبيع الأقمشة والخردوات[5]. كما عرفوا كيف يحافظون على مكانتهم الاجتماعية والاقتصادية، ولعل مقدار الضرائب التي كانوا يساهمون بها، والأوقاف التي كانوا يحبسونها على الزاوية، والمسجد الخاص بهم، تدل على مدى غناهم، ففي مستغانم كانوا يتعهدون بدفع، 300 زياني للحاكم كل سنة مع كميات المحاصيل الزراعية، وفي شرشال بلغ عدد المنازل الأندلسية 12 ألف، كانوا يدفعون للحاكم 300 دوكة ذهبية أوائل العهد العثماني[6].

د/ فئة البرّانية : تشمل هذه الطائفة أناسا غادروا الأرياف بحثًا عن العمل في مدينة الجزائر، وهم معروفون باسم الجهة أو القبيلة التي جاءوا منها، فمنهم البسكريون، والقبائليون والميزابيون والأغواطيون وغيرهم.

أما البسكريون فهم كل من جاء من الصحراء الشرقية وكان أسمر أو أسود البشرة، سواء كان من أهل ميزاب فعلا أو من تقرت ووادي سوف وغيرهم، أما الميزابيون فهم أتباع المذهب

---

[1] Haedo: topographie et histoire générale d'Alger, p p 53 . 54 .

[2] سعيدوني : الجزائر في التاريخ، ص 97.

[3] Haedo: op, cit, p 54.

[4] سعيدوني : مرجع سابق، ص 98.

[5] Haedo: op, cit, p 55.

[6] سعيدوني : الجزائر في التاريخ، ص 98.

الإباضي فقد إمتلكوا مطاحن للحبوب والمخابز والحمامات العامة أما الجيجلية فهـم الأوائـل مـن استقبل الأتراك في وطنهم على هذا الأساس تحصلوا على امتيازات مخصصة للأتراك عدا الرواتب. لهم الحق في حمل السلاح والألبسة بالذهب[1].

أما القبائليون فهم القادمون من الجبال كمنطقة كوكو، وبني عباس يكتـرون بيوتـا بـالجزائر ويعملون كأجراء في البساتين ومنهم من يبيع الأعشاب والفواكه والفحم والزيت والزبدة والبـيض وقد يستغلون كمجدفين[2].

وقـد ارتـع عـدد البرانية زمن الرخاء الاقتصادي وتوفر العمل، فقد بلغ عددهم أوئل العهد العثماني أكثر من 12 ألف نسمة، وفي الفتـرة بـين 170-1690. ويقلـون أثنـاء الأزمـات الاقتصادية[3].

هـ/ فئة اليهود: يعود وجود اليهود بالجزائر إلى فترة قديمة، منذ الفتح الإسلامي تكاثرت أعـدادهم بعد أن شملهم الاضطهاد في الأندلس مع المسلمين فهربوا إلى سواحل شمال إفريقيا.

وقد احترم العثمانيون ثقافة اليهود لكنهم أُجبروا على ارتداء لباس يختلف عن لباس المسلمين يسكنون أحياء خاصة بهم، ويدفعون ضرائب تقدر بـ 1500 دوبلاس (600 قطعة ذهبية). وقـد تمتعت هذه الفئة بإمتيازات إقتصادية كبيرة ويمارس اليهود الوساطة فيما يخص العلاقات الدبلوماسـية والتجاريـة بين أوربا والبربر، كما يلعبون دورا مهما في شراء وبيع الغنائم، وهم أول من اخترعـوا الكمبيالات وإستخدموها في معاملاتهم مع مراسيلهم من كل البلاد الأوربية، كما يعملون بصـياغة الذهب والصيرفة ويقومون بسك العملات الذهبية والنحاسية والفضية[1].

لم يتخلى اليهود عن دسائسهم وحقدهم على المسلمين فاليهودي "سطورا" هو الذي فـتح باب مدينة وهران للإسبان سنة 1509 بمساعدة الخائنين عيسى الغربي وبن قانص[2]. وفي سـنة وفي سنة 1805 غامر أحد الإنكشارية وطعن "نفتالي بوشناق" زعيم اليهود قائى له "وداعا يـا ملـك الجزائر"[3]. ويدعم ذلك، الدور الذي لعبه كل من باكري وبوشناق في تفاقم الأزمـة بـين الجزائـر وفرنسا قبيل الاحتلال حول مسألة الديون الجزائرية على فرنسا، ولم يسلم حـتى المسـيحيين مـن

[1] Venture de paradis: Alger au 18eme Siècles, p 278.
[2] Heado: Topographie et histoire générale, p 52.

[3] سعيدوني : مرجع سابق، ص 102.

دسائسهم فقد سرقوا عام 1760 طفلا مسيحيا لتضحيتهم الدينية مما جعل الداي يتوعدهم بالقتل الجماعي[4].

و/ **فئة الدخلاء** : وهم العناصر الأجنبية عن المجتمع الجزائري كالتجار الأجانب والقناصل الأوربيين ورجال البعثات الدينية والأسرى. فقد أشارت المصادر الأوربية للأسرى بوصفهم "عبيد"، لكن الحقيقة أنهم كانوا يعتبرون أسرى حرب، أكثر مما يعتبرون عبيدا فالأسرى الذين لا يختارهم الداي ليعملوا كحراس أو خدم ولا يشتريهم الباعة يصبحون ملكا للدولة، ويعملون في المرافق التابعة لها وللأسير حق الفداء سواء من قبل دولته أو يفدي نفسه إن كان قادرا وقد تكاثرت أعدادهم خاصة خلال القرن 17م[5]. ومن الملاحظ أن شروط حياة الأسرى بالجزائر إذا ما قورنت بوضعية الأسرى المسلمين بالبلاد الأوربية كانت حسنة بل ممتازة خلافا لإدعاءات رجال الدين المسيحي من أجل حمل الدول الأوربية لمهاجمة الجزائر[6].

ي/ **سكان الأرياف:** هذا فيما يخص سكان المدن أما سكان الأرياف فقد صنفوا حسب الولاء للدولة العثمانية، إضافة إلى عنصر هام وهم رجال الطرق الصوفية وأتباعهم.

شكل سكان الأرياف أغلبية المجتمع بنسبة 95 % ويمكننا تصنيفهم إلى :

1- سكان متعاونون (قبائل المخزن).

2- سكان خاضعون (قبائل الرعية).

3- سكان متحالفون (الأحلاف).

---

[1] كورين شوفالييه: الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510-1541)، ترجمة جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1991، دون رقم ط، ص ص 78-79.

[2] عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص 47.

[3] المرجع نفسه، ص 75.

[4] وليم سبانسر: الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتعليق عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1980، دون رقم طبعة، ص 84.

[5] سبانسر : الجزائر في عهد رياس البحر، ص ص 130-131.

[6] سعيدوني : الجزائر في التاريخ، ص 105.

4- سكان ممتنعون (في المناطق الغابية والجبلية)[1].

فقبائل المخزن عبارة عن تجمعات سكانية اصطناعية متمايزة في أصولها مختلفة في أعراضها فمنهم من أقره الأتراك في الأراضي التي وجدوا عليها لتكون سندا لهم، ومنهم من أعطيت لهم الأرض كي يستقروا عليها ومنهم من أستخدموا كمغامرين أو متطوعين من جهات مختلفة ليؤلفوا جماعة عسكرية مرتبطة بالحكومة التركية[2]. فمخزن القبائل وتيطري كان من العبيد، أما الحراكتة فأُقّروا على أراضيهم أمّا الدواير فقد أقام الترك مخزنهم في بايلك تيطري[3].

أما قبائل الرعية فهي المجموعات السكانية الخاضعة مباشرة للبايلك والمقيمة بالدواوير والدشر والقرى المنتشرة في الجهات التي تراقبها قبائل المخزن وتعبرها الفرق التركية لجمع الضرائب.

وأما الأحلاف فهي القبائل التي تتعامل مع البايلك عن طريق شيوخها وزعمائها المحليين، الذين أصبحوا بحكم العادة والعرف يتوالون حكمها إمّا لزعامة دينية أو لحنكة حربية، كأولاد مقران وبني جلاب والحراكتة أما الممتنعين فهم القبائل التي كانت تعيش في المناطق الجبلية الحصنية كالبابور، وجرجرة، ووانشريس وشمال قسنطينة والأوراس والتي كانت تجوب الهضاب الوهرانية والأطلس الصحراوي من هذه القبائل إمارتي كوكو، وبني عباس[4].

---

[1] سعيدوني : الجزائر في التاريخ، ص 105.

[2] ناصر الدين سعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، د.ر.ط، ص 98.

[3] صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي، ص 366.

[4] سعيدوني : الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، ص ص: 108-109.

المطلب الثاني : مجتمع قسنطينة خصوصا

مجتمع البايلك :

هذا بالنسبة للمجتمع الجزائري عامة أما بالنسبة لمجتمع قسنطينة فيمكننا أن نفرق بين مجتمع البايلك ومجتمع قسنطينة المدينة، فمجتمع البايلك والذي يستوطن المساحة التي تمتد من البحر شمالا ابتداءا من طبرقة شرق القالة إلى حدود مدينة بجاية التي لم تكن داخلة فيه ومن الشرق الحدود التونسية التي تبدأ من طبرقة على البحر وتمتد إلى الجنوب عبر تبسة إلى وادي سوف.

ومن الغرب جبال البيبان، وقرى منصور وسفوح جبال جرجرة الشرقية والجنوبية إلى برج حمزة، وقريتي سيدي هجرس وسيدي عيسى اللتان تفصلانه عن بايلك التيطري، ومن الجنوب الصحراء الكبرى جنوب واحات وادي سوف وتقرت وورقلة وميزاب[1].

هذا المجتمع كان مجتمعا قبليا بأتم معنى الكلمة كانت القبيلة الوحدة الأساسية التي اضطر الأتراك العثمانيين للتعامل معهما بشتى الوسائل ومن أهم هذه القبائل قبيلة الحنانشة التي ظلت إلى غاية 1830 هي صاحبة النفوذ الواسع على مدى الحدود التونسية "قالمة، تبسة، سوق أهراس حتى عنابة" ومن أعضائها البارزين أولاد خالد أولاد ناصر، وأولاد سلطان وأولاد بوعزيز وأولاد إبراهيم[2].

أما من الجنوب فقد سيطرت قبيلة الدواودة على باقي القبائل فقد امتد نفوذها على المنطقة الممتدة من الزاب إلى الحضنة، كما سيطرت على منصب مشيخة العرب خلال العهد العثماني[3].

كان الباي يقوم بارتداء القفطان أوّلا كدليل على توليه الحكم ثم يرسله إلى شيخ العرب الذي يقوم بإرتدائه ويرسله إلى شيخ الحنانشة فيرتديه ويرسله إلى شيخ أولاد مقران ثم يعود إلى الباي من جديد[4]. وقد قامت القبيلتين السابقتين بثورتين خطيرتين ضد الحكم التركي الأولى قام بها خالد

---

[1] ابن العنتري : فريدة منسية، ص 18.

[2] محمّد بن محمّد بن عمر العدواني: تاريخ العدواني، تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، ط1، 1996، ص 174.

[3] أنظر أحمد بن المبارك بن العطار: تاريخ قسنطينة، دون معلومات حول الطبع، ص ص : 56-57.

[4] محمد الأمين بلغيث: دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي، دار التنوير الجزائر، 2006، دون رقم ط، ص 139.

بن ناصر الحناشي شرق قسنطينة[5]. أما الثانية فهي الثورة التي قام بها عام 1637 أحمد الصخري بوعكاز أخ شيخ الذواودة بعدما أُعدم من قبل السلطات التركية.

إضافة إلى هاتين القبيلتين القويتين نجد كل من قبائل بني جلاب بورقلة وتقرت، وقبائل المقارنيين في مجانة.

ب/ مجتمع قسنطينة وفئاته

1- فئة الحضر :

أما مجتمع قسنطينة فقد كانت تسيطر عليه العائلات الكبيرة ولعل من أبرز هذه العائلات عائلة بن عبد المؤمن التي تنتمي إلى مرابطي المغرب الأقصى إنتقلت إلى بسكرة ثم استدعاها عرب أولاد صاولة إلى قسنطينة لنشر العلم خلال القرن التاسع الهجري وقد تدرجت إلى أن أصبحت ذات سلطة دينية كبيرة ونالت لقب شيخ الإسلام وقيادة ركب الحجاج من السلطات الحفصية[1].

ورغم حساسية آل عبد المؤمن من الأتراك إلا أنهم أبقوا على امتيازات هذه العائلة ربما لنفوذها الواسع والدليل على ذلك ثوراتهم المتكررة ضد الحكم التركي إلى أن سئم الأتراك هذا الوضع فحولوا مشيخة الإسلام بما فيها قيادة ركب الحج إلى آل الفكون.

أما القضاء والإمامة فقد تولتها أسرة أخرى هي أسرة آل باديس العريقة حيث ترجع شهرتها إلى زمن الحفصيين إذ تولى حسن بن باديس قضاء الجماعة بتونس ثم قسنطينة التي توفي بها عام 1385/787 [2].

ومن مشاهيرها أيضا حميدة بن باديس الذي تولى القضاء والإمامة توفي عام 969 هـ ويحي بن باديس، ومحمد بن باديس وغيرهم وعموما فقد ذكر الفكون أن منهم أربعون أصحاب مناصب شرعية ومخزنية [3].

---

[5] أنظر الفكون : منشور الهداية، ص 167.

[1] المهدي شعيب: أم الحواضر، ص ص : 119/1178.

[2] المهدي شعيب: أم الحواضر، ص 82.

[3] الفكون : منشور الهادية، ص 57.

وإضافة إلى هذه العائلات يمكننا أن نذكر عائلات باشتارزي وبن نعمون فهـــذه العـــائلات جميعها كانت هي الأغنى سواء من الناحية التجارية أو من ناحية إمتلاك الأراضي الزراعيـــة، وهـــذه الفئة هي التي كانت تشكل ما يعرف بالحضر[4].

وقد تعرض لها الشيخ الفكون بالانتقاد في كتابه "محدد سنان في نحور إخوان الـــدخان"، إذا يقول بأنهم جُبلوا على منابذة العلم وأهله ومعاداتهم وإستهزائهم بهم واتكالهم على شرف أبائهم وعلو مرتبتهم وما هم فيه من الرياسة التي شُرّفوا بها، وهو ما أدى بهم إلى الغرور والتكـــبر علـــى الخلـــق وكذلك ما هم عليه من الحسد والبغضاء وهتك أعراض المسلمين[1].

كما أورد الفكون في منشور الهداية أوصافا أخرى لهذه الفئة فقد ذكر رجلان من الحضـــر تولى خطة النيابة وتولى الآخر خطة الفتوى فوقعت بينهما ألفة الظاهر وفي الباطن مختلفان على عـــادة صنفهم[2]. تحسبهم جميعا وهم بالغاية القصوى، قلوبهم شتى، وأهواؤهم متبددة يود كل منهما وقـــوع منتهى الشرور[3].

ولنا أن نتساءل إذا كان المقصود بفئة الحضر هم سكان قسنطينة الأوائل أو العائلات العريقة التي ذكرناها سابقا فقد كانت ممن اشتهر بالعلم ومنها عائلة الفكون، فهل أوضاع هذه العائلات قد تغيرت هذا ممكن باعتبار أنّ الفكون قد ذكر بعض أفراد هذه الفئة من هذه العائلات منها عائلة بـــن نعمون ومهما يكن من أمر فإن مقاييس مدلول اسم الحضر بقي غامضا عند الفكون[4].

2/ فئة الحكام:

---

[4] أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 175.

[1] عبد الكريم الفكون: محدد السنان في نحور إخوان الدخان، (مخطوط) ورقات، 50/49/48.

[2] الفكون : منشور الهداية، ص 79.

[3] نفسه، ص 83.

[4] أنظر المهدي بوعبدلي: محاضرة ألقاها بقسنطينة يو 7 جانفي 1977 بعنوان: عبد الكريم بن الفقون القسنطيني، وكتابه "منشور الهادية".

إضافة إلى فئة الحضر هناك فئة الحكّام وتتمثل في الباي والجهاز الإداري الملحق به من كتّاب وقضاة وجند، وكان البايات يعيّنون من الأتراك، عدى فرحات باي الذي كان من العــرب وإبنــه محمد، كما أن بعضهم كان من الكراغلة مثلما هو الحال بالنسبة لأحمد باي آخر بايات قسنطينة، و لم يسلم الجهاز الإداري في البايلك من الفساد، إذ يتحدث الفكون في مناسبات كثيرة عن الرشوة الــتي كانت تنخر جسم المجتمع القسنطيني، فحين ترجم لحميدة بن حسن الغربي قال عنه أنه كان يخدم الولاّة. ويعظمهم ويمتهن نفسه في موالاتهم ويعطيهم الرشا ويتوسط لهم في ذلك، مع أهل البلد والرعايا وينال هو من ذلك حضا [1].

كما تحدث الفكون عن الصراع حول الوظائف الرسمية كالإفتاء والشهادة في القضاء وأخــذ الرشوة ممن تقلد هذه الخطط من الرعية[2]. فمحمّد المسبح الذي تولى نيابة القضاء وبعــد أن أعطــى عليها لقضاء العجم (الأتراك) حتى ولّوه إياها، وربما أرشى الولاة يمينا وشمالا، ولما طلب من محمّــد التواتي، الرجوع من باجة إلى قسنطينة رفض الرجوع إلى بلد، محمّد المسبح قــاض فيــه، إذ كــان موسوما بالرشا مغموصا بشهادة الزور.[3]

3/ فئة العلماء:

ويمكننا أن نضيف إلى الفئتين السابقتين، فئة العلماء، هذه الفئة انشغلت بتحصــيل العلــم الشرعي وتدريسه، وغالبا ما كانت تبتعد عن تعاطي أمور السياسة، وتقلد المناصب الرسمية من هؤلاء الشيخ عمر الوزان، الذي اعتذر عن قبول خطة القضاء بعد ما طلب منه حسن آغا ذلك، وهو نفس الاتجاه الذي سار فيه شيخ الفكون الحفيد إذ كان يكره تولّي المناصب الرسمية خاصة القضاء ويؤنب من يقبل تولّي هذه الأمور المخزنية.

وقد عانت هذه الفئة من عدّة معوقات من بينها غربة العلماء في هذا العصر، وهو ما أثــاره الوزان في رسالته السابقة إذ قال بأن العالم قد استوى بالجاهل بل إن العالم قد استعمل ما علم مــن وجوه الكيد والحيل ليتوصل إلى الدنيا ورياستها إلا قليلا من عبد الله .

وأولاد محمد الفكون نازلة تثبت تنافس العلماء فيما بينهم لتولي الوظائف والحضــوة عنــد السلطان فقد أفتى قاضي قسنطينة بمشورة عمر الوزان أن العالم لا تقبل شهادة مثله عليه ولا شــهادة

---

[1] الفكون : منشور الهداية، ص 75.

[2] المصدر نفسه، ص 85.

[3] نفسه، ص 90.

أسفل منه لأن العلماء على عدم قبول شهادة بعضهم فإنهم أشد الناس تحاسدا. كما منعوا شهادة الجهال على العلماء وأنهم أشد الناس لهم حسد[4].

كما اشتكى من قسنطينة بلدة الهوى فالمتصدي للحكم بين أهلها إما أن يقو بحق الله وإما أن يلتفت لما يرضي الناس أو يقوم بهما معًا [1].

و لم يكن العلماء بعيدين عن المضايقات فعندما نطالع كتاب العدواني نجد صاحبه متحفظ من السلطة التركية ويشير إليها باسم "مراد" كما أنه أشار إلى أمير تونس بحرين هما "ح" "ه" وقال عنه أنه يقرب الأعداء من الأعلاج، والنصارى وقد اقترح محقق كتاب العدواني اسم محمود باشا الذي تولى تونس وجاءه اللقب سنة 1065 (1656) [2].

وأشار الوزان أن العالم إذا قام بحق الله تثور ضده العامة والخاصة ويسعون به إلى الأمير ولا يزالون يسعون ويوغرون قلب الأمير عليه حتى ينحرف فيتوصلون إلى مقصودهم[3].

وذكر لنا الفكون يحي بن محجوبة الذي حاز رئاسة الفتوى والذي تعددت محنه مع دار السلطة وكثرت سجونه وأغرم مرارا. كما ذكر أن جده لأمه مزوار الشرفاء قد امتحن وأراد العسكر قتله وسُجل عليه أن لا يرفع قلما وأن لا يصعد لدار الإمارة، كما امتحن معه يحي بن باديس حتى أشرف على الهلاك، أمّا عبد العزيز النفاتي فقد سجن بقسنطينة لمغرم لواليها محمّد بن فرحات طلبه فيه فشح بإعطائه وقد توفي بالسجن، ولا يفوتنا أن نذكر ما لاقاه الفكون الجد وصديقه عبد اللطيف المصباح حينما قُبض عليه بمنطقة زواوة بعد وفادهما إلى العاصمة وحدوث ثورة مفاجأة بقسنطينة وهو ما ذكرناه سابقا[4].

ورغم هذه المضايقات فإن العلماء فيما يبدوا كانوا رافضين لمسألة الخروج على السلطة والنظام فقد أفتى يحي المحجوب عام 997 هـ في مسألة ثورة بالأوراس ضد السلطات العثمانية، ويبدو بأن أهل الأوراس، وقفوا مع هذا الثائر خاصة رجل يسمى عياد بن عياد، أفتى بعدم جواز

---

[4] محمد بن عبد الكريم الفكون: نوازل الفكون، مخطوط، ورقة 125.

[1] المهدي شعيب: أم الحواضر، ص ص : 138/137.

أورد فايسات في تاريخ قسنطينة رسالة الوزان لحسن آغا، ص 51.

[2] العدواني: تاريخ العدواني، ص 195.

[3] المهدي شعيب: مرجع سابق، ص ص : 139/138.

[4] الفكون: منشور الهادية، ص ص: 60-69.

الخروج ووجوب لزوم الطاعة واستشهد بقوله تعالى "يا أيها الذّين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم" [5].

[5] النساء، الآية، 59.

وقوله تعالى: "إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو ينفوا من الأرض" [1].

بل ذهب إلى أبعد من ذلك حينما وصف الثائرين بجهال البوادي الأجلاف وذهب إلى جواز بيع أموال الثائرين المحتجزة.

وهو نفس الاتجاه الذي سار فيه محمّد الشريف مزوار الشرفاء وجد الفكون الحفيد لأمهن والشيخ أبو عبد الله بن محمد الكماد[2].

كما اعتمدت السلطات العثمانية على العلماء في القضاء على الثورات وتهدئة الأجواء وقد مر معنا دور الفكون في إقناع سكان قسنطينة بالسماح للأتراك بالتمركز بالمدينة ودور الفكون الحفيد الحث على السمع والطاعة، خاصة بعد الفوضى التي أعقبت ثورة ابن الصخري بوعكاز عام 1637. فقد راسل الأتراك (يوسف باشا) محمّد ساسي البوني وطلبوا منه مخاطبة الناس وجبرهم على الهدوء والطاعة والتعاون لصد التمرد من أجل التفرغ لقتال المسيحيين وإخراجهم من وهران، فرد محمد ساسي إلى حسن باشا يوصيه بالرفق واللين مع المتمردين أنهم سوف يعدون طواعية وهو ما لم يلقى استجابة من السلطات التركية إذ عزمت على التمرد بالقوة[3].

ويبدو أن السلطة قد عرفت جميل العلماء فسمحت لهم بالإثراء فقد منحت عائلة الفكون امتيازات كبيرة سمحت لها بجمع ثروة وأملاك داخل قسنطينة وخارجها، وذكر الفكون صاحب النوازل أن الفقيه، عبد الله محمّد المدوري حبس أملاكه داخل قسنطينة وخارجها على أولاده وهو أبو عبد الله محمد الأكبر ومحمد الأصغر وعبد الله ثم على أولادهم الذكور والإناث وأولادهم كذلك باتفاق فإن انقرضوا عن آخرهم رجع شطره ذلك لقراء القرآن بالجامع والشطر الآخر للمساجد بالبلد المذكور[4].

---

[1] المائدة ، الآية 33.

[2] محمد بن عبد الكريم: نوازل الفكون، ورقات 222-224.

[3] Vayssettes; histoire de Constantine, p 78.

[4] محمد الفكون: نوازل الفكون، ورقة 273.

وعُرضت نازلة على الفكون الجد فحواها أن التاجر بن زروق عرف ببوثلجة قبض من الفقيه أبي الحسن الحمداني 50 دينار سليمانية على وجه القراض وسننه ليعمل بها فيما شاء من أنواع التجارة وما أفاء الله تعالى من الربح فهو بينهما نصفين[1].

إضافة إلى العلماء يمكننا أن نضيف الوافدين من خارج المدينة سواء كانوا تجارا أو باحثين عن العمل أو طلاب علم من المناطق المختلفة كالزاب، وزواوة والجزائر العاصمة وضواحيها ومن الخارج البلد خاصة المغرب الأقص.

4/ فئة اليهود:

كما كانت هناك فئة من اليهود فقد ذكر الفكون اليهودي المختاري الذي عمل في شرطة الأمير وقد تكلم في حق النبي – صلى الله عليه وسلم – وحكم عليه بالإعدام وقد لعب الفكون الجد دورا بارزا في إقراض هذا الحكم وعند احتضار هذا الأخير وقرب وفاته، طلب أن لا يبقى في الدار يهودي وأمر بطردهم، ولم يوضح لنا الفكون هل كان هؤلاء اليهود من الخدم أو الزوّار[2]. وقدّر نوا عدد اليهود بقسنطينة خلال القرن 18 بـ 5 آلاف من أصل 60 ألف نسمة.[3]

5/ فئة المرابطين:

ويمكننا أن نضيف إلى الفئة السابقة، فئة المرابطين التي كان عدد أفرادها بكثرة إلى درجة أنها أحدثت تأثيرا بالمجتمع، وهو ما جعل الفكون الحفيد يخصص تصنيفه "منشور الهداية" للحديث عن هذا التأثير. ومع هذه الفئة انتشر ما علق بالتصوف من إنحرافات وخرافات حتى لدى أرباب العلم كالإعتقاد في القطب والغوث وفي الأولياء من أنهم ينفعون ويضرون وإنتشار الحضرات الصوفية والوعدات، والإنشاد الصوفي وما صاحب ذلك من إستغلال أدعياء التصوف للعامة وظلمهم إياهم وأكل أموالهم بالباطل فأصبح الناس يخافون الأولياء، وارتبطت بهم قلوبهم لضعف إيمانهم، ومن طريف ما يحكي لنا الفكون أن المدعوا بوعكاز كان له ركب، فيقول لزواره، من يأتي بلا شيء يرجع بلا

---

[1] محمد الفكون، نوازل الفكون، ورقة 207.

[2] الفكون: منشور الهداية، ص ص 50-64.

[3] أنظر سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 152.

شيء فحدث أن رجل لم يجد ما يأتيه له إلا عيدا الخرشف أو عسالجه وقال له: يا سيدي لم أجد إلا هذا ! وقد إنعكس هذا إنعكاسا واضحا على الحياة، ليس في قسنطينة فحسب بل في الجزائر ككل،

ففي الوقت الذي كانت فيه أوربا تنطلق نحو العلم والتقنية متحررة من قبضة الكنيسة، كان المجتمع يغرق في هيمنة الأولياء، والحضرات الصوفية، وما صاحبها من بدع وخرافات وسحر وشعوذة.

ويبدوا أن هذه الخرافات كانت منتشرة بشكل واسع لدى الرجال والنساء معا فقد ذكر الوزان أنه على ثلاث رميات حجر، من المدينة (قسنطينة) يوجد حّمام مكوّن من عين ماء ساخن يتدفق بين أحجار ضخمة ويعيش فيها عدد كبير من السلاحف، تعتقد النساء إنها شياطين، وإذا أصيبت إحداهن بالحمى أو غيرها، تقول أن سبب ذلك يرجع إلى السلاحف، وللتخلص من الداء تذبح دجاجة بيضاء تضعها في إناء بريشها ثم تربط حول الإناء شمعات وتحمله إلى العين حيث تتركه وكم من الضرفاء تبعوا المرأة وهي تتوجه إلى العين حاملة معها الإناء والدجاجة فأخذوا الدجاجة بعد انصرافها فطبخوها وأكلوها[1].

ويمكننا أن نضيف إلى باقي الفئات كل من لم نتكلم عنهم من عامة الناس من تجار وصناع وحرفيين وعمال.

6/ بعض مظاهر الحياة الإجتماعية في قسنطينة:

يمكننا أن نلاحظ أن المجتمع القسنطيني كان يعيش في اضطراب وعدم استقرار وفد شاركت في صياغة هذه الحالة كثير من الأطراف منها السلطة الحاكمة وربما هي التي كان يشير إليها الفكون باسم الظلمة أو ممثليها من المخزن أو شيوخ الأحياء فقد وردت نازلة في نوازل الفكون أجاب عنها الفكون الحفيد جاء فيه " أن جماعة وقعت بينهم وبين شيخ جومتهم مكالمة فوشاهم إلى المخزن فطلب بعضهم وهدمت دورهم من غير أن يفعلوا ما يستحقوا به ذلك لا بالشرع العزيز ولا بالقانون السلطاني"[2].

و لم يكن الظلم محصورا على أهل المخزن بل تعداه إلى ذوي النفوذ والجاه فقد جاءت نازلة أجاب عنها الفكون الجد فيها أن رجلا من أهل الغصب والظلم والقهر وممن تُتقى شوكته لجاهه

---

[1] الوزان : وصف إفريقيا، ج2، ص 59.

[2] محمد الفكون: نوازل الفكون، ورقة، 194.

وعدم مراقبته لخالقه، وضع يده على أملاك شتى لأناس وأوقاف مساجد وأملاك بيت المـــال ويجعـــل على جميع ذلك مصوغات من صداقات ووصايا وبيعات لا حقيقة لها في نفس الأمر، لأنه لا يقف

على أحد من شهود بلده وغيرهم بطلبه للشهادة فيما يجعله من المصوغات إلا ويشهد له بها خوفـــا على أنفسهم وأولادهم مه لما يتقونه، ولقفول كلمته عند الأمراء بالشيطنة في الإسلام[1].

هذا وقد ساهم الأعراب في رسم هذه الصورة بغاراتهم وعدم انضباطهم فقد وردت نازلـــة فيها في " أوطان مخلفة عن جدهم رجل من الأعراب رجع إلى الصلاح حج بيت الله الحرام "[2].

أمّا اللصوص فهم مستغرقي الذمم الذين لا شغل لهم إلا شن الغارات وقطع السبل وانتـــهاك أموال المسلمين فتارة تؤخذ منهم باسم الزكاة وتارة باسم النهب من قبل أولياء الأمور[3].

ويعطينا الفكون عبارات أخرى كالحرابة، غمريان وهم اتباع قاسم بن أم هاني، العلمة وهم أتباع أحمد بوعكاز، العبابسة وزعيمهم العباسي الغازي، وأولاد عيسى وجماعة ريغـــة وهـــم مـــن اللّصوص كان هؤلاء يقومون بغارات السلب والنهب وقطع الطريق مما أدى إلى قلة الأمن خاصة إذا أضفنا الثورات التي شهدها البايلك كثورة بن الصخري عام 1637.

فوف ذلك فقد تعرضت قسنطينة لعديد من الجوائح فقد ذكر صاحب النوازل أن يحي بـــن سليمان الأوراسي طرحت عليه مسألة فيها " أن هذه الجهة قد كان بها عطش عام 987 هـــ الماضي و لم يضر الأرض إنّما ضرها جند الجراد "[4]، ويخبرنا عن الجراد الذي أصاب قسنطينة بـــين ســـنوات 1023 هـــ، 1025 هـــ حتى عم الأفق كثرته وأجدب السهل والجبل وطأته، حتى أنـــه في ســـنة 1024 جعل من واديها قناطير، وقد ذكر للفكون من يثق به حين خرج مع أهل البلدة لمحاربته، أنه يجاز على متنه عدوة الوادي وأنه يرفع أضخم حجر ويرضه به، فيمسك الحجر متنه، وقد تغير الوادي منه ما يزيد شهر وصار كالقطران لونا وأخرج ما به من الحشرات والحيتان حتى فزع له أهل البلـــدة في أول جريه، قبيل تغييره التغيير المذكور كبارا وصغارا يلتقطون الحيتان من الضفة، ويأتون بالأحمال

---

[1] محمد الفكون: نوازل الفكون، ورقتي 205-206.

[2] المصدر نفسه، ورقة، 148.

[3] نفسه، ورقة 219.

[4] محمد الفكون: نوازل الفكون، ورقة 228.

منه بعد نبذ أكلها خوفا من وبائها، وفي مدة التغير انقطع السقي من الوادي وفقد الماء فغلـــى ثمنـــه وصار الناس يسقون من العيون والآبار[5].

كما كانت قسنطينة عرضة للمجاعات والأوبئة خاصة الطاعون الذي أهلك كثيرا من الناس منها طاعون 1582م، و1603/1602 حيث تلاه جفاف وقحط استمر لمدة 9 سنوات، وقتـــل خلق كثير وطاعون 1622، كان ضحاياه باي قسنطينة حسن، وطاعون 1643 الذي أودى بحياة ثلاث علماء كبار بقسنطينة هم بركات بن نعمون، عبد اللطيف المسبح وبركات بن عبد المـــؤمن. وطاعون 1644 إذ مات منه 300 شخص في يوم واحد إضافة إلى الجفاف الـــذي ضـــرب عـــام 1647 كل المقاطعة وانتشرت جرّاءه المجاعة وارتفع ثمن الحبوب إلى درجة أن صاع واحد بيع بـــــ (3ريال) وصاع شعير بريال ونصف وانتشرت اللصوصية والقتل وعمت الفوضى بعد الاضـــطرابات السياسية وهو ما جعل العلماء على رأسهم الفكون يتدخلون ويرسلون للباشا في الجزائر ليرسل لهـــم حاكما لضبط الأمور فاختاروا لأنفسهم فرحات بن مراد باي. ثم طاعون عام 1073 الذي قتل في يوم 500 شخص في قسنطينة و50 من الضواحي منهم الشيخ الفكون الحفيد[1].

وقد وردت نازلة من نوازل الفكون تدل على الأزمات التي كانت تعـــاني منـــها قســـنطينة فالقفيز التونسي من القمح بلغ إثنا عشر دينارا ذهبيا، والرطل من الزيت أو السمن بـــاثنتي وثلاثـــين قفصي وكان ثمنه في غيره من السنين نصف دينار ذهب وبيع بذلك أعواما وانحط في بعض الســـنين، إلى ثلاث أثمان دينار ذهبي وقد كان ثمن كل رطل مما ذكر خمسة قفاصة إلى غير ذلك مـــن شـــدة الاختلاف في أثمان المطعومات وغيرها[2].

ويعطينا صاحب النوازل معلومات أخرى عن المجتمع القسنطيني، فسكان الأريـــاف كـــانوا يوقدون النيران على رؤوس الجبال عند دخول رمضان أو خروجه في نازلة طرحت على عمر الوزان

---

[5] الفكون، محدد السنان، ورقة 14.

[1] أورد هذه الأخبار كل من فايسات في تاريخ قسنطينة، وبن العنتري في الفريدة المنسية في صفحات مختلفة.

[2] محمد الفكون: نوازل الفكون، ورقة 71.

" عن قوم أفطروا لتسع وعشرين من هلال شوال برؤية النار على رؤوس الجبال وهذا لجريان العادة القبيلة لأن القبيلة التي ترى الهلال توقد النار على رؤوس الجبال علامة للصيام أو الإفطار "[3].

كما تُبين لنا بعض النوازل جانب من طبيعة العلاقات الأسرية في قسنطينة، منها أن البنت قد تزوج بغير رضاها في النازلة التي طرحت على الفكون وفيها أن زوجا مات وترك بنتا ولها عم مبغض فيها شهد على أبيها أنه أنكحها لولد قريب له طريه المنظر، و لم يثبت ذلك إلا بشهادته خاصة والبنت

منكرة لذلك ونافرة من الولد كلّ النفور وأجبرها على نكاح الولد وعقد عليها من غير رضاها ولّما بنى بها هربت من عند الولد وذهبت إلى دار أمها ومكثت عندها ما يزيد على السنتين والأم والأقارب يراودونها على الرجوع فأبت ذلك[1].

ويخبرنا عن صورة من صور الخلع وهو طلاق شرعي في نازلة أجاب عنها الجد محمد (جد صاحب النوازل من أن رجل كان له زوجة أساءت عشرته وأرادت أن تفارقه وهو يريد إمساكها فألحت عليه مرارا وامتنع عن ذلك ثم بعد ذلك طلبت منه أن تترك عليه كاليها وتفتدي منه بـ 100 دينار مع الكالي فأجابها إلى ذلك بشهادة عدلين من عدول بلدهما، وذلك كله عن رضى منها بعد أن أسكنها بين أناس صالحين نحو السنة)[2].

وفي نازلة تعطينا معلومات عن بعض الإنحرافات الأخلاقية والعادات السيئة خاصة في النكاح أجاب عنها عمر الوزان فيها: "أن البنت اليتيمة قبل البلوغ أو بعده وكذا إذا زوجت إلى غير كفؤ في النسب مع عدم الوكالة إذا خيف عليها الفساد، هل لوليها جبرها على النكاح ممن لا ترضاه أم لا؟ وكذلك إذا امتنعت عن النكاح وظهرت علامة تدل على فسادها، هل للأولياء جبرها على النكاح أم لا؟ ومنها الرجل يكون مع المرأة في الحرام تم وبعد وضع حملها بمدة يسيرة كالشهر ونحوه يستفتي فيها ويدّعي عدم قربها في تلك المدة فهل يقبل قوله أم لا؟ والقبلة والمباشرة بالزنى في العدة هل لها أثر في التحريم أم لا؟ ومنها المرأة المتهمة بالزنى يجب استبراؤها أم لا، وهل تجري على مسألة سوء الظن، وهل تمنع البكارة دخول المني؟ ومنها ما يصنعه القبائل في أنكحتهم وذلك أنهم يفرضون الصداق، لكن لا تتصل المرأة إلا بكسوتها أو دونها فهل هذا النكاح إذا استوفى شروطه؟ ... ومنها ما يصنعه

[3] نفسه، ورقة 08، 09.
[1] محمد الفكون: مصدر نفسه، ورقة 37.
[2] نفسه، ورقة 39.

القبائل أيضا من سيرهم الركيكة التي يتتره العاقل بالنطق بها لولا ما يعرض من وجوب السؤال ذلك أن المرأة تمكث عند الرجل ما تمكث ثم تهرب إلى رجل آخر من غير طلاق فيقع التراع"[3].

وفي نازلة يظهر انتشار الجهل بأركان الدين الهامة فالمجاور لهؤلاء القوم يقع بينهم الخصام فيتحاكمون غليه في أشياء معلومة كالقتل والجراح والسرقة والحريق وما يجري مجرى هذا من الأموال

ويتركون الأمور المنعمة كالنكاح والطلاق والصلاة والزكاة ومعرفة ما يخلّصه مع الله هل يتركون لقوله – صلى الله عليه وسلم – عليك بخويصة نفسك أم يبدل المجهود ما استطاع ويبدل المنكر ما أمكن[1].

وتخبرنا نازلة بأن أهل البادية كانوا لا يمتثلون للأحكام الشرعية، وأن المرأة الناشز كانت تعزل ببيت منفصل وقد أجاب عنها الفكون الجد، فيها أن رجل تزوج امرأة ثيب من أهل البادية من خارج بلده ومن شأنها الفرار والنشوز من بلاده إلى بلاد القبائل التي لا تنالهم الأحكام الشرعية ووقع بينهما شنئان وترافعا إلى قاضي بلده، وأسكنها القاضي بدار العدل، والحال أن الدار التي أسكنها بها ليس عليها فيها حاجز ولا بواب، ولا باب دار يقفل عليها فيها ليلا فهل لا يسكنها إلا بدار تقفل عليها، ولا يدخل عليها أحد من أقاربها إلا يوم الزيارة يوم الجمعة كما جرت العادة الإفريقية[2].

كما وردت نوازل تصف لنا التفكك الإجتماعي الذي يعاني منه المجتمع القسنطيني كالطلاق مثلا ومن هذه النوازل تلك التي طرحت على أبو زكرياء يحي المحجوب فيها أن امرأة بنى بها زوجها مدة عام ثم أن الزوجة سيئة الخلق وأساءت عشرته، والزوج محاسن لها ثم إنها اشتكت بالمرض، فرفعاها والداها بقصد تمريضها، فتخلفت على الزوج، وعزموا على طلاقتها منه فإمتنع الزوج من طلاقها وأرادوا عدم السكن مع والده، وأن والده هو المنفق عليه وعلى زوجته وأمته، من كون الزوج قليل التكسب لا يكسب من مال الله شيئا[3].

---

[3] الفكون:كتاب النوازل، ورقتي، 43، 44.

[1] الفكون، كتاب النوازل، ورقة 44.

[2] نفسه، ورقتي 40، 41.

[3] الفكون: كتاب النوازل، ورقتي 54 –55.

ونازلة أخرى أجاب عنها قاسم الفكون فيها أن رجل له امرأة بنى بها ومكثت عنده مـــدة ثم هي الآن تكرهه وأساءت عشرته، وخيبها أهلها عليه حتى ضيقت به في السكنى والنفقة، وبعد ذلك خرجت من البلد إلى البادية مع غير محرم وتمنعت عليه[4].

كما يعطينا صاحب النوازل صورة عن بعض الحرف التي كانت تمارسها المرأة القســـطنطينية من طرز وخياطة ونسيج في نازلة عرضت على الفكون الحفيد فيها أن "رجل مرض وله إبنة وإعترف

في مرضه المذكور بأن لها في ذمته دينا من تركة والدها المتوفية في عصمة نكاحه. ومن خدمة البنـــت المذكورة ما استفادته من الطرز والخياطة مدة"[1].

وفي جواب نازلة أخرى للشيخ يحي المحجوب أن عادة غالب أهل قسنطينة أنهم لا يكســـون الزوجة ويكلون ذلك لما إستفادته من طرز وغزل ونسيج ومما يدخل على بعضهن من الغِلّات[2].

كما وردت صور عن غلاء المهور والتباهي بها في جواب نازلة لنفس الشيخ في قوله "هذا تنقيح نفيس لم نرى من تكلم عنه سوى الفضلاء من علماء تلمسان وفي عهدنا هذا جرى عرف بلـــدنا برفـــق الصداق والتفاخر بكثرة الشوار، ومن لم يفعل ذلك فتلحقه وتلحق ابنته المعرّة وعدم الحضـــوة عنـــد الزوج" فسار عندهم عرف جاري، يغتم من كان له بنت أو بنات من وجودهن عنده ويصدق عليه قوله تعالى: "وإذا بشر أحدهم بالأنثى ضل وجهه مُسْودًا وهو كظيم"[3].

ونازلة أخرى عرضت على نفس الشيخ فيها أن رجلا عقد النكاح على ابنـــة مـــن ذوات الأقدار بصداق مسمى زائد على صداق أمثالها من أقرانها على مثله فقيل لماذا رفعت في صداقها قـــال لأنها ليست كقرابتها ليسارها وجمالها[4].

[4] المصدر نفسه، ورقة 60.

[1] الفكون: كتاب النوازل، ورقة 38.

[2] نفسه، ورقة 54.

[3] النمل الآية، 48.

[4] الفكون: كتاب النوازل، ورقة، 46.

ويعطينا نفس الصورة عن الأمراض التي كانت منتشرة في ذلك الزمن من خلال نازلة فيها أن رجل أراد الزواج بامرأة فلما عزم على البناء خرجت "بالبنت حبة" فقيل أنها العذر المسمى بالإفرنسي وأراد الزوج ردّها للعيب الذي فيها.

والإفرنسي نوعان نوع منه يصيب الإنسان أوراما ثم تتفجر بالصديد فإذا برأت تبرأ عن شيء من تغوير وانكماش جلد ويترقب عودته لأن الأدوية مسكنة لا قاطعة إلا في النادر، فهذا النوع أجمع الأطباء على أنه نوع من أنواع الجذام، ومن عادته أنه يمكن في الجسد فتُرد به المرأة والنوع الثاني فيه خروج حبوب تنتشر في سطح البدن يخرج منها أوعا يبرأ بالمقانات من كل المسخنات والمراهم المقرعة فإذا يبرأ من غير شيء ويذهب أثره[5].

المبحث الثالث: الأوضاع الثقافية.

المطلب الأول: الأوضاع الثقافية في الجزائر عموما.

حين نتكلم عن هذا الجانب نورد الملاحظات التالية:

1/ أن التعليم بجميع مستوياته كان منتشرا في المدارس والمساجد وفي الزوايا التي أخذت تنتشر وكانت حلق التدريس حول كل أستاذ مشهور سواء في المدرسة أو الجامع أو الزاوية هو المنبع الذي ينهل منه تلاميذ وطلاب القرن 09 هـ وهو نفسه المنبع الذي يغذي أجيال المتعلمين المسلمين بثقافة تقليدية، وقد غلبت الروح النظرية على هذا التعليم الذي لم يخرج عن علوم الدين واللغة، والإهتمام بالفروع الفقهية على مذهب الإمام مالك[1].

2/ من المعروف أن الأتراك كانوا حنفية المذهب، ورغم ذلك فلم يفرضوا مذهبهم على الناس، و لم يعملوا على نشره بل قاموا بتعيين المفتي المالكي وتقريبه إلى جانب المفتي الحنفي، ومنحوا له سلطات واسعة ومن ذلك أنهم قرّبوا إمام وخطيب الجامع الكبير بالعاصمة محمّد الخروبي واستعملوه في السفارة بينهم وبين أبي عبد الله المهدي الشريف الحسني، ومنحوا له سلطات واسعة فورد المغرب

---

[5] المصدر نفسه، ورقتي 40 ، 41.

[1] سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 46.

ودخل مدينة فاس،وكانت هذه السفارة عام 661 هـ[2]، ومن ذلك أيضا تقريبهم لعائلة الفكون وإعطائهم مختلف الامتيازات خاصة قيادة ركب الحج.

3/ ظهرت في هذه الفترة عقيدة المرابط وانتشار الزوايا وافتتاح عهد التصوف العملي وهذه الظاهرة سوف نجدها تزداد انتشارا وإغراقا في القرون الثلاثة اللاحقة للعهد العثماني، وظهرت المبالغة في الاعتقاد في الشيخ وإبتداع الحضرة والأوراد، وانتشار الأضرحة، وهو ما كان له شيئان خطيران أولهما تبسيط المعرفة وغلق الاجتهاد والإكتفاء بالحد الأدنى من التعليم فأصبحت الزاوية تنافس الجامع والمدرسة بل تفوقت عليهما، فلجأ الجميع إلى تبسيط العلوم المدرسية وزاد التنافس بين الطرفين بحثا عن لقمة العيش، فبينما كانت الأديرة في أوربا تدافع عن نفسها كانت الزاوية في محل الهجوم[3].

هذا الإنحراف وانتشار التصوف العملي، والغلو في نسبة الكرامات للأشياخ جعل طائفة من أهل العلم تنتفض ضد هذه الحالة العامة وتدعو إلى الرجوع إلى التصوف الصحيح أو التصوف السلفي ومن أبرز هؤلاء أبي الحسن الصغير الذي ألف كتابا انتقد فيه البدع الصوفية، وهو ما لم يرضي الشيخ محمد بن يوسف السنوسي الذي ألف كتابا يرد عليه.

ومن أشهر من انتفض ضد إنتشار التصوف العملي الشيخ محمّد بن مرزوق الحفيد في رسالة أسماها" النصح الخالص في الرد على مدّعي رتبة الكمال الناقص"[1].

وهو نفس الاتجاه الذي سار فيه كل من الشيخ الفكون القسنطيني الحفيد ومحمّد بن سليمان صاحب كعبة الطائفين. ورغم ذلك لم تكن الجزائر خلو من التعليم فعندما دخل الأتراك إليها كانت هناك قاعدة من التعليم ترجع إلى العهد الحفصي في الشرق والزياني في الغرب.

أ- الحياة الثقافية في الجزائر العاصمة.

شهدت الجزائر العاصمة حركة علمية نشطة، قائمة على دراسة العلوم الدينية خاصة، وقد قدّر هايدو عدد مساجد العاصمة بنحو 100 مسجد منها 07 مساجد كبيرة[2]، أما التمغروطي فقد

---

[2] الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1985، ص ص 490-489.

[3] سعد الله: المرجع السابق، ص ص 48 – 49.

[1] سعيدوني: الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، ص 173.

[2] HAEDO: topographie et histoire .. p p, 213.218.

تحدث عن الجزائر أواخر القرن 16م / 10 هـ ويخبرنا أن بالعاصمة الجامع الكبير وإمامه مالكي وفيه ثلاث خطب أحدها للترك وهو حنفي.

وغالبا ما كانت المكتبات تلحق بالمساجد وتوقف على الطلبة والقرّاء والأساتذة، وكانت تشتمل على الكتب الدينية وقد توجد في بعض المساجد كتب أخرى في الطب والتاريخ والرياضيات، كما كانت تلحق بهذه المساجد الكتاتيب لتحفيظ القرآن والزوايا المبيت الطلبة والميضات والعيون للطهارة والاستحمام[3].

ولعل من أبرز علماء الجزائر العاصمة من الذين تولوا الافتاء في العاصمة إمام الجامع الكبير والذي عاصر الفكون الحفيد، سعيد قدورة المتوفي عام 1066 هـ، والذي له اسهام كبير في الحركة العلمية بالجزائر خاصة إذا علمنا أنه تمكن من بناء زاوية ومدرسة بالعاصمة ومن أوقاف الجامع الكبير[4].

ومن أبرز مشاهير الجزائر أيضا أبو مهدي عيسى الثعالبي المتوفي عام 1080 هـ والذي تتلمذ على جماعة منهم سعيد قدورة. وعبد الكريم الفكون القسنطيني وقد تصدى لنشر العلم في الجزائر، وقرّبه أرباب الدولة[1].

ومن الذين برزوا أيضا يحي بن محمد بن محمد النايلي الشاوي، الملياني الجزائري المالكي وهو إمام زمانه في الفقه والأصول والمنطق والنحو والبيان ولد بمدينة مليانة ونشأ بمدينة الجزائر، قرأ بالمدينتين على يد عدة شيوخ، منهم، الشيخ محمد بن محمد بهلول، والشيخ سعيد قدورة مفتي الجزائر ومهدي الثعالبي وروى عنهم الحديث والفقه، حج بيت الله الحرام 1074، فحل بمصر وأجازه جمع من مشايخها كما زار استانبول فحضي بتكريم بالغ لعلمه ثم راجع إلى مصر ثم استنابول من جديد، حيث درّس بالبلدين، وله كثير من التأليف منها، "حاشية على شرح أم البراهين السنوسي" و "نظم

[3] سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 256.
[4] سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 243.
[1] الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ص ص 83 – 84.

لامية في إعراب لفظ الجلالة"، ومؤلف في أصول الفقه، وله شرح التسهيل لإبن مالك وحاشية على شرح المرادي وقد توفي في الطريق إلى الحج عام1069 [2].

ب- الحياة الثقافية في تلمسان:

لم تكن تلمسان تختلف عن الجزائر العاصمة فقد كانت قاعدة ثقافية كبيرة بما أنشئت فيها من مدارس سواء من قبل بني زيان أو بني مرين أثناء إحتلالهم للمدينة. ويعطينا صاحب البستان بعض أسماء هذه المدارس منها مدرسة العباد والجامع الأعظم والمدرسة اليعقوبية والمدرسة التاشفينية، إضافة إلى كثير من المساجد والزوايا والكتاتيب المنتشرة هنا وهناك[3]. وقد ساهمت هذه المدارس أدت إلى ظهور كثير من العلماء وظهرت عائلات اشتهرت بتعاطيها العلم كابرا عن كابر كعائلة العقباني، وعائلة المقري وغيرها. غير أن تلمسان سوف تفتقد كثيرا من بريقها، خاصة بظهور الإسبان واحتلالهم لمدينة وهران والتدخل في شؤون تلمسان ثم دخول المدينة تحت سطوة الأتراك، وهو ما

جعل كثير من العلماء يتركون البلد ويتوجهون إلى الخارج خاصة المغرب الأقصى ومن أشهر هؤلاء أحمد الونشريسي، وأحمد المقري وغيرهم.

وصف الوزان تلمسان بأنها مدينة تظم 16 ألف كانون، وأنها تظم مدارس كثيرة جميلة وخمسة مدارس حسنة[1].

ويخبرنا بن سليمان أنه كان بتلمسان على عهده مدرستان هما مدرسة سيدي الحلوي ومدرسة أبي مدين، ويخبرنا أن كلتيها ترجع للأندلسيين، وكان بها أيضا جامعان للجمعة ومدرستان للطلبة وزاويتان لهما أحباس كثيرة، ومياه غزيرة، ثم دعى بالرحمة على من تسبب في عمارة المدارس والمساجد وبالسخط والغضب على من سعى في تخريب الأحباس وتغيير مقاصدها، وكان الخطيب

---

[2] محمد بن فضل الله المحبي: خلاصة الأثر في أعيان الحادي عشر، مكتبة خياط، بيروت، لبنان، دون تاريخ، ج3، ص ص 487-488.

[3] بن مريم التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر دون تاريخ ص ص 39،40، 43 ، 65.

[1] الوزان: وصف إفريقية، ج2، ص 19.

والمفتي بالجامع والأعظم على عهده محمّد الحاج بن قاسم الموبل ويطلق عليه لقب شـيخ الإسـلام ووصفه بأنه ماهر في قراءة البخاري وعلم الحديث عموما[2].

ويبدو صاحب "كعبة الطائفين" محمّد بن سليمان غير راض بالوضع الذي آلت إليه تلمسان هو ما يدل على أن أوضاعها تغيرت لأسباب التي ذكرناها سابقا فهو يقول عن تلمسان الجامعة بـين التل والصحراء بأنها تعمل الشأن لمن لا شأن له ويكفيك منها ماؤها وهواؤهـا، وهـي ذات أنهـار وأشجار وفواكه وثمار، وخصها الله بحب الملوك حتى صارت مطعمة للملوك وهي غاية الصالحين لأنها بلد ذل وخمول، والعلم فيها يثور وهي قرية الجدار على ما قيل[3].

رغم هذه الحالة فإن الحالة الفكرية لم تتوقف بل تواصلت ولعل من أبرز علماء تلمسـان في هذه الفترة معاصر الفكون، أحمد المقري صاحب نفخ الطبيب المتوفي عام 1631/1041 والـذي ترك تلمسان وهاجر منها تحت تأثير الظروف السالفة الذكر متوجها إلى المغرب الأقصى حيث تـولى الإمامة والخطابة والفتوى بجامع القرويين بفاس عام 1022 هـ، وقد اشتهر بموقفه الرافض لإصدار فتوى التنازل عن ميناء العرائش من قبل المأمون لصالح طاغية الإسبان، وقد تـرك المقـري المغـرب الأقصى بعد اضطراب أحواله معرّجا على الجزائر وتونس وسوسة وصولا إلى مصر ثم الحجاز[4].

وقد كانت للمقري مراسلات ولقاءات مع كل من سعيد قدورة مفـتي الجزائـر، وعـالم قسنطينة الشيخ عبد الكريم الفكون الحفيد.

وأعطانا محمّد بن سليمان ولعل من أبرز علماء الجزائر العاصمة من الذين تولوا الإفتاء في العاصـمة إمام الجامع الكبير والذي عاصر الفكون الحفيد، سعيد قدورة المتوفي عام 1066 هـ، والـذي لـه إسهام كبير في الحركة العلمية بالجزائر خاصة إذا علمنا أنه تمكن من بناء زاوية ومدرسة بالعاصمة من أوقاف الجامع الكبير[1].

أسماء شيوخه الذين قرأ عليه نذكر منهم الجيلالي بن رقية التلمساني، الذي حفظ القرآن على يديه وخليفة بن عيسى الراشدي، قرأ بمحاجة عقائد السنوسي والأجرومية والقرطبي.

---

[2] سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ج1، ص 228.

[3] المرجع نفسه، ج1، ص 167.

[4] أبي العباس أحمد المقري: رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، تحقيق محمّد بن معمر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشـر والتوزيـع، الجزائـر 2004، دون،ر،ط.

[1] سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 243.

الحاج محمد بن قاسم الموبل، الشيخ المفتي الذي قرأ عليه بتلمسان بعض الرسالة وصحيح البخاري وتفسير القرآن للثعالبي والحكم العطائية كما قرأ على الشيخ أبو الحسن على الميناوي في مسجد سيدي عيسى مختصر قليل.

كما قرأ على محمد بن علي أنكروف الرسالة، ومختصر خليل والسلم المرونق والسراج والألفية وصحيح البخاري.

وعلى سعيد الشريف الهيلالي تفسير البقرة وصغرى السنوسي.

كما قرأ على عيسى البوسعيدي الهنتاني الذي قدم عليهم من فاس، كذا بلقاسم بن سليمان القلعي قرأ عليه في مستغانم تحقيقا مختصر خليل وعقائد السنوسي كما قرأ الأجرومية، والألفية في مستغانم على يد كل من، بلقاسم بن عثمان الدارجي، وعبد الرحمن الؤلؤي ومحمّد الزهري.

كما قرأه على محمّد بن علي العبدلي الوطاسي صحيح البخاري والتفسير[2].

كما ظهرت عائلات أخرى اشتهرت بالعلم كالمنجلاتي والمشدالي ببجاية كما اشتهرت مازونة بمدرستها الكبيرة التي خرجت عددا جما من الفقهاء مثل موسى بن عيسى صاحب ديباجة الافتخار وحلية المسافر وابنه يحي.

[2] سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ص 218.

المطلب الثاني: الأوضاع الثقافية في قسنطينة خصوصا

أ- تأثير تونس في الحياة الثقافية في قسنطينة

اكتسبت قسنطينة شهرة واسعة في المجال الفكري منذ العهد الحفصي فقد ذكر ابن القنفذ أن الأمراء كانوا يقدرون العائلات العريقة والعلماء ووجهاء القوم ويحترموهم، كما كانوا يفضلون الإقامة بقسنطينة دون غيرها ويقتربون من السكان لدرجة أهم كانوا يعرفوهم بالعين والإسم[1].

وتواصلت أهمية المدينة على العهد التركي كون وهران ظلت تحت الحكم الإسباني إلى سنة 1205 وكون تلمسان ضعفت مكانته خلال هذا العهد وقد اكتسبت قسنطينة التي دخلت الحكم العثماني حوالي سنة 932 أهميتها من عدة عوامل منها أنها مدينة داخلية ومحصنة طبيعيا وبعيدة عن غارات العدو البحرية التي طبعت هذه الفترة، وبعد قسنطينة عن العاصمة حيث كان حكامها شبه مستقلين عن السلطة المركزية وكذا قربها من تونس[2]، فقد كانت التبادل الثقافي بين قسنطينة وتونس على أحسن حال ويخبرنا الوزير السراج عن عاشور بن موسى الفكيرين، المتوفي عام 1074 هـ، 1664م والذي جال في ملك الله، ومكث ببلدة قسنطينة مدة ثم ارتحل عنها لمظلمة أصابته فيها ولما قدم حضرة تونس، تحقق أنها تجبر قاصديها وتؤنس، فسكن بها ودرس بجامعها الأعظم الزيتونة وكان ذا كرم وفضل قل أن يوحد في غيره[3].

كما لأخبرنا صاحب المنشور عن الجد يحي الفكون الذي انتقل لتونس لواقعة بل وقائع وصاهر الشيخ الزّنديوي واستخلفه في إمامة جامعها الأعظم تم استقل بالإمامة وتزوج بها حفيدة الشيخ البرزلي وولد له منها بنت[4].

وقاسم الفكون الذي تولى إمامة جامع البلاط بتونس حين انتقل والده إليها به، ومن شيوخه الشيخ مغوش الذي طبق حفظه الأرض وهو أشهر من أن يذكر، قيل أن خير الدين قد نفى الشيخ مغوش بعد إحتلاله لتونس فهاجر إلى الأستانة[5].

---

[1] ابن قنفذ : الفارسية، ص 165.

[2] سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 174 .

[3] الوزير السراج: الحلل السندسية، ج2، ص ص 248،249، من خلال حديث الوزير السراج عن عاشور المذكور نجد تشابها كبيرا بينه وبين الفكون الحفيد وجده الذي مات بتونس حتى يتبادر لنا أن الكاتب وقع له خلط بن الفكيرين والفكون.

[4] الفكون: منشور الهادية، ص ص 42-43.

ب- وجود المدارس والمكتبات:

إضافة إلى هذا التأثير التونسي فإن قسنطينة رغم الوضع السيئ الذي رسمه لهما كل مكن الوزان والفكون الحفيد، إلا أنها لم تكن خالية من الحركة العلمية فقد بنيت المساجد والزوايا، حيث لعبت دورا كبيرا في نشر العلم ووفرت الزوايا، مراكز يستقر بها طيلة العام الذي يأتون من خارج المدينة، ومن أبرز هذه المساجد المسجد الكبير الموجود ببطحاء السويقة والذي يعود تاريخ تأسيسه إلى زمن الموحد، وهو المسجد المركزي بقسنطينة على عهد الأتراك[1].

وذكر الفكون أن هذا المسجد المسمى بالجامع الأعظم قد ألحقت به مكتبة تتكون من خزانتي كتب[2].

ومسجد سيدي أبي العباس قرب رحبة الجمال[3]

ومسجد الشيخ عبد الهادي [4]،

ومسجد سيدي علي بن مخلوف[5]

أما الزوايا فمنهما زاوية الفكون التي بنيت على عهد الفكون الجد، زواية الشيخ الوزان وبن أفوناس، وزاوية بن نعمون[6].

وزاوية باش تارزي، وزاوية حنصالة[7].

وإضافة إلى المكتبات الملحقة بالزوايا والمساجد هناك المكتبات الخاصة التي كانت ترجع للعائلات ومن أبرز هذه المكتبات مكتبة الفكون، والتي أنتهبها الفرنسيون، حيث كانت في ملك الشيخ حمودة الفكون وذكر أنهم وجدوا بها نحو 2500 مجلد كلها في حالة جيدة. وقد اشتملت

[5] نفسه، ص 43.

[1] المهدي شعيب: أم الحواضر، ص 332.

[2] الفكون: منشور الهداية، ص 36.

[3] نفسه، ص 45.

[4] نفسه، ص 77.

[5] نفسه، ص 96.

[6] نفسه، صفحات، 37، 45، 50، 80.

[7] المهدي شعيب: أم الحواضر في الماضي والحاضر، ص ص 255، 256.

أكثر من 50 كتابا في الفقه والعقيدة وثلاثون في التوحيد/ ثلاثمائة في الحـــديث، 11 في مصـــطلح الحديث، 130 في علوم القرآن، 300 في الفقه على المذاهب الأربعة، أربعون في التصوف[8].

ومن الكتب التي جمعها الفرنسيون بعد حملتهم على قسنطينة

1. كتاب الجمان في مختصر أخبار الزمان للشطيي الأندلسي.
2. شرح بانت سعاد لابن هشام.
3. الحماسة مع شرح أبي علي.
4. المعلقات السبع للتبريزي.
5. المتسلح من التكملة.
6. الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية للمناوي.
7. مقامات الحريري.
8. شرح مختصر خليل للخرشي.
9. الزهرة النيرة (تاريخ خير الدّين)[1].
10. ميزان الشعراني عن المذاهب الأربعة.
11. المؤنس في أخبار إفريقية وتونس للقيرواني.
12. نفح الطيب للمقري.
13. مروج الذهب للمسعودي.
14. فتح الحصون السبعة.
15. الصحاح للجوهري.
16. القاموس المحيط.
17. شرح شواهد المعني للسيوطي.
18. كتاب التكملة في شرح المفصل (في النحو) للزمخشري.
19. جغرافية الإدريسي.

---

[8] سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص ص 305، 306.

[1] سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ص 303.

20. كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج لأحمد بابا.
21. فضائل الشيخ يعقوب الدهماني.
22. كتاب الأغاني الكبير للأصبهاني.
23. مجموعة شروح في الحساب.
24. شرح بن الهيثم عن إقليدس، وشرح آخر عنه للجياني.
25. مقالة النسبة والتناسب لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم، ومقالة في شرح النسب وأخرى في الشكل الملقب بالقطاع، ورسالة البركار وكيفية التخطيط له، وعدة مقالات عن أواوطقيوس ومقـــالات في التنجيم والأرصاد.
26. النهاية في غريب الحديث.
27. ديوان امرئ القيس.
28. يتيمة الدهر للثعالبي[1].
29. الإبريز المسبوك للأربيلي.
30. كتاب الأنس الجليل للحنبلي.
31. سراج الرواة للسيوطي.
32. الأمثال للميداني.
33. تاريخ بني عباس لمجهول.
34. بيان ملوك الجزائر.
35. الإنشاء للحنبلي.
36. فتوح إريقية.
37. تاريخ الطبري.
38. التذكرة لمقريزي.

ج- وجود العلماء وطلبة العلم:

[1] سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ص ص 304، 305 .

إضافة إلى ما ذكرناه من توفر المدارس والكتب والمكتبات كانت قسنطينة قبلة لطلب العلم داخل البلد وخارجه، خاصة من بلد زواوة والجزائر العاصمة، وميلة ومن المغرب الأقصى وتونس ويرتادون الزوايا، ويأخذون العلم عن مشايخ قسنطينة.

وقد أعطانا الفكون أسماء كثير من هؤلاء الطلبة منهم محمّد بن راشد الزواوي وأحمد بن تكفة وحميدة بن باديس القسنطيني ومحمّد الفاسي ومحمّد السوسي الفاسي.

ومن تونس الشيخ أحمد برناز أخذ في قسنطينة عن بركات بن باديس المفتي[1].

كما تحدث الفكون عن الزيارات التي كان يقوم بها أهل العلم من تونس لقسنطينة مثل محمد تاتج العارفين، الذي راسل الفكون أثناء تواجد بالجزائر للصلح مع تونس عام 1037 هـ، وإبراهيم الغرياني وإبراهيم الفلاري التونسي، الذي وقع بينه وبين الفكون الحفيد شبه تحد في مسائل نحوية[2].

إضافة إلى ما ذكرناه وجود طبقة من المشايخ ممن تصدوا لمهمة التدريس والفتيا والقضاء وكان أغلبيتهم يعيشون على تراث جمع من المشايخ منهم عمر الوزان، وعبد الرّحمن الأخضري، البنطيوسي، وقد قدّم لنا الفكون أسماء كثير من هؤلاء المدرّسين منهم: محمّد العطّار الذي إنتقل إلى تونس ودرس بها وعاد إلى قسنطينة وقام بمهمة التدريس[3].

وقاسم الفكون الذي تولى إمامة جامع البلاط بتونس، ممن فاق عصره في علم المعقول، وقد حضر دروس الوزان وأثنى عليه، كما اشتغل بالتفسير ومنهم محمّد الكماد من تلاميذ الوزان، وعبد اللطيف المسبح. متفوق في الحساب متفنن في الفقه، صاحب الشرح على مختصر الأخضري، ومنهم عبد الكريم الفكون الجد إمام وخطيب الجامع الأعظم ممن يرجع إليه في النوازل والأحكام[4] . ومنهم الشيخ الأستاذ التحرير النحوي آخر المتكلمين لسان حجة المسلمين محمّد التواتي انتشر علمه وأقبلت إليه الطلبة وإنتفعوا وكثر بحثه وعلت عارضته، وحصلت له مشاركة في الأصول والمنط والبيان، وله سند في قراءة عقائد السنوسي.

---

[1] المهدي شعيب: أم الحواضر، ص 88.

[2] أنظر الفكون: منشور الهداية، ص 110 و ما بعدها.

[3] الفكون: منشور الهادية، ص 38.

[4] نفسه، ص ص 43، 47.

ومنهم حميدة بن باديس من بيوتات قسنطينة وأشرافها إمام جامع القصبة وآل بـــن بـــاديس عموما أهل صلاح وعلم وعمل[5].

من كل ما سبق يتبين لنا أن عصر الفكون كان عصر السيطرة التركية على الـــبلاد كلـــها، عدى مدينة وهران التي ضلت تحت السيطرة الإسبانية إلى غاية 1792م حيث سيتم تحريرها.

و لم يخلوا عصر الفكون من الاضطرابات والثورات كان من أبرزها وأخطرهـــا ثـــورة ابـــن الصخري بوعكاز زعماء الذواودة عام 1637 والتي كادت أن تعصف بالتواجد التركي خاصـــة في بايلك الشرق، وربما يعكس ذلك عقلية الأتراك التي تميل إلى القسوة مع الأهالي، في أسلوب تعاملهم مع هذه الثورات.

أمّا من الناحية الدولية، فقد تكالبت الأمم الأوربية على الجزائر، وقد لعـــب الأتـــراك دورا إيجابيا طرد الصليبيين من البلاد والتصدي لغاراتهم.

أما من الناحية الاجتماعية فرغم تأثيرات الترك في بعض جوانبها فإن من أبرز هذه التأثيرات ظهور فئة الكراغلة كفئة جديدة في المجتمع الجزائري، ورغم ذلك يفي الأتراك معزولون عـــن بـــاقي المجتمع خاصة في الأرياف، وبقيت العلاقة بينهما علاقة سيد بمسود.

و لم تكن الأحوال الاجتماعية على أحس ما يرام بانتشار اللصوصية وعـــد الأمـــن والظلـــم السياسي، وإنتشار التصوف بشكل مريع.

لم تتوقف رحى الحركة العلمية بل إستمرت وظهرت طبقة من العلماء، خاصـــة في العلـــوم الدينية.

[5] نفسه، ص ص 57، 58.

الفصل الثاني:

التعريف بالشيخ عبد الكريم الفكون

المبحث الأول: نشأته وثقافته

المطلب الأول: نشأته

هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن يحي الفكون التميمي من قبائل تميم العربية ولد عام 988 هـ، 1580م بقسنطينة وهو اليوم الذي مات فيه جده عبد الكريم.

أمّا والده فهو أبو عبد الله محمّد، خطيب الجامع الأعظم كان فقيها صوفيا، توفي بعد رجوعه من الحج في أواخر محرم عام 1045 هـ، في إحدى قرى مصر وتسمى المويلح[1].

وأما أمه فهي عربية وزيادة إلى ذلك فهي تنتمي إلى النسب الشريف فقد ذكر الفكون، في منشور الهداية، فتنة وقعت بقسنطينة وذكر أن جده للأم وكان مزوار الشرفاء إذ ذاك، وقائد جيش البلد، أي أن جده لأمه كان شريفا[2]. وقد ذكر أن إسمه أبي عبد الله محمّد قاسم الشريف وعدّه من الذين تعاطوا المنصب الشرعي لإدعائهم العلم[3].

وشيخنا المترجم له هو أوّل أولاد أبيه محمّد فقد ذكر الشيخ أنه كان دعوة جده وذلك أنه لما كان في آخر مرضه وكانت والدته حاملا به وكانت تعزّ على جده كثيرا، فسألته الدعاء فأخبرته، أنه قال لها جعل الله عمارة الدّار منك[4].

ولم يذكر لنا الفكون إلا القليل النادر حول حياته الشخصية من ذلك أنه تزوج من ابنة حميدة بن حسين الغربي وأن هذه الزوجة بقت عنده ثلاث سنوات ثم طلقها لأمور لا يمكن إبقاؤها مع ذلك[5]. أو سكناه الجديدة التي بناها قبلي الجامع الأعظم عام 1022 ه، وفراره من سكنى الدار العليا لما حصل له من الضيق والتضييق من بعض الأقارب[6].

وقد ترجم للفكون كثير من المؤرخين من بينهم أبي سالم العياشي المتوفي سنة 1090 هـ/1679م، إذ يقول ومن لقيته بطرابلس الشيخ الفقيه المشارك النية سيدي محمّد العلامة الفهامة الناسك الخاشع الجامع بين علمي الظاهر والباطن سيدي عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون

---

[1] الفكون: منشور الهداية، ص 52.

[2] المصدر نفسه، ص 49.

[3] نفسه، ص 68.

[4] نفسه، ص ص 52/51.

[5] نفسه، ص 76.

[6] نفسه، ص ص 203/202.

القسنطيني، وكانت وفاته رضي الله عنه، عشية الخميس السابع والعشرين من ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين وألف شهيدا، بالطاعون الذي حل بقسنطينة، وكانت لنا به رضي الله عنه، وصلة وإنتساب بالخدمة والولاء والإعتقاد الصالح لما حجت معه سنة 1064، وقد قال رضي الله عنه، لما طلبت منه الاتصال بحضرته والانخراط في سلك أهل خدمته، إني أقول لك كما قال الشاذلي، لك مالنا من الخدمة وعليك ما علينا من الرحمة وكان رضي الله عنه في غاية الانقباض والإنزواء عن الخلق، ومجانبة علوم أهل الرسوم، بعدما كان إماما يقتدى به فيها ثم تركها، كان يقول قرأناها لله وتركناها لله[1].

المطلب الثاني: ثقافته:

أ- العوامل المؤثرة في ثقافة الفكون:

نشأ الشيخ الفكون في حضن والده بعدما توفي جده كما أسلفنا وقد بدأ رحلة طلب العلم بحفظ القرآن الكريم الذي كان قاعدة التعلم في المغرب الإسلامي في هذه الفترة وقد ذكر الفكون عند حديثه عن أبي العباس أحمد بن ثلجون أنه قرأ عن خاله، أبي القاسم بن عيسى الملقب بثلجون وهو من قبائل زواوة[2].

وغير ذلك يبدوا أن الفكون نشأ نشأة عصامية في تعليمه عند صغره لقد كان بعض أجداده قرأ في تونس وتولى فيها التدريس والخطابة والإمامة ولكن ذلك كان أيام تبعية قسنطينة للحفصيين أمّا هو فلا نعلم أنه ذهب إلى وجهة من أجل العلم غي قسنطينة ذلك أنه في عهده قلت الرحلات العلمية بين المدينتين قسنطينة وتونس وتوطد الانفصال السياسي بينهما وتقلصت إلى حد كبير المبادلات التجارية والزيارات وغيرها، ولا نعلم أن الفكون رحل إلى الشرق طلبا للعلم في صغره أما في كبره فقد كان يتوجه إلى المشرق كأمير لركب الحج، لا كطالب علم، حقيقة أننا نجده يفكر في الهجرة إلى الحجاز

---

[1] ابي سالم العياشي: الرحلة العياشية (ماء الموائد)، تحقيق محمد حجي الرباط، 1977، ط2، ص ص 390، 391.

أنظر ترجمته في نشر المثاني لمحمد بن الطيب القادري ج2، ص ص 132/131/130 شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمخلوف، ج2، ص 266، الأعلام للزركلي ج4، ص 180، نفح الطيب للمقري ج480/2، تعريف الخلق برجال السلف للحفناوي ص 164، معجم مشاهير المغاربة (أبو عمران الشيخ وناصر الدين سعدوني) ص 425، عادل نويهض معجم أعلام الجزائر، ص 254، سليمان الصيد نفخ الأزهار عما مدينة قسنطينة من الأخبار ص 21.

[2] الفكون: منشور الهداية، ص 208.

وهو يافع إذ كان متبرّما من أحوال بلده وأهلها، ولكنه عدل عن ذلك ورضي بالإقامة في وطنه مستندا إلى حديث شريف جعله يعتقد أن أهون الشر هو عدم الهجرة إذ يكون البلد الذي يهاجر إليه أكثر من البلد الذي هاجر منه[1].

ولكن رغم تبرّم الفكون من عصره ونعيه العلم والعلماء إلا أن الحياة العلمية كانت موجـــودة فقد ذكر الفكون جماعة من العلماء قريبي العهد بالفترة التي عاش فيها من هؤلاء الشيخ أبي خفص عمر الوزان والذي بدأ به الفكون في تراجم المنشور، فهو شيخ الزمان وياقوتة العصر والأوان العالم، العارف بالله الرباني توفي عام 965 هـــ وكان الوزان شبيه لجد الفكون الحفيد[2].

وقد خلّف الوزان مجموعة من المؤلفات منها.

1. البضاعة المزحاة.
2. الرد على الشابية المرابط عرفه القيراوني وصحبه وهو كتاب جامع مد فيه النفس فيما يُعلم أنه من أهل التصوف.
3. فتاوى في الفقه والكلام.
4. حاشية على شرح العقيدة الصغرى للسنوسي.
5. تعليق على مختصر خليل[3].

ويذكر الفكون أن الوزان قد ترك طريق التصوف ورجع إلى دراسة الحديث، وهو نفس مذهب عبد الرحمن الأخضري الذي انتقد إنحرافات أهل التصوف في منظومته المعروفة بالقدسية، وقـــد ذكـــر الفكون مقتطفات منها في المنشور، كما مشايخ آخرين، مثل محمّد الكماد، ومحمّد العطـــار، وأحمـــد الغربي، ووالد جده وكذا جده (يحي وعبد الكريم)، وعمه قاسم الفكون وعبد اللطيف المسبح، وحميدة بن باديس، ومحمّد التواتي وغيرهم من المشايخ الذين أسهموا في الحيـــاة العلميـــة ســـواء بالتـــأليف أو الإنتصاب للتدريس[4].

---

[1] الفكون: منشور الهادية، ص 10.

[2] نفسه، ص 48.

[3] أحمد بابا التمبكتي: نيل الانتهاج بتطريز الديباج، كلية الدعوة الإسلامية طرابلس، ط1، 1989، ص 197.

[4] الفكون: مصدر سابق، أنظر الفصل الأول منه.

ونشير أن الكتب كانت مصدرا من مصادر التعليم فعند مطالعتنا للفتاوى والنـــوازل ومختلـــف القضايا فإننا سنجد أسماء كثير من التأليف في العلوم الشرعية، خاصة الفقه المالكي وغيره منها : كتاب المدونة لسحنون، والحاوي في الفتاوى للبرزلي ت 844 هـــ، ومختصر خليل، ومختصر بن الحاجـــب في الفقه، والدرر المكنونة في نوازل مازونة، ورسالة بن أبي زيد القيرواني، والعقيدة الصغرى للسنوســـي، وكتاب الشفاء للقاضي عياض، ودلائل الخيرات لمحمّد بن سليمان الجزولي، وكتاب التوضيح لخليـــل، وحلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني، والحكم العطانية لعطاء الله السكندري، والقدســـية للأخضـــري، والمدخل لإبن الحاج، وتأسيس القواعد والأصول لزروق، وفتاوى العقباني، وبـــن مـــرزوق والمعيـــار للونشريسي، وغيرها.

كان عهد الفكون بالإمامة مبكرا فقد كان والده يستخلفه للصلاة بالجامع الأعظم بعدما كان يستخلف أبي العباس أحمد الميلي، فحنق هذا الأخير على عبد الكريم وصار يستهزئ به مشافهة في جمع من الطلبة لصغره، وعدم تضلعه إذ ذاك في العلم، ويشنع عند الخاصة أنه بسن مـــن لا تجـــوز صـــلاته لصغره، وكما هو زمن الكهولة لّما كنت زمن الصبا فكان من لطف الله ورعايته أن لم يمكـــث حـــتى جشى بين يدي جثو الصبي للمعلم[1].

وذكر الفكون الفقيه النحوي أبي عبد الله محمّد بن راشد الزواوي، قدم مـــن زواوة ونـــزل في زاوية الفكون، ودرس على الشيخ التواتي، المرادي وكان يناضر عليه أحد طلبة الشيخ التواتي وهو أبـــو العباس أحمد بن ثلجون وكان الفكون لفصاحة لسانه يمسك له الكتاب ويقرأه عليه للمناظرة لســـرعة إخراجه للخط، وعدم توقفه فيه، ولم تكن له قوة فهم ولا إدراك إلا ما كان ينظر دالة المختصر الخليلي من البيوع وكان إذ ذاك يقرأه على شيخه أبي الربيع سليمان، وكان يفكها له صاحبه أبا عبد الله محمّد بن راشد من كتاب "التوضيح" لاعتناء أهل زواوة بقراءته[2].

وقد قرأ الشيخ الأجرومية وحدها على أبي الربيع لكنه لم يحصل على طائل إلا على رفع الفاعل ونصب المفعول، وخفض المجرور ولم يكن يقدر على التفريق بين ذلك وما لابسه من جهة المعنى حـــتى حصل له بداية الفتح الإلهي من أجل المناظرة المذكورة[3]، وأصبح الشيخ يحب حضور مجـــالس الشـــيخ التواتي حتى أن الله ألقى في قلبه هيبة وإجلالا له فنراه في مجلسه كالأسد وأصحابه الأشبال.

---

[1] الفكون: منشور الهداية، ص 95.

[2] نفسه، ص 106/105.

[3] نفسه، ص 106.

وكانت سيرة التواتي إعطاء الأذن الصّماء للسائليين ولا يرفع لسؤالهم وزنا ولعل ذلك خوفا من أين يكون منهم تعنتا، فأعطى للعلم حقه والشيخوخة منصبها، وقد شكى الفكون عبـــوس وانقبـــاض التواتي عنه في مجلسه فيقول له ابن راشد احضر ولا تسأل[1].

وقد ذكر الشيخ مناظرة في النحو بين التواتي وابن راشد، وكثيرا ما كان يلجأ التواتي إلى سب بن راشد وإخراج سيء القول له، وربما يتكلم في المجلس من كلام السفهاء لما يحمله الغضب والإنزعاج، وربما يقوم من المجلس غضبا المرة بعد المرة ويبطل درس ذلك اليوم وقد شعر الفكون من مخالطته للتواتي أنه لم يكن يحمل البحث ولا يرضاه ويضيق به ذرعا، وجعل قوة عمله حفظ ما يلقيه لأصحابه.

ويواصل الشيخ وصف مجلس التواتي إذ يقول : " ولم أزل على هذا الأمر مع الشـــيخ إلى أن قـــدّر الله غياب ممسك الكتاب للدرس فلم يأتي يوم من الأيام، فأعطى الكتاب لأبي العباس أحمد بن ثلجون فكان بطيء القراءة، وكان ابن راشد يقول له أعطي الكتاب لفلان يعني الفكون وهو يظهر الكراهية، فأعطاه لأبي العباس الميلي فكان أبطأ من الأول، فاضطر الأمر إلى أن يعطيه للفكون عن كراهة منه "[2].

فلما أخذتُ الكتاب وقرأته بسط الله لساني بقراءته فكأنني إذ ذاك كاتبه في سرعة القراءة ومتانة ضبط الكلمات، واتساق نظامها، فكان أن أصبح الفكون القارئ في الكتاب، ولما عاد القارئ السابق، لم يعجبه الأمر ففارق الدرس حنقا وبغضا وحسدا، وذكر أن هذا القارئ من الحضر[3]، ومن ولـــد أبي عبد الله بن نعمون المسمى محمد.

بأبيه اقتدى عدي في الكرم ومن يشبه أباه فما ظلم[4]

وقد ذكر الفكون ما حدث بينه وبين إبراهيم الفلاري التونسي الذي نزل قسنطينة وكان يدّعي معرفة النحو، واستطال به على أهل البلد قسنطينة وكان يستصغر جانب الشيخ التواتي في النحو ويرى لنفسه التقدم عليه فيه وشاهد الحال والمقال لا يوافقه وقد إمتحن الفلاري الشيخ الفكون، بعدما كـــان عائدا من الكتّاب إلى الدار فقال له ما الجامع بين قوله تعالى : " فيه آيات بيّنات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا"[5].

---

[1] الفكون: منشور الهداية، ص 107.

[2] نفسه، ص 108.

[3] سكان مدينة قسنطينة وقد هاجمهم في كتابه "محدد السنان في نحور إخوان الدخان"، مخطوط.

[4] الفكون: مصدر سابق، ص 109 .

[5] آل عمران، 97.

وبين قول الشاعر:

كانت حنفية ثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها

فسكت الفكون واشتد به الخجل، لكن نفسه الأبية رغم صغر سنه جعلته لا يحب أن يكون خلي من معرفة ما عرفه غيره، فإشتدت قريحته في طلب العلم اشتدادا عظيما، ثم بحث في مغني اللبيب لإبن هشام في النحو فلما أعاد الفلاري إستفزازه قال له، أجبني عن قول الشاعر

إن هند المليحة الحسناء وأي من اضمرت لخل وفاء

ما إعرابه وما معناه؟ فسقط في يده وبهت من ساعته و لم يرد لي جوابا[1] وفي اليوم الموالي زار الفلاري الفكون وقال له والله لأنت أحسن فقهاء بلدكم إنما فعلت ذلك معك لأعرف كنه عقلك وقد أجاب كل منهما على ما أُشْكل على الآخر[2].

ب- شيوخه :

- قرأ الفكون على الشيخ التواتي (المرادي) سنة 1031 مرارا و (شرح ألفيه بن مالك) وعقائد السنوسي بشراحها وابن الحاجب بمطالعة التوضيح عليه، والتذكرة للقرطبي وحضره للتفسير نحو 10 أحزاب، وكتاب مسلم بن الحجاج بمطالعة الأبي، كما قرأ عليه حاشيته جمع التكسير على المرادي له ومباحثات في الإعراب للسيوطي[3].

- قرأ أيضا بعض مسائل الإصطراب وبعض من الفرائض على محمّد الفاسي، الذي قدم من فاس ونزل بمدرسة الفكون وذكر أنه ناقشه فرأى منه قصورا سوى ضوابط معه وقد فتح عليه السنوسي شارح (زمام الرائض في علم الفرائض) للحوفي فلم يجد لهذا الشيخ معرفة في معاني الألفاظ، ولا بالصناعة الكسورية فأطبق الكتاب لما تيقن من عجزه وطالعه وحده ففتح الله في عمل الفريضة بالطريقة الكسرية[4].

- كما قرأ على الشيخ أبو ربيع سليمان بن أحمد القشي من بلدة نقاوز وانتقل إلى قسنطينة حيث درس على الفكون الجد، ثم قصد الحجاز لكنه توقف بمصر حيث قرأ على عالمها سالم السنهوري

[1] الفكون: منشور الهداية، ص 111/110.

[2] نفسه، ص ص 112/111.

[3] نفسه، ص 59.

[4] الفكون: منشور الهداية، ص 61.

المختصر والرسالة والألفية وألفية العراقي، ثم رجع إلى قسنطينة حيث قرأ عليه شرح الصغرى، وقطـر الندى والأجرومية بشرح جبريل، وبعض أوائل الألفية[1].

- قرأ على أبو عبد الله محمّد بن راشد الزواوي الذي ذكرناه سابقا.

- قرأ على أبو فارس عبد العزيز النفاتي الذي قرأ بتونس على الشيخ الشريف النجار[2].

هذه هي العوامل التي صاغت شخصية الفكون العلمية وكان لابد أن يبلغ العلم الـذي حـازه خاصة وهو يرى أن الجهل قد انتشر وأن أدعياء العلم كثر، وأن العلماء العاملين قـد قـل عـددهم، وخفتت أصواهم وقد قرر هذه الحالة خاصة في كتابه " محدد السنان في نحور أخوان الدخان".

ج- تلاميذه :

مارس الفكون التدريس في مسجد المدينة وزاوية آل الفكون التي يبدوا بأنها كانت من بين من تستقبل طلبة العلم فالزاوية بها إقامة للطلبة وقد استقر بها محمّد بن راشد الزواوي وربما إستقبل الشـيخ ببيته سواء بغرض الزيارة أو طلب العلم[3].

و لم يكن الفكون يأخذ أجر التعليم بل كان هو الذي يتكفل بالنفقة على طلبة العلم، فقد ذكر ثلاثا من طلبة العم منهم اثنان من جبل زواوة فقال: " وقصد بذلك صاحبنا أبو العباس تخفيف المؤونـة على عامله الله بالحسنى فأجريت لهم ثلاثتهم المؤونة "[4].

وقد تخرّج على يد الفكون كثير من العلماء الكبار لعل من أشهرهم **أبي مهدي عيسى الثعالبي** من موطن الثعالبية توفي عام 1080 هـ، تلقى العلم بمسقط رأسه ثم رحل إلى الجزائر، وقد تتلمذ على سعيد قدورة وعلى بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي[5]، لكن بعض الأحداث أهمها وفاة شـيخه الأنصاري بالطاعون عام 1057 وثورة بني الصحري في الشرق الجزائري، والثورات ضد الباشا يوسف الذي كان مقرّبا للثعالبي ورميه في السجن، جعل الثعالبي خائفا على نفسه فتوجّه إلى قسـنطينة وإن لم مقامه بها، لعدم استقرارها ولا شك أنه قد اتصل فيها بالشيخ عبد الكريم الفكون وروي عنه الحديث

---

[1] الفكون: منشور الهداية، ص 60.

[2] نفسه، ص ص 61/60.

[3] نفسه، ص ص 98/97.

[4] نفسه، ص 204.

[5] سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ص ص 52-53.

ونحوه ولكنه لم يلبث أن غادر قسنطينة، وقد ظل منتقلا بين قسنطينة وزواوة وبسكرة إلى أن غادر الجزائر سنة 1061 هـ قاصدا الحج[1].

ومن أبرز مؤلفات الثعالبي كتر الرواة المجموع من درر المجاز ويواقيت المسموع[2].

وقد أورد الثعالبي مرويات الفكون في كتره[3]، ووصف العباشي (كتر الرواة) بأنه أعظم الكنوز وأثمنها وأوعاها[4].

– أبي سالم العياشي، لم يذكر العاشي ما قرأه وإن كان قد لخص لنا أهم ما اطلع عليه من مؤلفاته منها (محدّد السنان في نحو إخوان الدخان)، (والديوان في مدح النبي – صلى الله عليه وسلم) وذكر أنه قرأ عليه بعض كتاب الموطأ للإمام مالك، والصحيحين والسنن الأربعة (البخاري ومسلم والنسائي والترمذي وابن ماجة وأبي داوود وطرفا من الأحكام الصغرى لعبد الحق الاشبيلي والشفاء للقاضي عياض، والشهاب القضاعي وبعضا من رباعيات أبي عوانة ومن نضم أصول السلمي لزروق وغنيمة الوافد لعبد الرحمن الثعالبي، كما أخذ عليه التصوف حيث قال: كانت لنا به رضي الله عنه وصلة وإنتساب بالخدمة والولاء والاعتقاد الصالح، لما حججت سنة أربع وستين وألف. إذ قال لي رضي الله عنه لما لمنا طلبت من الاتصال بحضرته، والانخراط في سلك أهل خدمته، أني أقول لك كما قال الشاذلي لك ما لنا من الخدمة وعليك وما علينا من الرّحمة كما قرأ عليه يحي الشاوي من أهل مليانة[5] وقد أجازه الشيخ عبد الكريم الفكون وغيره من فطاحل علماء العصر[6].

– بركات بن باديس القسنطيني ذكر أستاذه الفكون في تقييده (نزع الجلباب) كما ذكر له جواب عن لغز السيوطي في إحدى مسائل النحو[7].

– أبي عبد الله محمّد البوزيدي، سأله عن بعض مسائل فقه فكان يقيد له أجوبتها[8].

---

[1] سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ص 54.

[2] العياشي : الرحلة العياشية، ج2، ص 137.

[3] نفسه، ص 391.

[4] عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج2، ص ص 205/501.

[5] العياشي: الرحلة العياشية، ص ص 390 – 391.

[6] عبد الرحمن جيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج3 ، ص 173.

[7] سعد الله، مرجع سابق، ج1، ص 523.

[8] الفكون: منشور الهداية، ص 113.

– الشيخ مخلوف قرأ على الفكون النحو ثم ترك العلم وراح يأخذ يشتغل بالتصوف العلمي.

– محمّد الهاروني أصله من زاوية ولاد هارون بمنتجه وطن من عماله الجزائر قدم إلى قسنطينة عام 1022 هـ وجد الفكون في حال بناء داره الجديدة. وأبو عبد الله البهلولي وأبو القاسم بن يحي من جيل زواوة قرأوا المرادي على الألفية ففتح الله في تلك القراءة بأبحاث ووارد أفكار ما أعجب الجميع نظرا واستدلالا فلما حصل الختم في التأليف طلبوا الشيخ القراءة في غيره فمنعهم، وقد قال عن أبي عبد الله أصبح له أتباع وتلامذة وحق له ذلك لما له من قوة الفطنة، وقبول البحث وواسع العارضة وفصاحة اللسان.

– عاشور القسنطيني كان يحضر الإقراء على الألفية فربما يسأل المرات فكان الشيخ لا يرد له الجواب لبلادته فكان دائما يستشكل المسائل نحوا وفقها وكلاما، يأتي إلى الشيخ بها مرة ببطاقة ومرة بالكتاب نفسه، ومرة مشافهة، وقد رحل إلى تونس[1].

– أبو عمران موسى الفكيرين والد السابق، قرأ على التواتي وبعد وفاته انتقل هو وجمع من الطلبة للقراءة على الفكون فدرس عليه المرادي في النحو ثم انقطع عنه لخلاف بينهما[2].

– علي بن عثمان الشريف من قبيلة بني تبرون بزواوة وجده مريضا مرضا أعي الأطباء عام 1028 فلازمه وقرأ عليه المكودي والمرادي فانضرف من عنده وهو نجيب في العربية بعدما كانت ملكته ضعيفة فيها فأجازه، وبلغه أنه أصبح صاحب درس عظيم، وغني، كان يطعم الطلبو من عنده[3].

– أحمد بن سيدي عمار خطيب الجامع الأعظم بالجزائر درس عند الشيخ بعد وفاة الشيخ التواتي.

– أحمد بن ثلجون كان فطنا لبيبا أريبا ذا عقل وزي حسن رجع رجوعا حسنا في شيبته قرأ على الشيخ ابن الحاجب وعلم الكلام، والرسالة، والنحو والمرادي وغيره وصحيح البخاري كان مجالسا مؤانسا، نعم الجليس ونعم الأنيس مع رزانة وعدم طيش طلقا اللسان فصيح الكلام ذا خط حسن ورونق وبهاء كان يؤانسه في أيام مرضه ويحادثه ليخفف عنه مرضه، ويصاحبه إلى المسجد الأعظم، وقد توفي بالطاعون عام 1031هـ[4].

---

[1] الفكون: منشور الهداية، ص 94.

[2] نفسه، ص 93.

[3] نفسه، ص ، ص 205 / 207.

[4] نفسه، ص ص 207-208.

– محمّد البوقلمامي، كان ذا عقل جيد وفكر رصين، بطيء الفهم، ثقة فيما يفهمه صالح الحال، يحب الطلبة ويواسيهم بماله، كان ملازما للقراءة على الشيخ، جاد لا يعرف الهزل ناطقا بالحق، تـــوفي جراء طاعون 1031 المذكور.

– أبو عبد الله محمّد بن باديس: كان يقرأ على الشيخ التواتي وبعد ارتحاله استقر للقراءة علـــى الفكون وهو من موثقي البلدة ممن يشار إليه[1].

– محمّد الفكيرين أخ عاشور الفكيرين كان صغيرا مجتهدا[2].

– علي بن داوود الصنهاجي، تقلد منصب الفتوى بقسنطينة قرأ على سالم السنهوري ويـــذكر أنه أجازه وقرأ على الفكون تواليف في النحو كالقطر ونحوه[3].

– أحمد الميلي، ممن تعاطى خطة الشهادة قرأ على التواتي والفكون الجد ومحمّد بن حسن كـــان إذا رأيته حسبته فطنا وإذا باحثته تجده بليدا يحفظ مسائل غراب، ومشكلات صعاب ليقطع بها من يريد معارضته حتى سمّاه التواتي كبيش النطّاح، درس على الفكون المرادي وربما ساعده في حل إشـــكالات تطرح عليه أثناء قرائته كتب الحديث[4].

[1] الفكون: منشور الهداية، ص 209.

[2] نفسه، ص 93.

[3] نفسه، ص 92.

[4] نفسه، ص 95.

المبحث الثاني: عائلته ومكانته فيها.

المطلب الأول: عائلته.

تعتبر عائلة الفكون من العائلات العريقة بقسنطينة، بيت علم وأدب ورئاسة ودين، توارث أبناؤها المجد والسؤدد منذ دهر طويل وقرون متتابعة بالجزائر. تنتسب هذه الأسرة إلى إحدى القبائل العربية وهي تميم هذا ما يراه كثير من المؤرخين وأفراد عائلة الفكون، لكن أحد المؤرخين وهو عبد القادر الراشدي في كتابه (عقد اللآلي المستضيئة لنفي ظلام التلبيس) والذي توفي سنة 1194هـ / 1780م، ذكر أن أصل عائلة الفكون يعود إلى بلدة فكونة في جبل أوراس[1]، هذا ما يرفضه أبناء الأسرة بشدة ويقولون أن انتسابهم إلى هذه القرية بسبب استقرار أحد أجدادهم بها، فقد جاء أربعة إخوة من جزيرة العربية واستقروا بالمغرب الأوسط الأول عبد الحمن وقد استقر بفكونة بأوراس والثاني محي الدّين بعين الصفراء ويقال أن البيض سيدي الشيخ سميت عليه، أما محمّد فقد استقر بقسنطينة، وتوفي الرشيد مباشرة بعد وصوله[2].

ولعل أقدم شخصية من أسرة الفكون ذكرتها المصادر التاريخية هي شخصية حسن بن علي الفكون القسنطيني الشيخ الفقيه الكاتب الأديب البارع، من الأدباء الذين تستطرف أخبارهم وتروق أشعارهم، غزير النظم والنثر، رحل إلى مراكش وامتدح خليفة عبد المؤمن وله رحلة نظمها في سفير من مراكش إلى قسنطينة ووافق في مقامه طلوع الخليفة لزيارة قبر الإمام المهدي وهو محبوب عندهم وهو من الفضلاء النبهاء[3].

يقول في وصف رحلته في قصيدة، كتب بها إلى أبي البدر بن مردنيش وهو بقسنطينة.

ألا قل للسري بن السري	أبي البدر الجواد الأريحي
أيا معني السيادة والمعالي	ويا بحر الندا بدر الندي

00

[1] Vayssettes; histoire de constantine, p 83.

سليمان الصيد: نفخ الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار دون ذكر دار الطبع، ط1، 1994، ص 21.

[2] أدلى بهذه المعلومات عميد أسرة الفكون الشيخ حسونة الفكون لجميلة معاشي أوردتها في أطروحة ماجستير بعنوان، (الأسرات المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري، ق 10 هـ – 13 هـ / 16م – 19م).

[3] أبو العباس الغبريني: عنوان الدراية فيمي عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 280 دون تاريخ.

أمـــا وبحقـــك المبدي جلال	وما حزت من حســـب علي
ومـــا بيني وبينك مـــن ذمام	وما أو تيت من خلق رضـــي
لقد رمت العيون سهام غنج	وليس سوى فؤادي من رمي
فحسبك نار قلبي مـــن سعير	وحسبك دمع عيني من أتـــى[1]

وقد أورد الغبريني أن إمرأة تسمى عائشة ابنه الفقيه أو الطاهر عمارة بن يحـــي بـــن عمـــارة الشريف الحسني كتبت بيتين:

أخذوا قلبي وساروا	واشتياقي أو دعوني
لاغدا إن لم يعودوا	فأعذروني أو دعوني

وأرسلت بهما إلى الفكون شاعر وقته طالبة منه أن يعارضها أو يزد عليها فكتب إليها، معتـــذرا من أن الإقتصار عليهما هو الصواب[2] كما ذكر الغبريني أيضا عن الحسن الفكون أنه أمّن أحد الثـــوار عند الأمير الموحدي عام 1204م مما يدل على أنه كان ذا نفوذ ووجاهة في قسنطينة[3].

أما الشخصية الثانية المشهورة من عائلة الفكون فهو يحي الفكون والد جد الشـــيخ الفكـــون الحفيد الذي انتقل إلى تونس لواقعة بل لوقائع فاستعظم سكناه ببلد يخرج إليها الأمر دون ما يخرج منها، فصاهر الشيخ الزنديوي الذي كان حيا عام 940 هـــ واستخلفه في إمامة جامعها الأعظم (الزيتونـــة) ثم استقل بالإمامة وتزوج بها حفيدة الشيخ البرزلي ورزق منها ببنت، وقد توفي في الحملة التي قام بهـــا شارلكان حامي السلطان الحفصي الحسن، ضد خير الدين بتونس عام 941هـــ، وقـــد قتـــل داخـــل المسجد وهو يقرأ صحيح البخاري وقتل معه الشيخ الزنديوي أيضا[4].

---

[1] أحمد بن قاضي المكناسي: جذوة الاقتباس في ذكر من حلر من الإعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، القسم الأول، ص 184. أنظر أيضا ابن إبراهيم عباس المراكشي: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام طبع بـــالمغرب، دون تاريخ، ج 3، ص 204.

[2] الغبريني: عنوان الدراية، ص 79.

[3] Marthe et Edmond gouvion: Kitab AYANE ELMAGHARIBA, imprimerie orientale fontana frères, 1920, p 97.

[4] الفكون: منشور الهداية، ص 42. سيطر خير الدين على تونس عام 1534 فتوجه السلطان الحفصي الحسن إلى الملك شـــارلكان طالبا منه النجدة فلبى ندائه وتمكن من دخول تونس وارتكبت قواتهة مجزرة فضيعة في حق المسلمين حيث قتل ما يقارب عن 63 ألف مسلم كان من بينهم الشيخان المذكوران، فنسحب خير الدين جزء من قواته إلى عنابة وجزء إلى العاصمة عـــن طريـــق قســـنطينة وسكيكدة، أنظر قايد: البرير عبر التاريخ من الكاهنة إلى العهد التركي، ص، ص 236 / 237.

وقد فُسّر إنتقال يحي الفكون إلى تونس على أنه من أجل إعلان الولاء لخير الدين، وهو ما شكل نقطة انطلاق لصعود عائلة الفكون في العهد التركي، لكن لا أثر لهذا التوجه في النصوص المعاصرة له، بل إن الفكون يشير إلى غير ذلك، فيحي انتقل لأمور وقعت بقسنطينة، وأنه يريد السكن قرب مركز القرار الذي كان بيد الحفصيين وقد صاهر الزنديوي وتزوج من حفيدة البرزلي وتولى الإمامة في الزيتونة وهي مدة تفوق المدة التي مكثها خير الدين في حلق الوادي[1].

و لم يكن الشيخ راض عن أداء السلطة الحفصية فقد مر السلطان حسن بجثتي الشيخين فتفوه لهما بما لا يليق بمنصبهما لما كانا ينكران سيرته عليه ثم لزم مواراهما وحضر دفنهما[2]، ولو كان يريد التقرب من خير الدين باشا لذهب إليه إلى الجزائر حيث استقر بها حوالي 1525 من بعد عزلته في جيجل لعد سنوات وقد حررها تماما من الغزو الإسباني باستيلائه على حصن البنيون 1529م، وبنائه لأرصفة الميناء قبل توسيع نفوذه نحو المقاطعات[3].

بعد وفاة يحي الفكون عاد ابنه قاسم إلى الجزائر حيث تقلّد خطة القضاء بعدما عرضت على الشيخ عمر الوزان لكنه رفضها واقترح قاسم الفكون بدله[4]،
والجدير بالتذكير أن آل الفكون لم يتصدوا المناصب الرسمية، كالقضاء والافتناء إنما يمثل الشيخ قاسم الفكون الاستثناء الوحيد المعروف[5].

ويرى بعض المؤرخين أن سكان قسنطينة إنقسموا فيما يتعلق بدخول الأتراك إلى المدينة لفريقين، فريق مساند بزعامة عائلة الفكون وفريق معارض بزعامة عائلة عبد المؤمن، وقد ساهم شيخ الإسلام عبد المؤمن في تأخير دخول الترك إلى قسنطينة، مما جعلهم يتصلون بعبد الكريم الفكون الجد لتسهيل دخولهم، فتمركزوا بسطح المنصورة وأجروا مفاوضات مع عبد المؤمن انتهت بالفشل[6]. فلجأ

---

[1] فاطمة الزهرة قشي: قسنطينة في عهد صالح باي، ميديا بلوس، قسنطينة، دون رقم طبعة، 2005، ص 40.

[2] الفكون، منشور الهداية، ص 43.

[3] قشي، مرجع سابق، ص 41.

[4] Ernest mercier: élévation de la famille el feggoun receuil de la social de constantine, 1878, p 222.
وقد أورد فايسات رسالة لعمر الوزان إلى حسن آغا يشرح فيها أسباب عزوفه عن تولي خطة القضاء.
Vayssettes: Histoire de constantine, pp, 51,52.

[5] قشي، مرجع سابق، ص 41.

[6] معاشي جميلة: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق، ص 99.

العثمانيون إلى تدبير اغتيال الشيخ عبد المؤمن عن طريق السم ثم سلخوا جلده وحشوه بالتبن وأرسلوه إلى الجزائر وهو ما ذهب إليه كل من ابن العطار وشيربونو[1].

وينفي فايسات اشتراك الفكون الجد في غدر عبد المؤمن وتسليمه للأتراك كما ينفي أيضا مسألة اغتيال عبد المؤمن ويصفها بأنها أسطورة لا ترتكز على أي وثيقة مكتوبة ولا تحدد أي تاريخ ولا أي اسم. وزيادة على ذلك فإن أحد آل عبد المؤمن توفي مع لقب أمير الركب عام 1563م كما أن قاسم الفكون الذي توفي عام 1558م لم يكن سوى قاضي لقسنطينة فبعد 20 سنة من وفاة البرباروس الثاني (أي خير الدين) لم تكن عائلة الفكون حائزة على لقب شيخ الإسلام وساق فيسات أدلة على أن عائلة الفكون لم تكن تسعى إلى التقرب من الأتراك لنيل حضوة عندهم، فعند دخول الأتراك عام 1535 إلى قسنطينة كان يحي بن الفكون بتونس، و لم يرجع قاسم إلا بعد وفاة والده، أي أنهم لا يفيدون الأتراك بشيء كما أن أحد العقود المؤسسة لأحد الأحباس مؤرخ في ذي الحجة 929 هـ/1520 يدل على أن عائلة الفكون كانت حائزة قبل هذا التاريخ على ممتلكات حضرية (داخل مدينة قسنطينة) فضلا عن تلك الريفية وكانت هذه الممتلكات كبيرة جدا[2].

ذكرنا أن قاسما بن يحي الفكون تولى خطة القضاء أما الفكون الجد فقد تولى الخطابة بالجامع الأعظم، فقد رفعت شكوى ضد الإمام أبو محمّد بركات، جد أبي عبد إله بن نعمون، حيث كان يعاني سلس البول، فعزله القاضي قاسم الفكون وعين بدله الفكون الجد[3].

ولما توفي الفكون الجد عام 1073 هـ خلفه ابنه محمّد في إمامة الجامع الكبير ويورد ميرسي الشهادة المسلمة من قبل جعفر باشا أواخر أوت عام 1581 فيها "وقد عيّن لكرامة الإمام، وخطيب المسجد الكبير خلفا لوالده المتوفي يؤدي الصلوات الخمسة، ويلقي الخطبة ويتولى كل الوظائف التي كان يشغلها والده، بناءا عليه تخول له كل السلطات المطلقة لإدارة أموال المسجد الكبير ويعد جميع نفقاته، ويوجه جميع عامليه، ولا أحد يعترض على ما يراه مناسبا لا الموظفين في المسجد، ولا القضاة، ولا ممثلي سلطتنا ولا إدارة الحبوس ولا أحد آخر" [4].

---

[1] Cherboneau: inscription arabes de la province de Constantine, Recueil de la social archéologique de Constantine RSAC, 1856, 1857, p 98.

ابن المبارك بن العطار: تاريخ حاضرة قسنطينة، تحقيق رابح بونار، دون معلومات حول الطبع، ص ص 57-58.

[2] Vayssettes, histoire de Constantine, p p 64. 65.

[3] الفكون : منشور الهداية، ص 102.

[4] Mercier: élévation de la famille EL FAGGOUN, p 226.

وقد توفي محمّد والد الحفيد بالمويلح من قرى مصر بعد رجوعه من الحج عـام 1045 هـ وخلفه من بعد ابنه عبد الكريم الحفيد، ولنا أن نتساءل هل كان محمّد المذكور قائدا لركب الحج، أم أنه كان مجرد حاج مثل، باقي الحجاج؟ لمعرفة ذلك نعرض بع الآراء.

يرى فايسات أن أوّل من تولى إمارة ركب الحج هو الفكون الجد، ويقترب لذلك سنة 1567 أ عام 1568، أي جراء الثورة التي قامت بها قسنطينة ضد الحكم العثماني بزعامة عائلة عبد المـؤمن[1]. ولكن إذا رجعنا إلى منشور الهداية في موضع التعريف بالفقيه محمّد الزواوي وقد أراد هذا الأخير الحج، يقول الفكون وقد أنعم له حبيبنا محمّد حفيد الشيخ عبد المؤمن، وهذا الكلام يدل على شيئين أوّلهما، أن ركب الحج لازالت إمارته في يد آل عبد المؤمن، أما الثاني فهو أن العلاقة بين عبد المؤمن، والفكون كانت جيدة، خاصة إذا علمنا أن حدة الفكون في انتقاد من كانت علاقته به سيئة[2].

وربما نستطيع سوق أدلة تدعم هذا الاتجاه، فالفكون لم يشر أبدا إلى أن جده كان متولي لزعامة الحج ركب الحج. ونجد الرحالة العياشي حينما يتكلم عن محمد الفكون يقول " ومن لقيته بطـرابلس الشيخ الفقيه، المشارك النبيه، محمّد بن العلامة الفهامة الناسك الخاشع الجامع بين علمي الظاهر والباطن عبد الكريم الفكون القسنطيني، قدمها حاجا، وهو أمير ركب أهل الجزائر وقسنطينة وتلـك النـواحي وعلى نهج أبيه، وعادته في ذلك محافظا على سلوك سيرة والده"، فلم يذكر العياشي أن جده كان متوليا للإمارة وإلا لقال: " سيرة والده وجده ".

إضافة إلى قيادة ركب الحج فقد تقلّدت أسرة الفكون منصب مشيخة الإسلام، هذا المنصـب الذي كان بحوزة مفتي الحنفية فقط دون غيره، وحصول آل الفكون على هذا المنصـب دلالـة علـى مكانتها الدينية والاجتماعية وحتى السياسية ويتواصل هذا الدور حتى بعد وفاة الفكون الحفيـد عـام 1073 هـ فقد تدخّل عبد الرحمن الفكون الذي حضر مقتل صالح باي عنـدما أراد هـذا الأخـير الإستقلال عن السلطات المركزية في الجزائر وانقسم الرأي العام بين موال لصالح باي ومـوال للبـاي الجديد حسين باي، فقد استدعاه لداره ووعده بالحماية لكن ما إن وصل صالح باي إلى الدار حتى ألقى عليه القبض وأعدم[3].

[1] Vayssettes: Histoire de Constantine, p 66.

[2] أنظر الفكون : منشور الهداية، ص 102.

[3] ابن العطار : تاريخ حاضرة قسنطينة، ص ص 75/74.

ومن الأدوار السياسية تدخل محمد الفكون الذي توفي عام 1841 وهو آخر شيوخ الإسلام في عهد شاكر باي الذي أراد الإستقلال بدوره عن السلطات المركزية، وأراد التحصن ببيت الفكون لكن هذا الأخير سلّمه إلى الباي الجديد وتم قتله[1]، كما نجح هذا الشيخ بالتصدي للثورة الانكشارية بزعامة أحمد شاوش ضد الباي بن يوسف عام 1809 فقد أرسل إلى الباشا في العاصمة يخبره بأن أحمد شاوش قد قتل الباي وهو يريد مهاجمة الجزائر، فطلب منه الباشا قتل كل الإنكشارية، لكن شيخ الإسلام رفض ودعاه إلى استعطافه والعفو عنه، وهو ما فعلته السلطات المركزية[2].

المطلب الثاني: مكانة الفكون

على ضوء ما ذكرناه يمكننا أن نقرر أن الفكون الحفيد كان أوّل من تولى زعامة ركب الحج واستحق لقب شيخ الإسلام[3] ويتحدث فايسات عن أن الفكون الحفيد قد تولى وظائف أبيه محمّد مع ركب الحج بعد وفاة هذا الأخير بالمويلح بمصر عام 1045 هـ، ويعطينا عقد توثيقي يحدد وظائف الفكون بتاريخ أول رمضان عام 1048 هـ، جويلية 1638م، وهذه الشهادة تخوله استخدام الطبول والإشراف على قافلة الحج[4]. بينما يرى بعض الباحثين أن الكون قلّد قيادة ركب الحج بعد ثورة عام 1642 م التي قام بها بني عبد المؤمن[5].

- وقد عظّم دور عائلة الفكون بعد الثورة المذكورة وجرت مراسلات بين الباشا في الجزائر والفكون بقسنطينة ونورد هذه الرسائل لأهميتها:

---

[1] ابن العنتري : فريدة منسية، ص 70.

[2] نفسه، ص ص 59-60.

[3] لقب شيخ الإسلام معناه رئيس العلماء ويعين في منصبه بمرسوم سلطاني، وحتى القرن السادس عشر يختار من بين المدرسين الذين اشتهروا بعلمهم أما مهامه فكانت تتعلق بإصدار الفتاوى حول أي مشكلة في إطار الشريعة، و لم يكن يتلقى أي أجر عن هذه الفتاوى، أنظر خليل اينالجيك : تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار. ترجمة محمد الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2002.

[4] Vayssettes, Histoire de Constantine, p 224.

[5] Grangand Isabel: la ville emprenable une histoire social de Constantine au 18éme siècle édition media plus, Constantine, 2004, p p 249 . 254.

- **الرسالة الأولى**، من الباشا إلى الفكون وسكان قسنطينة: " الحمد لله إلى مقام العلم المشهور الخيّر الصبور معدن الفضل المصون، سيدي الشيخ ابن الفكون أما بعد السلام عليكم والسؤال الكـثير عنكم ومن انتمى إليكم، وانتسب إلى جانبكم فقد بلغنا أنّك سرت إلى أهل قسنطينة بالتـدبير المفيـد والرأي الصائب الرشيد، فكان ذلك حقن دمائهم وزوال الخلاف والهرج بينهم فجـزاك الله بأحسـن الجزاء، وضاعف لك الخير والثناء وما أنت إلى حبيبنا وصديقنا، من كونك تسعى إلى الخير والصـلاح وترشد العباد والنجاح ثم نلتمس منكم دعاء الخير في كل خطب وزمان كل ركب، وكن ببال أبنائك الترك والسلام"[1].

- **الرسالة الثانية** : إلى سكان قسنطينة الحمد لله مكتوبنا هذا يتصل بيد الناس بقسنطينة الخاص والعام، والسؤال عنكم وبعد، فإنكم عملتم "مليح"، وتدبير لائق صحيح كونكم سلمتم بلد قسـنطينة إلى الترك من غير ارتياب ولا شك مراعاة للدولة العثمانية، وطاعة لتلك الحضرة العلّية، وآثرتم العافيـة على الفتنة وحقن الدماء واجتناب المشقة فنعم ما صنعتم وخير ما عملتم إذ نحن وأنتم في حكم الدولـة المذكورة، وفي طاعة تلك الحضرة المبرورة، وعليكم بإتباع الشيخ بن الفكون والإنقياد إلى رأيه المصون وما أنتم إلا أولادنا وإلينا والسلام[2].

وبعد وفاة الشيخ عبد الكريم الحفيد خلفه ابنه محمّد أميرا على ركب الحج، متوليـا لوظـائف والده، وقد ثبّت على وظائف والده عام 1074 هـ[3].

ذو قد تمتعت عائلة الفكون بنفوذ كبير خاصة زمن الحفيد من بين هذه الامتيازات :

1/ مهمة توصيل قافلة الحجاج معال حقوق المطلقة عل كل الأشخاص المشكّلين لها، والكسب بشـتى أنواعه النتاج عن هذه المهمة.

---

[1] ابن العنتري : فريدة منسية، ص ص 45-46.

[2] ابن العنتري : نفسه، ص 46.

[3] Mercier, élévation de la famille EL FAGGOUN ; pp 244 . 247.

ونشير إلى أن أبي راس الناصر قد ذكر في كتابه (فتح الإله ومتنه) أنه نزل قسنطينة العلامة الشيخ محمّد بن عبد الكـريم بـن محمّـد الفكون.

أنظر فتح الإله ومتنه في التحدث بفضل ربي ونعمته، تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، دون رقم ط، 1990، ص 98.

2/ إدارة أموال المسجد الكبير البطحاء دون مراقبة.

3/ الإعفاء من الضرائب وكل التكاليف لأموالهم والحبوس وممتلكاتهم الحضرية والريفية، منازل مخابز، حمامات، مطاحن، ورشات النسيج، محلات، بساتين ...الخ.

4/ الإعفاء من المهام والأعمال المضجرة وحقوق الدخول والخروج، والطعام والمسكن للأفراد والموظفين، كل المزايا التي يستفيد منها خدمهم، مدراء أعمالهم، رعاة خماسين.

5/ هبات واقطاع من العقارات.

6/ حقوق العشر على الزرابي والخشب الآتي من الأوراس بقسنطينة.

7/ حق قبض رسوم الانتفاع على سوق الخضر والفواكه.

8/ حق اللجوء للمّتابعين من قبل السلطة للأماكن التابعة لآل الفكون[1].

أما فيما يخص ركب الحج فلا توجد لدينا معلومات وافية عنه وعن كيفية تنظيمه، فقد ذكر المهدي شعيب أن الشيخ الزورق (ت 1493/899) كان أمينا لركب الحجاج المغاربة فإذا وصل إلى قسنطينة نزل عند صديقه الشيخ عبد المؤمن ويقع الإعلان سلفا عن وقت السفر في كل مكان ليتأهب الراغبون في الحج ويستعدوا له قبل وصول وفد المغرب، فإذا وصل الوفد إلى قسنطينة تكون وفود بقية الجهات قد وصلتها قبله، فإذا وصل وتم الجمع يتوجه الجميع في حفل مشهود بين خفق الرايات ودوي الطبول وفي المقدمة أمير الرّكب الذي يقال له أيضا الرقاص، وكلمة رقاص معناها مرشد أو دليل أو مأخوذة من قولهم أرقص القوم في سيرهم إذا كانوا يقطعون الوهاد والنجاد انخفاضا وارتفاعا أو اهتزازا على ظهور الإبل كما هو حال المسافر عليها[2].

ورغم أن الورتلاني صاحب الرحلة، عاش في مرحلة متأخرة عن الزمن المدروس فقد عاش في الفترة (1780/1713) إلا أنه أعطانا معلومات مستفيضة عن ركب الحج، انطلاقا من ركب المغرب الذي له طريقا ثابتة لا يمكن لأي قافلة أن تحيد عنها ومراكز ثابتة كبسكرة وقابس وطرابلس والقاهرة ثم مكة والمدينة، وكانت الإبل هي الوسيلة الأساسية للتنقل وقد سلك هذه الطريق كل من العياشي

[1] Mercier : Op, cit…, p 227.

[2] المهدي شعيب : أم الحواضر في الماضي والحاضر، ص 119.

والدرعي والورتلاني، خلال القرنين 18/17م وقليل من الحجاج من يفضل طريق البحر، لمخاطره وتجنبا
للحالة السيئة التي كانت عليها الأسفار البحرية آنذاك ولقلة الأمن في البحر المتوسط بسبب خطر القرصنة المسيحية[1].

وقد تحدث الورتلاني عن شيخ الإسلام أمير الركب بقسنطينة في عصره وهو بدر الدين بن الفكون دون معلومات مفصلة، كما يذكر أن أمير الركب ينتقل إلى العاصمة ليحصل على إذن السلطات المركزية، وبعد ذلك يبدأ في إصدار الأوامر بالبدء في نشر أخبار الحج، فينطلق المعلنون الرسميون يجوبون المدن والقرى، ويعقدون الاجتماعات فيعلنون خبر الحج، ويرغّبون الناس فيه، فيبدأ الناس الاستعداد لهذا السفر الطويل ثم يتجهون إلى محطات التجمع بقصد السفر وتشارك فيه أغلب جهات القطر الجزائري ومن مختلف الطبقات الاجتماعية[2].

كما أن لأمير الركب معاونون كالإدلاء والحفارة الذين يسبقون القافلة لكشف المواقع، وقاضي الأمير وكاتبة، خاصة ما تعلق بالعقود التي ربما تعقد أثناء السفر كالزواج والطلاق أو البيع، والجماعة الذين ينتمون إلى مدينة أو قبيلة واحدة يجتمعون ويختارون واحدا منهم مقدم عليهم يتلقى الأوامر من شيخ الركب فيما يهمهم طوال السفر، أما وسيلة السفر من الجزائر إلى غاية طرابلس فهي البغال والحمير والخيل والجمال وعلى الأقدام للبعض الآخر، فلما يصلون إلى طرابلس تترك تلك الحيوانات هناك عند الفلاحين، فيحتفظون بها حتى العودة ويستعملونها أحيانا في الأعمال الفلاحية، ولاجتياز صحراء برقة يشترون، ويكترون الجمال الطرابلسية وفي العودة يكترون الجمال الحجازية[3].

وكانت القافلة تجد في السير خوفا من غارات اللصوص، كما أنها تحصل على ما تحتاجه من مؤمن السفر عن طريق الشراء من المناطق التي يمرون بها[4]، وفي المساء توقد النيران ويطهى الطعام ثم تؤدي صلاة العشاء جماعة في نظام ثم يتلون القرآن جماعة وبعدها يدعون دعاء السلامة للجميع، وأحيانا

---

[1] مختار الطاهر فيلالي: رحلة الورتلاني، عرض ودراسة، دار الشهاب باتنة، الجزائر، دون ر ت ط، ص 80.
[2] نفسه، ص ص 84، 85.
[3] نفه، ص 87.
[4] نفسه، ص 88.

يسيرون في الليل منتهزين ضوء القمر ويدوم السفر طويلا عام للذهاب وآخر للعودة، ولا يخلوا الســـفر من المشاكل فقد يصادفون أودية أو يتيه الركب عن الطريق[5]، وربما يتعرض الركب لغـــارات اللصوص

خاصة أمام الفوضى والاضطراب والمنازعات التي قد يشهدها الركب فيكون بذلك فريسة سهلة[1].

والركب فوق ذلك له رجال مسلحون يردّون عنه ويدعون هجمات اللصوص وقطّاع الطريق، كما أن الحمالين في الحجاز ومصر منهم المخادعين فمنهم من يخالف العقد المبرم ويطلب ضعف السعر وهناك من يهرب ويدع متاع الحجاج في الصحراء، فيقدمون شكاويهم لسلطات البلد لكنــها غالبــا يكون إلى جانب الماكرين[2].

لم يكن الحجاج المغاربة يسلمون من هجمات الأعراب حتى أثناء تأدية مناسك الحج فتســـرق أمتعتهم وإبلهم ويعرضون عن زيارة بعض الأماكن المقدسة التي اعتاد الناس زيارتها.

فلما يؤدي الناس المناسك يشترون ما يحتاجون من أمتعة ورواحل ويرجعون إلى أوطانهم محمّلين بالمشاق من تعب وعطش وأمراض قد تؤدي إلى الوفاة[3]. فقد أشار الفكون إلى أن والده محمّد مات عام 1045 بالمويلح بمصر وهو عائد من الحج[4].

كما أن الركب كان له دور كبير فيما يخص الحياة الثقافية فمن خلاله يلتقي العلماء فيتبادلون التـــأليف والفتاوى ويصدرون الإجازات فالعياشي التقى بمحمّد الفكون الحفيد بطرابلي وهو أمير ركب الحـــج، وفي الحجاز التقى بعلماء كثر، وبن باديس عرض إعراب أية للفكون الحفيد على المقرّي لّمـــا لقـــاه في موسم الحج، فكان بذلك فرصة للتبادل المعرفي بين أقطار العالم الإسلامي.

[5] نفسه، ص 98.

[1] مختار الطاهر فيلالي: رحلة الورتلاني، ص 92.

[2] نفسه، ص 93.

[3] نفسه، ص 94.

[4] الفكون: منشور الهداية، ص 52.

المبحث الثالث: الفكون والتصوف

المطلب الأول: موقف الفكون من السياسة:

قبل أن نتكلم من هذا الجانب، نتطرق إلى بعض الأحداث التي يمكن أن تميط اللثام عن شخصية الفكون، فأوّلا نورد أولى الملاحظات وهي أن الفكون رغم دوره السياسي إلا أن هذا الدور لم يكن إلا بقدر ما يدفع به الفتنة، ورجاء السلامة له ولمجتمعه، ولا نعتقد أن الدور الذي لعبه والامتيازات التي وصل إليها كانت نتيجة التزلف والتملق لصالح السلطات العثمانية، فقد ذكرنا من قبل أنّه باستثناء قاسم الفكون الذي تولى القضاء بقسنطينة فإنّ أحدا غيره لم يتولى منصبا سياسيا للإدارة العثمانية. فالذي نريد أن نقوله هو أن: بالرغم من تعامل الفكون مع العثمانيين فإنه كان يتحسس من تولي الوظائف لهم خاصة وظيفة القضاء وذلك لم يكن دأبه فقط وإنّما كان دأب جده أيضا فقد ذكر في منشور الهداية أنه لما حضرته الوفاة إقترح عليه مكان دفنه ومن الأمكنة المقترحة الموضوع الذي به أخوه قاسم الفكون فأجاب أنه "ثقيل موحش"، وظن أنه فرّ من مخالطة دفنه قائلا: إن سيّدي كان قاضيا ولا أحب الدفن هناك[1]. ويشير الفكون إلى نفس الموقف عندما ترجم لابن الحاجّة وذكر أنه وّلي نيابة القضاة فكان كثيرا ما ينهاه عن تعرضه للخطة المذكورة، فيخجل احتشاما ويبدي ابتساما مع اعتراف أنه فيها على خطر.

أمّا إبراهيم الجزيري صاحب خطة الوثيقة فكان يتعاطى أمورا مخزنية لا يرضاها له الفكون وليست من شأن أمثاله وهو معترف بخطئه في ارتكابه لها ويتعلل بالخوف على نفسه من الأمراء عند انسلاخه منها وإبايته عليها[2].

أما حميدة بن باديس فكان مخالط للأمراء كاتبا بين أيديهم وهو يبتهل إلى الله –الفكون– أن يردّه إلى منصب آبائه وأسلافه –العلم–[3].

إذن فالفكون كان يكره التقرب من الأمراء ومخالطتهم والعمل لديهم، زيادة على ذلك فإن الفكون في كتبه خاصة منشور الهداية، لم يتعرض لكثير من الأحداث السياسية المهمة التي وقعت في عصره، والتي من أبرزها ثورة ابن الصخري عام 1637، كذا الصراع بين الإسلام والصليبية في هذه الفترة والذي كان ممثلا في الدولة العثمانية خاصة في الجزائر من جهة، والدول الأوربية من جهة أخرى، ونحن نتساءل عن السبب الذي جعل الفكون يغض الطرف عن هذه الأحداث؟ هناك تفسيرات أما

---

[1] الفكون: منشور الهداية، ص 50.

[2] نفسه، ص ص 214/213.

[3] نفسه، ص 10.

الأول فهو أن هذه الأحداث لم تكن موضوع (منشور الهداية) لأنه أُلّف للنصح العام، ومحاربة البدع، والانحطاط العقلي وهو ما يتلاءم مع ما كان عليه العالم من صراع شديد بين العثمانية (الإسلامية) والإسبانية المسيحية، فإن صح هذا التفسير يكون عمله هذا مكمّلا لعنصر القوة الخارجية.

أما التفسير الثاني فهو أنّ الفكون كان رجل دين وعلم يؤمن بعدم التدخل في الشؤون السياسية والمحافظة على مكانة رجل الدين والعلم أمام رجل الحكم والسياسة، وتَبيّن ذلك بالإشادة بجده لما أصرّ على قتل المختاري اليهودي الذي تعرض للنبي – صلى الله عليه وسلم – رغم معارضة القضاة والحاكم والجنود، واستنكاره الدائم للمترلفين للسلطان كما رأينا فيما سبق وهذا التفسير قد يكون قائما على مبادئ الطريقة الزروقية طريقة الشيخ أحمد زورق الصوفية التي ينتمي إليها الفكون وهي طريقة تؤمن بملازمة السمع والطاعة لأمراء المسلمين عامتهم وخاصتهم من أهل الله فلا يخالف عليهم بقول ولا بفعل بل إيمان وتسليم[1].

وعلينا أن نسجّل أن الفكون رغم إبتعاده عن شؤون السياسة عموما وهو ما يتوافق مع تصوفه إلا أننا نلمس أن له ذوق سياسي فكان يتحسس من السلطة التركية، ويصف قضاهم بقضاة العجم، كما أنّنا نجده متعاطفا مع الثورة التي قام بها يحي الأوراس الذي تصدى للإفتاء بقسنطينة ودار سلطنتها بالجزائر ونتيجة الوشاية لدى الأمراء والقول عليه بخلع البيعة فرّ من قسنطينة إلى أوراس، واجتمع عليه الناس، ووقعت بينهم وبين عسكر الجزائر حروب كثيرة، وبقي كذلك إلى أن قتل – رحمه الله – بحالة غدر من بعض الفرق، فبيتوه فغدروه فكان من أمره ما قدر الله، وقال أنه يموت شهيدا [2].

المطلب الثاني: الفكون والطريقة الشاذلية :

وتقوم أسس طريقة الزورق على الطريقة الشاذلية التي أسسها أبو الحسن الشاذلي وهي الطريقة التي قال عنها العياشي أنها تشبه الطريقة النقشبندية التي إطّلع عليها في الحجاز وذكر أن أهل المغرب لا يعرفونها إنما يعرفون الطريقة الشاذلية[3].

---

[1] الفكون : منشور الهداية، ص ص 10/9.

[2] نفسه، ص ص 54-55.

[3] العياشي : الرحلة العياشية، ج1، ص 213.

أبي الحسن الشاذلي (591-656) علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف بن هرمز الشاذلي المغربي أبو الحسن رأس الطائفة الشاذلية من المتصوفة وصاحب الأوراد المسماة "حزب الشاذلي" ولد بغمارة بريف المغرب ونشأ في بني زرويل ونفقة وتصوف بتونس وسكن شاذلة قرب تونس فنسب إليها ورحل إلى المشرق فحج ودخل العراق ثم سكن الإسكندرية وتوفي بصحراء عيذاب في طريقه إلى الحج وكان ضريرا، ينتسب إلى الأدارسة بالمغرب وله غير الحزب "رسالة الأمين في أدب التصوف"، رتبها على أبواب، و"نزهة القلوب وبغية المطلوب" و"السر الجليل في خواص حسبنا الله ونعم الوكيل".

الزركلي الأعلام، ج7، ص 305.

وكان الشيخ الزورق يأتي مع طائفة من التجار كل سنة إلى مدينة قسنطينة قادما من المغـــرب وكان والد عمر الوزان قابضا لحقوق رسم الدخول لباب هذه المدينة ولمكانة الزورق كل والـــد عمـــر الوزان لا يقبض منه أي رسم بل ويكرمه بالضيافة في مترله[1].

كما ذكر الفكون أنه دعوة الشيخ الصالح أبي العباس أحمد زورق، فقد ضل الزورق بتردد على قسنطينة إلى أن قدم في بعض الأيام على عادته فلم يجد والد أبي حفص بالباب كعادته فسأل عنه فأُخبر أنّه ولـــد له ولد اشتغل بوليمته فاتفق أن مشى الشيخ أبو العباس إلى دار والد أبي حفص وطلب على الوالد وحمله على كفه وجعل يمشي به في طرف البيت إلى الطرف الآخر وهو يقول اللهم تقبله مني على أي حالـــة كان. فكان يقول أنا دعوة الزورق[2]. كما أن الشيخ عمر الوزان من تشد له لرجال في طلب العلـــم، وممن يفتى بأقواله وأفعاله وكان في بداية أمره معنيا بطريق الصوفية والعكوف على قراءة كتب الـــوعظ، وقد تتلمذ عبد الكريم الفكون الجد على عم الوزان وأخذ الفكونالحفيد عن والده محمد عن جده عبـــد الكريم. وهناك أدلّة أخرى تدل على أن الفكون الحفيد كان متأثرا بالطريقة الشاذلية زيادة على ما سبق منها أن العياش لما طلب الإجازة من الفكون والاتصال بحضرته والانخراط في سلك خدمته إجابة يقـــول أبي الحسن الشاذلي، لك ما لنا من الخدمة وعليك ما علينا من الرحمة[3]. وقد ذكر الفكون قـــد ألـــبس الخرقة عن سيدي يحيى الأرواسي (أحد شيوخ المؤلف)، عن طاهر عن أحمد زورق[4]. كمـــا نجـــد أن الفكون تأثر أيضا بصورة كبيرة بالشيخ عبد الرحمن الأخضري توفي عام 953هـــ، وقـــد إستشـــهد بأبيات قصيدته المشهورة بالقدسية التي انتقد فيها انحرافات الصوفية، وكان الأخضري قـــد تلقـــي ورد

---

[1] Vayssettes: Histoire de Constantine…, p 54.

[2] أما زورق فهو أحمد بن أحمد بن محمّد بن عيسى البرنسي الفاسي بزروق (846-899 هـــ) آخر الأئمـــة الصـــوفية المحقـــيقين الجامعين بين الحقيقة والشريعة له عدة مؤلفات خاصة في التصوف ولعل من أبرزها "شرح الحزب الكبير لأبي الحسن الشاذلي وشـــرح مشكلاته".

أنظر الفكون : منشور الهداية، ص ص 35-36.

[3] العياشي : الرحلة العياشية، ج 2، ص 390.

[4] المصدر نفسه، ج2، ص 206. الخرقة معناها المعطف تدل في اصطلاح التصوف على الكسوة والعمامة معا وفي آن واحد ويكون أخذ الخرقة إما بالمصافحة أو المحادثة التلقينية أو بالنظر أو بتلقين الذكر القلبي، أنظر محمد علي العيني: عبد القادر الجيلالي شيخ كبير من صلحاء الإسلام ترجمة عـــن التركية محمّد حجي ومحمّد الأخضر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1993، ص 64.

الطريقة الشاذلية والزورقية على الشيخ محمّد بن علي الخروبي، عند مرور هذا الأخير بالراب في طريقه إلى

الحج[1]، أما محمّد الخروبي المذكور (ت 963 هـ) فقد شرح نظم شيخه أحمد رزوق في أصول الطريقة الشاذلية[2]. هذه بعض المؤثرات التي تجعلنا نحكم بأن الفكون الحفيد عد تأثر بالطريقة الشاذلية الزورقية فمن حيث المبدأ ضلّ الفكون وفيا للتصوف، لكن التصوف العلمي والعملي الذي يبتعد عن البدع والخرفات وفي ذلك يبدو تأثر الفكون جليا بالشيوخ الذين ذكرناهم من حيث رفضهم التصوف المبني على الجهل والخرافة. فأحمد الزروق له عدة مؤلفات إستنكر فيها هذه الانحرافات وظل يؤكد على ربط التصوف بالكتاب والسنة، من خلال كتابه "تأسيس للقواعد والأصول في أمور التصوف وما فيه من وجوه التعرف" وكتب أخرى منها "إعانة المتوجه المسكين على طريق الفتح والتمكين" وكتاب "النصية الكافية لمن خصه الله بالعافية" وكتاب في "ذم البدعة المحدثة وذم أهلها" [3]. وقد واصل تلاميذ الزروق الخط الذي رسمه وشرحوا جزءا من تأليفه وعلقوا عليها مثل محمّد بن علي الخروبي شرح كتاب أستاذه "أصول الطريقة وعيوب النفس" وألّف بدوره كتبا منها كفاية المريد وتفسير القرآن والحكم وشرحها، كما ألف عبد الرحمن الأخضري منظر منه القدسية كما ذكرنا سابقا يتفقد فيها الانحرافات الصوفية[4]. إذن فالفكون الحفيد يسير على نفس هذا الخط، التصوف العلمي والعملي والذي جسده الشيخ عمر الوزان، لكن نصوصا يدل ظاهرها على أن الفكون في آخر عمره قد ترك علوم الظاهر وتحول إلى علوم الباطن (التصوف) فقد أورد العياشي أن الفكون كان في غاية الانقباض والانزواء عن الخلق ومجانبة علوم أهل الرسوم بعدما كان إماما يقتدى فيها، فألقي في قلبه ترك ذلك والعكوف على حضرته بالقلب والقالب. وكان يقول إذا ذكر له شيء من هذه العلوم قرأتها لله وتركتها لله[5]. ونحن نتساءل عن الأسباب التي جعلت الفكون في غاية الانقباض، هل فقد الأمل في إصلاح مجتمعه ففضّل العزلة؟ أم أنه رجع إلى أهل التصوف وترك الاشتغال بالعلم؟ أم أن الفكون لتقدم سنه وقرب أجله ترك التدريس،

---

[1] سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 501.

[2] عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ الجزائر العام، ج3، ص ص 108/107.

[3] بوداود عبيد :ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين، ق (15/13م) دار الغرب للنشر والتوزيع وهران، 2003، د.ر ط، ص 190.

[4] بوداود عبيد :ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين، ص 191.

[5] العياشي : الرحلة العياشية، ج2، ص 391.

وهنا ننقل قول المقري في الفكون من أنه كان "ميالا إلى التصوف ونعم ما فعل" [1]. لكن المقرّي تــوفي عام 1041 هــ أي قبل أن يترك الفكون الاشتغال بالعلم الظاهر إلى التصوف وهو ما يعني أن الفكون كان مهتما بالتصوف حتى أيام تعاطيه للتدريس. وبذلك يتبين أيضا أنه ترك التـــدريس و لم يرجـــع إلى التصوف العملي.

المطلب الثالث: موقف الفكون من إنحرافات التصوف والمتصوفة

يعتبر كتابي الفكون منشور الهداية ومحدد السنان. أهم كتابين تجلى فيها تذمر الفكون من بعض المتصوفة زمانه، وأشباه العلماء المتزلفين للأمراء فقد شاع بين الناس اتخاذ الوعدة والحضـــرة والـــرقص والغناء فيهما، والذكر الجماعي مع تغيير اسم الله تعالى تراهم ككلاب نابحة ولعابهم كميـــاه طافحـــة وأنفاسهم كنيران نافحة لا يفرقون ما بين واجب ومندوب ولا محرّم يتخذون تلاميذ يسمونهم الفقراء[2] ومن عادتهم الاستيلاء على أرزاق الناس والتعامل مع اللصوص وإنشاء المدارس القرآنية للطلبة وأكلـــهم الأموال في ذلك، وذكر المؤلف ركب الشيخ بوعكاز فكان يقول لزائره من يأتي بلا شيء يرجع بـــلا شيء فيؤثرونه بالهدايا حتى أن أحدهم مر على رؤوس الخرشف أو عسالجة فأهداها إليه وقال لـــه: يـــا سيدي لم أجد ما أتيك به إلا هذا[3].

وغالبا ما كان يصاحب تلك الحضرات الاختلاط بين الرجال والنساء وقد ذكـــر الفكـــون أن محمّد البلدي لمّا اشتهر أمره بين الناس، صاروا يدخلونه دورهم ولا يحجبون عنه نساءهم، وممـــن فعـــل ذلك والده، وكان هو لا يرضى بذلك ويجب منه زوجته ولا يبيح له النظر[4].

وذكر أمر عبد الله بوكلب الذي تعلق بامرأة وتعلقت به فكان يخلوا بها ليل نهار حتى حملت منه والمرأة تدّعي أن الأولياء أعطوها له، و لم يزل آخرون على اعتقادهم من أنّ الأولياء أعطوه المرأة، فانظر إلى هذا الخطر العظيم والأمر الفادح الجسيم في نسبة أولياء الله وأهل صفوته إلى القبائح والخبائث[5] ونقل

[1] أحمد المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1949، ج3، ص 240.

[2] الفكون : منشور الهداية، ص 119.

[3] الفكون : منشور الهداية، ص 34.

[4] نفسه، ص 73.

[5] نفسه، ص 177.

الفكون عن الشيخ الزروق أن العلم الصحيح قد طوي وقد تبدأ الإنحراف في التصوف منذ ما يزيد عن 200 سنة، ونقل الزروق عن بعض المشايخ أن التربية قد رفعت في سنة 824 هـ.

وقد أكثر الفكون من الاستشهاد بالقدسية للأخضري، حتى كاد يذكرها ومن الأبيات التي ذكرها:

وقال بعض السادة الصوفية	مقالة جليلة صفيه
إن رأيت رجلا يطير	أو فوق ماء البحر قد يسير
و لم يقف عند حدود الشرع	فإنه مستدرج وبدعى

وقال:

واعلم بأن الخارق الربّاني	لتابع السنة والقرآن
والفرق بين الإفك والصواب	يعرف بالسنة والكتاب
والشرع ميزان الأمور كلها	وشاهد لفرعها وأصلها
والشرع نور الحق منه قد بد	وانفجرت منه ينابيع الهدى

ويقول:

وأسفا على الطريق السابلة	أفسدها طائفة الدجاجلة
قد أحدوا طريقة بدعية	ورفضوا الطريقة الشرعية
يا عجبا لرافض الشريعة	كيف ادعى درجة رفيعة
فكيف يرقى سلم الحقيقة	مخالف لسيد الخليفة[1]

ويقول أيضا:

فأين حال هؤلاء القوم	من سوء حال فقراء اليوم
قد ادعوا مراتبا جليلة	والشرع قد تجنبوا سبيله
قد نبذوا شريعة الرسول	فالقوم قد حادوا السبيل
لم يدخلوا دائرة الطريقة	فضلا على طريقة الحقيقية
لم يقتدوا بسيد الآنام	فخرجوا عن ملة الإسلام

[1] الفكون: منشور الهداية، ص، ص 222، 224.

لم يدخلوا دوائر الشريعة وأوّلوا ببـــدع شنيعـــة
لم يعملوا بمقتضى الكتاب وسنة الهادي إلى الصواب

قد ملكت قلـــوبهم أوهـــام والقوم إبليس لـــهم إمام
كفاك من جميعهـــم خيانـــة أن قتلوا العباد بالديانـــة
وانتهكوا محـــارم الشريعـــة وسلكوا مسالك الخديعة
من كان في نيل الكمال راجيا وعن شريعة الرسول نائيا
فإنـــه ملبـــس مفتـــون وعقلـــه مختبل مجنـــون
هذا محال لا يصـــح أبدا لأن سيد الورى باب الهدى[1]

يقول أيضا :

وقال بعض أوليـــاء الله السالكين لصراط الله
من ادّعى مراتب الجمال و لم يقم بأدب الجلال
فأرفضه إنما الفتى دجال ليس له التحقيق والكمال
ومن تحلى بحلى المعالي وبحدود الله لم يبال
ففر منه إنه شيـــطان مخادع ملبس خوان
يا صاح لا تعبأ بهؤلاء ذوي الخنا والزور والأهواء
باءوا بسخط وضلال وقلا لن تبلغوا مراتب المجد إلا
أن تنظروا البهموت بالعرش يناط أو يلج الجمال في سم الخياط

وقد أكثر الفكون من الاستشهاد بأئمة السلف في الإنكار على البدع، فإضـــافة إلى الـــزروق والأخضري نقل عن صاحب المدخل ابن الحاج الفاسي المتوفي سنة 737 هـــــ حيـــث أورد قولـــه " العجب ممن يدّعي المشيخة منهم وهداية الطريق كيف يعطي الإجازات للفقراء من تحت يده والمشـــيخة ولو سألته عن فرائض الوضوء أو سننه أو فضائله، فإن كان هذا حال الشيخ في جهله بمبادئ أمر دينـــه فكيف بمن يصحبه؟ فكيف بمن يجيزه؟ وقد قال أهل التحقيق من أهل الطريق أن الفقير لا يكون مميـــزا

[1] الفكون : منشور الهداية، ص ص 131/ 132.

حتى يكون قلبه كأنه في كفه، يعني من قوة معايشته له ونظره إليه، فتعرف الزيادة فيه من النقص بديهة وأما الشيخ فلا بد له من زيادة على ذلك[2].

كما نقل الشيخ عن إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي المتوفي سنة 161 هـ الشروط التي بها ينال درجة الصاحين وهي ستة أوّلها غلق باب النعمة وفتح باب الشدة والثانية بغلق باب العز وفتح باب الذل والثالثة لغلق باب الراحة وفتح باب الجهد والرابعة غلق باب النوم وفتح باب السهر والخامسة غلق باب الغنى وفتح باب الفقر والسادسة غلق باب الأمل وفتح باب الاستعداد للموت. كما نقل عن الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي المتوفي سنة 187 هـ وبشر الحافي المتوفي سنة 227 هـ والطرطوشي ونقل فتوى أوردها الشاطبي عن مالك بن أنس حيث سئل عن قوم يقال لهم الصوفية يأكلون كثيرا ثم يأخذون في القصائد ثم يقومون فيرقصون فقال مالك: صبيان هم؟ قال لا أمجانين هم؟ قال لا. قوم مشايخ عقلاء فقال مالك رضي الله عنه ما سمعت أن أحدا من أهل الإسلام يفعل هذا إلا أن يكون مجنونا أو صبيا ثم قال: ولو فعلوه على جهة اللعب كما يفعله الصبي لكان أحف عليهم مع ما فيه من إسقاط الحشمة وإذهاب المروءة وترك هدي أهل الإسلام وأرباب العقول لكنهم يفعلونه على جهة التقرب من الله والتعبد له وأن فعله أفضل من تركه وهذا أدهى وأمر، يعتقدون اللهو واللعب عبادة وذلك من أعظم البدع المحرمات الموقعة، في الضلالة المؤدية إلى النّار والعياذ بالله[1].

ونقل عن الغزالي قوله: متصوفة أهل الزمان إلا من عصمه الله تعالى اغترّوا بالزي والمنطق والهيأة من السماع والرقص والطهارة والجلوس على السجادات مع إطراق الرأس وإدخاله في الجيب كالمتفكر ومن تنفس الصعداء، وخفت الصوت في الحديث إلى غير ذلك فظنوا لذلك أنهم منهم فلم يتعبوا أنفسهم في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثار الخفية والجلية وكل ذلك من أوائل منازل المتصوفة ولو فزعوا جميعها لما جاز لهم أن يعدوا أنفسهم من الصوفية كيف و لم يحوموا قط حولها، بل يتكالبون على الحرام والشهوات وأموال السلاطين ويتنافسون في الفلس والرغيف والجبة ويتحاسدون على النقير والقطمير ويمزق بعضهم أعراض بعض وليسوا من الرجال في شيء بل هم أعجز من العاجز في المعارك فإذا كُشف عنهم الغطاء فوا فضيحتاه على رؤوس الأشهاد.

---

[2] نفسه، ص ص 172/171.

[1] الفكون: منشور الهداية، ص 188.

ومنهم طائفة ادّعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاورة المقامات والأحوال ولا تعـــرف هـــذه الأمور إلا بالأسامي والألفاظ إلا أنه يتلقف من الطائفة كلمات فهو يرددها ويضن أن ذلك علم أعلى

من علوم الأولين والآخرين فهو ينظر إلى الفقهاء والمفسرين والمحدثين بعين الإزدراء حتى أن الفلاح يترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازمهم أيّاما ويتلقف هذه الكلمات فهو يرددها كأنه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الأسرار ويستحقر بذلك جميع العُباد والعلماء فيقول في العبّاد أنهم أجـــراء يتعبـــون، وفي العلماء إنهم بالحديث عن الله محجوبون ويدّعي لنفسه أنه هو الواصل إلى الحق وأنه من المقرّبين وهو عند الله من الفجار المنافقين وعند أرباب القلوب من الحمقى الجاهلين هذا في زمنه فكيف بزماننا الصـــعب؟ نسأل الله السلامة[1].

ونضيف أيضا أننا نجد أن الفكون ظل محافظا على خطه الأصيل الذي هو التصوف ويقـــرر في "محدد السنان" أنه إذا تعارض رأي الصوفية مع رأي غيرهم، فإن الحق معهم لعدم اجتماع رأيهم علـــى الخطأ.

وفوق ذلك فقد حافظ الفكون على عدة أفكار صوفية منها، الإيمان بالمرائي والمنامات، فقـــد صدّق رجلا قرأ أن إسم النبي –صلى الله عليه وسلم– في الجنة هو عبد الكريم. وأنه رأى في المنام جده الذي قال له:كان فعل ماضي فكان سبب تحوله لدراسة النحو، وكذلك إيمانـــه بوجـــود الأغـــواث والأقطاب وغيرها[2].

---

[1] الفكون: منشور الهداية، ص ص 194/193.

[2] سئل شيخ الإسلام بن تيمة عن القطب الغوث الفرد الجامع فأجاب ما ملخصه: هذا ما يقول طوائف من الناس ويفسرونه بـــأمور باطلة مثل تفسير بعضهم بأن الغوث هو الذي يكون إمداد الخلائق بواسطته ومن ادّعى ذلك فعليه البرهان وإلا فالدعوى بلا دليل. ابن تيمة: مجموع الفتاوى، تقديم: حسين محمد مخلوف، دار المعرفة للطباعة والنشر، بـــيروت، دون رقـــم ط، 1976، ج 11، ص ص 141 وما بعدها.

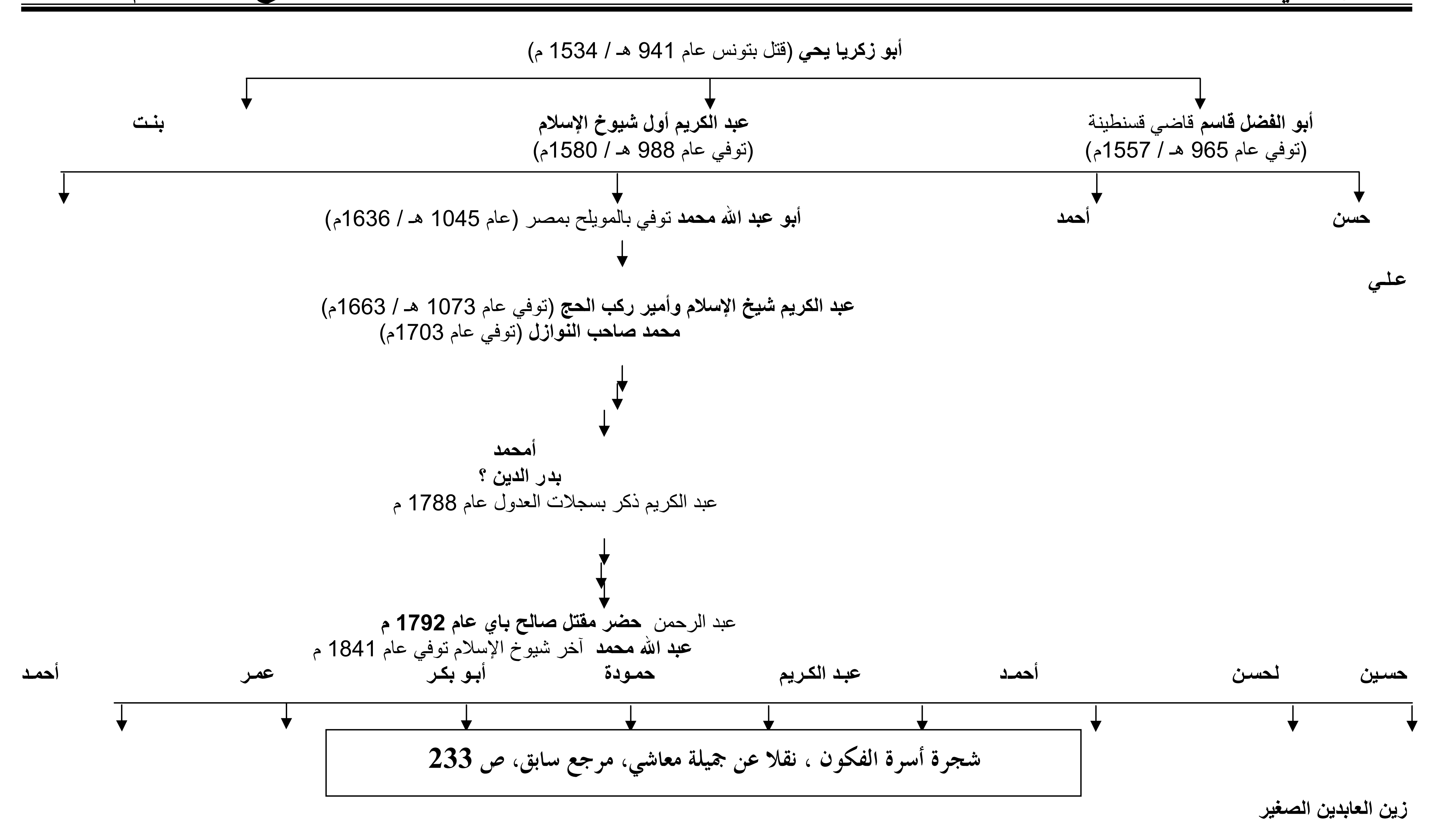
– ويقول الشيخ الكرمي في "شفاء الصدور": ومن الباطل إن عنى بالغوث ما يقوله بعضهم من أن في الأرض تلامائة ويضـــع عشـــر رجلا وقد سميهم النجباء، فينتقي منهم سبعون هم النقباء ومنهم أربعون هم الأبدال ومنهم سبعة هم الأقطاب ومنهم أربعة هم الأوتاد ومنهم واحد هو الغوث وأنه مقيم بمكة وأن أهل الأرض إذا نابتهم نائبة في رزقهم ونصره، فترع لذلك الثلاثمائة وبضع عشر رجـــلا وأولئك يفزعون إلى السبعين والسبعون إلى الأربعين إلى السبعة والسبعة إلى الأربعة، والأربعة إلى الواحد.

أخيرا نقول أن عائلة الفكون عائلة عريقة يعود مجدها إلى فترة من قبـــل التواجـــد العثمـــاني بقسنطينة وقد لعبت هذه العائلة دورا بارزا في تثبيت الحكم التركي، خاصة تدخل العلماء منها في تهدئة الثورات التي كانت تنفجر من حين لآخر في وجه السلطات التركية وقد عظمـــت امتيـــازات عائلـــة الفكون في عهد الفكون الحفيد، حتى نال هذا الأخير قيادة ركب الحج، واستحق مشيخة الإسلام.

ورغم تصوف الفكون على الطريقة الزروقية الشاذلية إلا أنه لم يكن متسامحا مـــع أصـــحاب الدروشة والدجل، وهو ما فتح الباب لبداية إرجاع التصوف إلى ما كان عليه السلف الصالح رضـــوان الله عليهم .

وبعضهم يقول أنه يتزل من السماء ورقة خضراء على الكعبة باسم غوث الوقت واسم خضره على قول من يقول منـــهم أن الخضـــر مرتبة وأن لكل زمن خضرا.

أنظر زين الدين مرعي بن يوسف الكرمي: شفاء والصدور في زيارة المشاهد والقبور، تحقيق جمال بن حبيب صلاح، إدارة البحـــوث العلمية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2، 2003، ص ص 400 ، 401.



شجرة أسرة الفكون ، نقلا عن جميلة معاشي، مرجع سابق، ص 233

الفصل الثالث:

الإنتاج الفكري للفكون

المبحث الأول : مراسلات الفكون

المطلب الأول : مراسلاته مع علماء الجزائر

أ – مراسلاته لسعيد قدورة

إن مكانة الفكون في المجتمع الذي كان يعيشه سواء داخل البلد أو خارجه ، مكنتـــــه من مراسلة كثير من أقرانه خاصة من أهل العلم. ولعلّ من أبرز من راسلهم الفكون سعيد قدورة، الجزائري الدّار، التونسي الأصل تولى الإفتاء بالجزائر المحروسة فأحسن فيها، وقد درس على سعيد المقري وتوفي عام 1066 هـ [1]

وقد تدرّج قدورة في الوظائف فقد تولى الإمامة في جامع البلاط وخطيب ومدرس الجامع الكبير بالإضافة إلى كونه مفتي المالكية ووكيل أوقاف الجامع الأخير وبذلك يكون قد وصل إلى قمة السلم الوظيفي والعلمي، [2] وتذكر المصادر أنه كان غنيا أيضا حتى انه كان يتاجر بأمواله مع بعض كبار التجار كما كانت له ارض حراثه. [3]

والأكيد أن مضمون هذه الرسائل كان يتمحور حول أمور علمية وعلاقة الموجودة بين الشيخين ومعلوم أن سعيد قدورة قد تولى الوظائف الرسمية قبل عبد الكريم الفكون الحفيد ، وهذا نص الرسالة التي أرسلها سعيد قدورة للفكون.

" بعد البسملة والصلاة على الرسول – صلى الله عليه وسلم – جاء مايلي: وكتب العلامة الخطيب الأجل أبو عثمان سعيد بن إبراهيم شهر قدروة إلى العالم العلامة، الصدر الشهير ابي محمد عبد الكريم الفكون (أحمد الله الذي جعل الرسائل وسائل لتعارف الأرواح، وقلّدها من أسراره خمائل وجبائل تجتذب بها القلوب والأشباح، وتقرب مسايف المتحابين وإن شطت مزارهم وأتراح ... ثم إني أنهي سلامي التام الشامل مصحوبا بالتحيات والإعظام محفوفا بالتبجيل والإجلال والإكرام إلى مقام العلوم التي بحرها زاخر، وزينة بالحسب النظار، وجملة ورفعه إذ كان عمدة، وخفض الجم له من شُرفت به قصر طينة فصار تربها من أطيب تربة وأفخر طينة وأصبحت ترفل

---

[1] الحفناوي : تعريف الخلف برجال السلف ، ج1 ، ص 66.

[2] سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي،ج1 ، ص ص 361، 362.

[3] نفسه ص 362.

على كل قرية ومدينة .... الإمام الهمام سيدي يحيى عبد الكريم بن محمد الفكون، كان الله لنا وله في الحركات وزاد من فضله المخزون وعمله المكنون أما بعد....

إلى أن يقول : على أني واصلتكم فيما سلف من الزمان بعجالة حسب المقدرة والوقار، ثم بليت بخطة الفتوى التي هي في الحقيقة بلوى إذ كانت تشغل عن كل فرض ونفل وترد كما قيل المتحابين له وعليه ويمنحنا من قربه أحسن إحسان وصلى الله على سيدنا محمّد على آله وسلم"[1]

ب – مراسلة الفكون لأحمد المقري:

ومن أشهر من راسله الفكون أيضا أحمد المقرّي صاحب " نفح الطيب" ذكر رسالة أرسلها له الفكون في رجب من عام 1038 واعتذر الفكون من أنه كان مشغولا بوفاة زوجته وقد جاء في الرسالة البسملة والصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم:

" عبد الكريم بن محمد الفكون، أصلح الله حاله بالتقوى وأبلغه من متابعة السنة النبوية آماله،إلى الشيخ الشهير الصدر النحر ير ذي الفهم الثاقب والحفظ الغزير الأحب في الله،المؤاخي من أجله سيدي أبي العباس أحمد المقري، أحمد الله عاقبتي وأسبل على الجميع عافيته أما بعد فإني أحمد الله إليك وأصلي على نبيه – صلى الله عليه وسلم ولا أريد إلا صالح الدعاء وطلبه منكم فإني أحوج الناس إليه وأشهدهم في ظني إلحاحا عليه، لما تحققت من أحوال نفسي الأمّارة، واستنبطت من دخيلائها المثابرة على حب الدنيا الغرارة كأنها عميت عن الأهوال التي أشابت رؤوس الأطفال وقطعت أعناق كُمل الرّجال فتراها في لجج هواها خائضة، وفي ميدان شهوتها راكضة طغت في غيّها وما لانت وجمعت فما انقادت ولا إستقامت فويلي ثم ويلي من يوم تبرز فيه القبائح وتنشر الفضائح ومنادي العدل قائم بين العالمين وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا به وكفى بنا حاسبين، فالله أسأل حسن الألطاف والسفر وارتكبنا من التعدي والإسراف وأن يجعلنا من أهل الحمى العظيم، وممن يحشر تحت لواء خلاصته الكريم، سيدنا ومولانا وشفيعنا النبي الرؤوف الرحيم ولنكف من القلم عنانه ولما أرجو أجله ثواب الله سبحانه وقد اتصل بيدي جوابكم أطال الله في العلم بقاؤكم فرأيت من عذوبة ألفاظكم وبلاغة خطابكم ما يذهل من العلماء فحوله او بنيلها لدى الجثوم لسماعه سألها و مأمولها بيد ما فيه من أوصاف من أره قاصر،

---

[1] سليمان الصيد : نفح الأخبار ، ص 14/13.

وعن الطاعة والاجتهاد فاتر وأصدق قول فيه عند مخبره ومرآه أن تسمع بالمعيذي خير من أن تراه لكن يجازيكم الله بحسن النية بالبلوغ في بحبوحة الجنان غاية وقد ذيلتم ذلك بأبيات أنا أقل من أن أوصف يمثلها على أني غير قائم بفرضها ونقلها، فالله تعالى يمدكم المعونة ويجعلهم من أجل مناجاته في حضرته ويسقينا من كاسات القرب ما نتمتع به بلذيذ منادمته وقد ساعد البنان الجنان في إجابتهم بوزنها وقافيتها والعذر لي أنني لست من أهل هذا الشأن والاعتراف بأنني جبان وأي جبان والكمال لكم في الترضى والقبول والكريم يغض عن عورات الجهول وظننا أن نجعل على منظومتكم الكلامية يعني " إضاءة الدجنة" تقيدا أرجوا من الله توفيقا وتسديدا بحسب قدري لا على قدركم وعلى مثل فكري القاصر لا على عظيم فكر كم وإن ساعد الأوان وقضى بتسييره رب الزمان فأتي به إن شاء الله الأجل لأنني بالإشراق إلى حضرتي راكب البراق مخترق السبع الطباق وكتب عازم على أن أبعث لكم من الأبيات أكثر من الواقع إلا الرقعة أعجلت وصادفني موت قعيدة البيت فلم يتسير عاجلا إلا ما ذكر وعلى الله قصد السبيل وهو حسبي ونعم الوكيل.

يا نخبة الــدهر في الدراية	علمـــــــــا تعاضده الرواية
لازالـــت بحرا بكل فـــن	يــــروى به الطالبون غاية
لقد تصـــدرت في المعالي	كـــــما تعاليت في العناية
من فيك تستـــظم المعاني	بلــــغت في حسنها النهاية
رقـــاك مولاك كل مرقى	تحـــوي به القرب والولاية
أعجوبة مـــــالها نـــظير	في الحـــفظ والفهم والهداية
يا أحمـــــد المقـــري دامت	بشراك تصحيحها الـــرعاية
بجـــــــاه خير العبـــاد طرا	والآل والصـــحب والـــنقابة
صلى عليه الإلـــه تتــــــرى	نكـــــــفي بها الشر والغواية

وقد قال المقري في خاتمة كلامه ان الفكون عالم المغرب الأوسط غير مدافع وله سلف علماء ذو شهرة ولهم في الأدب الباع المديد غير أن المذكور مائل الى التصوف ونعم ما فعل [1]

[1] المقري : نفح الطيب، ص ص 239 – 240.

وحدث أن عرض حميدة بن باديس احد تلاميذ المؤلف – الفكون – في الحجاز إعراب آيـة وهي قوله تعالى " ولأتم نعمتي عليكم"، للفكون على أحمد المقري، فأجاب عليه وقال كلاما مدح فيـه الفكون الحفيد وجوابه حيث قال : وبالجملة فهو العالم الذي ورث المجد لا عن كلالة وتحقق الكـل أن بيته شهير الجلالة بيت بني الفكون هضاب العلم والوقار والسكون لازال الخلف منـهم يحيـون مـآثر السلف.

وقال أيضا:

ودام عـبد الكريم فـردا	في الزهـد والعـلم والولاية
فهو الـذي حاز خصل سبق	وصـار هذا الزمان آية
والله يبـقيه ذا سمـو	مخلد الفضل والـدراية
بجاه خـير الـورى المرجي	مـن خصّه الله بالـعناية
عليه أزكى الـصلاة تـترى	لـدى ابتداء وفـي نهاية [1]

وقد حمل ابن باديس صورة جواب المقري معه إلى الفكون بقسنطينة، وقد لاحظ الفكـون أن المقري أجاب أو علّق على الإجابة تصحيحا لا توضيحا غير ما طرزه بأوصاف هي إلى الـتحكم عنـده أقرب منها للتحقيق وأورد قوله تعالى " وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون"[2]، كدليل على عـدم رضاه عن جواب المقري.[3]

و لم يكتفي الفكون بذلك بل هاجم المقري قائلا:" أنه خان الله ورسوله، وأن هذا لـيس مـن شأن العلماء العاملين، وأنه غطّى الجواب بتزويق الألفاظ، وما ألجأه إلى هذا الأمر إلا الثناء الجميل وحب المدح المنهي عنه في الشرع فباع إظهار الحق على زعمه بثمن عاجل فدخل في قوله تعالى:"ولقد أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للنّاس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس مـا يشترون"[4] ، أليس عليه تبيين ما في الجواب من الخطأ أو الصواب؟ ولا عليه ممن قال أو يقول [5].

---

[1] الفكون: منشور الهداية ص .213

[2] القصص الآية .69

[3] المصدر نفسه، ص .229

[4] آل عمران الآية .187

[5] المصدر نفسه ، ص 232.

ويبدوا أن فهم الفكون ناتج عن حساسية مفرطة فيه، فعند مطالعتنا لكتاب المنشور نجده يوظف علاقته بالناس للحكم عليهم في بعض الأحيان، وهو عين ما حصل بينه وبين المقري رغم أن هذا الأخير لم يصرح بأي كلمة تسيء للفكون بل مدحه وأعلى مقامه ثم إن الفكون كان الواجب عليه ، أن يتبع شأن العلماء الأكابر فيكظم الغيظ ويعفوا ويصفح ولا يرد الكيل كيلان على قوله "كما تدين تدان" ولنا أن نتساءل عن موقف المقري من الفكون لو اطّلع على صورة جوابه؟.

ج- مراسلته لشخصيات أخرى

راسل الفكون كثير من الشخصيات القسنطينية منها محمّد الفقيه الزواوي، وهو الذي أراد الحج في ركب محمّد حفيد عبد المؤمن ونصحه الفكون بعدم الذهاب لحجه قبل ذلك ولسوء مطعمه مركبه وقد استعار " المكودي" من المؤلف وسافر به إلى بلده زواوة وقد تراسلا في شأن الكتاب وإرجاعه إلى الفكون.

– كما تراسل مع محمّد بن راشد الزواوي الذي قدم إلى قسنطينة لأجل طلب العلم، وهو الذي كان سببا في تعلق قلب الفكون بدراسة النحو، وقد رجع إلى وطنه زواوة وكان لهما بعد ذلك مراسلات فقد واصل الزواوي التدريس في وطنه الأصلي [1].

– كما ذكر الفكون أنه تراسل كثيرا مع الأخوين على وعبد الرحمن اهلول وذكر أن عليا المذكور حل عليه بقسنطينة اثناء سفره إلى الحجاز، رفقة القاضي الشهير مولى علي، وكان أتى من باب السلطنة الأحمدية، من الولاة، وله معرفة ونجابة وقوة عارضة مشاركا في كل العلوم وعنده كتب جمّة وقد هرع إليه واليها وعسكرها وعظموه تعظيما كبيرا وقد قال للفكون ما تركت مصاحبة صحبتي وأسبابي في البحر ومررت من هنا إلا قصدا لزيارتك [2]

– كما راسل أحمد بن الحاجة وهو الذي عرّفه بالوفد التونسي للصلح خاصة محمّد تاج العارفين وإبراهيم الغرياني فقد كان بن الحاجة المذكور قد تولى نيابة القضاة بميلة ثم قسنطينة وكان كثيرا ما يراسل الفكون عن بعد ويشافهه عن حضور بمسائل تعرض له أو يستشكلها.[3]

[1] الفكون : منشور الهداية، ص .109

[2] المصدر نفسه، ص .225

[3] نفسه ، ص 213.

المطلب الثاني : مراسلاته مع علماء تونس

أ – مراسلته لمحمد تاج العارفين العثماني:

ومن الذي راسلهم الفكون أيضا علماء تونس من محمّد تاج العرفين العثماني، ويبدوا أن ذلك تم أثناء قدوم الوفد التونسي الى الجزائر وعقد الصلح بعد الحرب بين الأيالتين و كان هذا الصلح عام 1037، وهذا نص رسالة تاج العارفين:

" الحمد الله الذي أطلع الشمس الطلعة الفكونية من الأفق الغربي ويا عجبا مـــــن طلـــــــوع الشمس منه أمانا للعالم، وجمع فيها ما افترق من شتات العلوم في كل نحرير عـــــــالم، وأزاح بهـــــا سحب الإشكال وأراح بها من سجق الجهالة المخدّرة لوجوه المعاني والأشكال وقيّد بها شوارد العلوم، وقرن بها على طريقة التحقيق بين المنطوق منها والمفهوم أحمده حمد من رغـــــب إليه في استصواب الصواب وأشكره شكر من علم أن شكره سبحانه هو غاية المرغوب والثواب واشـــــــهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد محقق في إيمانه، يخلص في عرفانه وإيقانه، ونــــــشهد أن سيدنا ومولانا محمّد عبده ورسوله الذي أوتي من الكلم جوامعه، وعمّر به من كـــــل ســــــبيل صوامعه وجوامعه اللّهم صلي عليه وعلى آله أولــــــــي الجد والتحقيق وأصحــــــابه خير صحب وأكرم فريق ، ماذرّ شارق وشرّق غارب ، وسكب هاطـــل وهطل ساكب [1] وبعد فلام يــــــسابق النسيم ويجاري برقته أنفاسه التسنيم ، يصافح الروض فيكتسب من نشره ويقاوح الأزهار فلا تجد أزكى من زهرة، يسترق العنبر من عبيره ويسترق المسك لفوته عنه في كثرة الشم وتكريره، كما قلت :

أهدي إليك ســـــــلاما	يفـــــــــــــاوح الندّ نشره
يلقاك من كل فـــــــــخ	إذا تلقــــــــــــــاك بشره

أهديه إلى السيد الفقيه العالم العلم التريه ، التحرير المتقن الوجيه من لنا الى حبه ركــــــون ....الخ" .

يقول الفكون وعدد من الأوصاف الجميلة ما أنا خال منها ولو من بعضها ولا استحقها علما وعملا لكن أرجوا من المولى الكريم، أن يجعلني كما يضن الخلق ولا يفضحني بينهم في الدنيا

[1] الفكون : منشور الهداية ، ص 214.

ولا دار الآخرة ، إنه جواد بر رحيم ثم قال بعد الأوصاف المذكورة سيدي عبد الكـــــــريم الفكـــــــون كان الله له في الحركات والسكون [1].

ب – مراسلته لإبراهيم الغرياني:

ومن أعضاء الوفد المذكور سابقا والذي راسلوا الفكون العالم التونسي إبراهيم الغريـــــــاني حيث قال في رسالة له :

" الحمد لله وصلّى الله على أكرم الخلق وعلى آله وصحبه الكرام والأجلة يقول العبد الفقير إلى الله تعالى إبراهيم بن عبد اللطيف الغرياني ، لّما دعاني الحب والتودد إلى سيدي عبـــــــد الكريم الفكون وطلب الدعاء منه لي ولأولادي أردت أن أكتب له هذه العجالة واسأل المولى أن يجود علينا نواله ، وهي هذه كما ترى وذلك بعدما ألهمني إلى ذلك الحبيب الصديق سيدي أحمـــــــد بــــــن الحاجة جزاه الله عني خيرا دنيا وآخرة لأنه محب صديق ، وكان في غربتي رفيق وعلي شفيق.

الحمد الله الذي خلق الأرواح جنودا مجنّدة فما تعارف مدها ائتلف وما تناكر منها اختلف وجعل في الغالب أن الخلق تبعا للسلف وصلى الله على سيدنا ومولانا محمّد وعلى الـــــــــــه وصـــــــــــحبه أولي المختلف والمؤتلف ما ناظم واستنبط وألّف وبعد فيقول العبد الفقير إلى الله تعالى إبراهيم بن سيدي عبد الطيف الغرياني القيرواني، خديم الزاوية الشريفية ذات المعاني، المعمورة لبث العلوم والحديث وإقراء كتاب الله والسبع المثاني إن أحسن الاعتقاد وطلب الوداد أغراني أن أتطفـــــــل علـــــــى ســــــلة الشيخ الإمام الرباني، سيدي عبد الكريم الفكون الخطيب الحقاني، وأكتب له أبياتا تكون راسخة للوداد ، وتبلغني بدعائه غاية المراد بفضل الملك الجواد وأسأله أن ينظره بعين الرضى وأن يــــــسدل عليها ذيل الإغضا لأني كتبتها وأنا مشوش بالسفر وأنا عند نفسي أقصر وأصغر وقــــــد قدمتـــــــها مقدمة مهملة الحروف ، مصليا ومسلما على النّبي الرؤوف وعلى آله وأصحابه ذوي الخيرات والمعروف ، وكان فيها حال الإقامة بمكان يقال له قصر جابر ، حين قدومنا للصلح بين الـــــسادة الجيشين الأكابر ، محبة مولانا سيدنا أبي العز تاج العارفين ذي الإحسان والتمكين في غرّة قعدة الحرام ، من عام 1037 من هجرة خير الأنام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام." [2]

---

[1] الفكون : منشور الهداية ، ص .216

[2] نفسه ، ص ص 219/218.

ويضيف الغرياني قائلا :" وهذه المقدمة كما ترى الحمد لله وحده وصلى الله على مـــــولى اللواء والحلل دواء أهل الهموم والعلل، موصل أصول أحكام الهدى لأهل الدول والملل وعلى آله وأهل ودّه الكرام الكمّل، ما هل صادع وصدع وهلل حمد الله هو أولى ما سطر وصدع المهلـــــل وأوّل الحكم والمصارع وأحلى ما مّر وورد على المسامع واسعد ما وضع على أصول العلوم والمطالع وأورد ما حرر وأطرد على سمع السامع لكل والع صادع، ومهما هلل حلل الكلام على علا الدرر واللوامع وهو الموصلُ والموصِل إلى سمو أعلى المطالع.

أحمده حمد مَمْلوك مادح حامد طامع وأوحده وهو الواحد الملك المالك كل مصل واركع وأدعه ما سطر الأود الهوامع لا إله إلا هو وحده لا حاكم معه ولا وال ولا مطالع.[1]

مصل ومسلم على الرسول الطاهر والمراد حامل لواء الحمد والمحامد وأكرم كـــــل مكـــــرم واحد كل حمد، وعلى آله وأهل وده السعد الكرماء على المساعدة والمسادد أهل العطاء الإكرام الموارد ما كمل ورد وسعد الصاعد والوارد ، وما مهل وساح وروي كل طالع وصاعد. الإمام العالم العلم العدل الصالح المكرم الأمر الممدوح المسلم، مسبل أهل الحلل والحلى وكمـــــال أهـــــل الكمال والعلا ، مادحكم صار مسامرا للسهى، وعلى عهدكم ما كلّ ولا سها وحـــــرم الطعام والسهى، وما وصل إلى مراد وهام ووصل وعلى كل مدحكم ما حصل هل عسى ولعل هـــــاهو مساع للطرس والمداد مول على دوام مدحكم سائلكم الإمداد ، والله أسأل الصلاح والـــــسداد ، وصلى الله على أكرم مرسل ، ما هل هامع الدمع المرسل، وعلى آله أهل الموصول والمسلسل مـــــا صاح على الدوح حمام سلسل ، وحلا كأس عسله المسلسل".

ويقول الغرياني في المؤلف نظما:

هل من يبلغ ذات الحـــــلي والحلل	سلام صب بـــــلي بالهجر والخلـــل
بينة بنت عـــــشر عـــرف بنيتها	يحيى النفوس ويبري القـــلب من علل
ليلية الشّعر الهندي مـــــفرقها	مبيضة مثل ضـــــوء في السماء علل
وودية الخد قنو الأنـــف من مزجت	بـــــكأس مبسمها الرّاووق بالعسل
دريـــــة النسب الشهيدي قد منعت	شربي فصـــرت بها كالشارب الثمل

[1] الفكون : منشور الهداية ، ص 219.

وقد تلألأ مـــن ترتيب طرتـــها	صبح وليل تـــوالى البدر في أفل
تلثمت بلـــقاع من ظفائـــرها	تروم لـــدغ قليب بالـــغرام بلي
وقد رمـــت رمية رامت لها كبدي	فصادفت صـــدفا في نيله فللي[1]
بـــرنية الزّند شدت فوق معصمها	شباك تبر لصيد الصب كـالحـــبل
هيفـــاء مغنجة نجلاء مـــدعجة	حـــوراء مكحلة لكن بلا كـحل
عدت وعادت إلى العدوان مســرعة	و لم تعد معد ما قد حل في الوحـــل
رزينة الردف في تـــدوير سرتها	عبيق مسك وكـــافور بلا زلـــل
وقلبـــها مثل صخر في قـســاوته	يا لـــيتـــه لـــينا كالخـصر محتفـــل
وليت دهري إذا ما جئت آمـــله	يكـــون لي حكمـــا يقضي عليّ ولي
تفتلت أتلــفت لبي ومـــا انتقلت	يا ليتـــها التفتت عطفـــا على وهلي
فقلت هــــلا أقلت عثرتـــي قـــربا	قالت لقد قلت عنت وهي في شـــغل
تفندت خيل شوقي ربعي مهـــجتي	روّجـــت صـــون فؤاد بالغرام بلـــي
غارت جيوش النوى بـــالصد قائله	ترمي سهاما لعدمي من قسي المقـــل
وصادقت مهجتي وازداد بي ولـــهي	وصرت مضنى كئيبا ضربي وجـــلي
فقلت يا مـــعشر العشاق فانتصروا	إنـــي قتلت بـــلا ذنب ولا زلـــل
فقـــال قـــائلهم إن كنت تصدق في	مـــا قلت قتلك يحـــلوا عندنا فل
فقلت يـــا غادة الحسن التي فـــتنت	بحـــسها فـــقـــل صـــب
هل لي رجاء لـــوصل منك ينعشني	وإن نـــفرت فلي مولى غـــله أملي
شيـــخ فقيه ولـــي عـــالم علم	به افتخاري عهدي عنه لم يـــحل
سألته ينظرن دهـــرا فهولـــني	عـــسى بذا دائما أبدي له كســـلي
ربي ينيل مـــرادي إنـــني لهج	فـــي قربـــه ومرادي تلتقي أملي
لأنه فاضـــل فاق المنـــاظر في	كـــل المكارم من أجار ومـــرتحل
في دهـــرنا هو عز اللائـــذين به	ولـــم يعول بدنياه على رجـــل
فإن نحا ببنيـــان حل منطقه	وإن تكلم في التـــوحيد قـــل وسل[1]

[1] الفكون : منشور الهداية ، ص 220.

مؤرخ فاضل بالفـــــــــــقه متزر   محدث بحديث صح في الأصـــــل
وهو الذي تبري للأسقام دعـــــــوته   وينعش الروح بالآيات عن عجـــل
وفضله شـــاع بين الناس مشتهـــــرا   كالبدر يـــــعلوا لـــنا لكن بلا أفـــل
فمن يشابهه في حـــــــــسن سيرته   ومن يناظره في السير كـــالمثــــــل
وقد سمى بعــــلوم عز مـــــطلبها   قـــد نالها بالتقـــــى كالسادة لأوّل
وإن مشى خلفــــه الأضداد هرولة   لا يدركون ولو يمشي على مـــــهل
يا هل ترى التقـــى من عذب مورده   شربا يســـــوغ سريعا تشتفى عليــلي
وإن تباعدت الأجسام يجمــــــعها   وصـــل القلوب وهذا غـــاية الأمل
لقول خير الورى مهما تعـــــارفت   الأرواح اتـــصلت في ســـابق الأزل
بالله لا تنسني فوق المنابر مـــــــن   دعائكم إنني في غـــاية الوجـــــل
لأن فضلكـــــم قد شاع في زمـــن   أهـــواله كثرت والحـــال يشهـــد لي
ثم السلام عليكم كلما طلــــعت   غـــــزالة الصبح ترعى نرجـــس الأثل
ويعد أهدى صلاة والسلام مـــعـــا   لـــسيد الخلق والأمـــلاك والـــــرسل
والصحب والآل والأتباع ما قرأت   هل مـــن يبلغ ذات الحلي والحــــــلل[2]

المبحث الثاني : تأليفه

المطلب الأول : في النحو واللغة

برع الفكون في علوم النحو واللغة ويذكر سبب تعلقه بالنحو إذ يقول أنه رأى جدّه في المنام مرتين أو أكثر، وفي إحداها رأى أنه بالمدرسة التي دفن فيها ذاهبا إلى الصلاة فيها ، وكأن الجد يخاطبه من قبره قائلا اقرأ وناوله قرطاسا مكتوبا فيه بالأصفر قال فعل ماضي فاشتعل الفكون بعلم النحو وحصل له فيه ملكه.[3]

---

[1] الفكون : منشور الهداية، ص.221

[2] المصدر نفسه، ص.222

[3] نفسه ، ص52.

وقد تحدثنا في الفصل الثاني عن القصة التي حدثت بين الفكون ومحمد بن راشد الزواوي والشيخ التواتي والشيخ الفلاري التونسي وتحدّيه للفكون في اللغة وكان ذلك منطق نبوغ الفكون في اللغة والنحو[1].

وقد ترك لنا الفكون تآليف عديدة في هذا الفن منها:

أ – شرح على أرجوزة المكودي في التصريف:

وهو مجلد أجاد فيه غاية الإجادة وأحسن كل الإحسان وأعطى النقل والبحث فيه حقهما و لم يهمل شيئا مما يقتضيه لفض المشروح ومعناه إلا تكلم عليه وأجاد كما هو شأنه في تأليف، وأوله " الحمد لله الذي أجرى تصاريف المقادير بواسطة أمثلة الأفعال ، وأوضح بيان افتقارها إليه، بتغير حالاتها من حركة وصحة واعتلال ونزع إشكال عين وجودها إلى ضم الإنضمام إليه، وكسر الإنسكار لديه، وفتح الانفتاح في مشاهدة العظيمة والجلال.

يقول العياشي: ولا يخفى عليك ما اشتمل عليه هذا المطلع من براعة الافتتاح ولطيف الإشارة إلى أنواع الإعراب والتصريف وحد فرع من تأليفه أوائل صفر من عام ثمانية وأربعين وألف وشرحه هذا نقلا وأوسع بحثا وأتم تحريرا من شرح العلامة أبي عبد الله الدلائي ولا أدري أيهما سبق شرحه [2]

ب – فتح الهادي في شرح الجرادي: انتهى المؤلف من تأليف يوم السبت الثاني والعشرين من ذي القعدة عام 1038 هـ وقد ذكر الفكون في آخر المخطوط أنه يعد النظر في مسودها، وقد بدأ التأليف في شهر شوال من نفس السنة، وذكر أنه ربما ترك الاشتغال به أحيانا كل ساعات اليوم ربما لمرضه.وهذه هي فاتحة الكتاب، بعد الثناء على الله بما هو أهل والصلاة على النبي والأصحاب يقول :" أما بعد فقد طلب مني بعض الأحباء في الله المتنعمين إليه الراغبين في إبداء العلم نشره للمسلمين أن اضع له تقييدا على نظم ابن عبد الله الجرادي الذي وضعه في بيان الجمل وحكمها مجتنبا فيه التطويل وعويص البحث إلا مما لاح، مما ليس فيه جناح، يوضع عبارته ويبدي رمزه وإشارته مقتصرا فيه على الإيضاح والإفصاح تقريبا للمبتدي للمنتهي وتذكرة للمنتهي فلم أجد إلا

---

[1] انظر الفصل الثاني من هذه الرسالة.

[2] العياشي : الرحلة العياشية ، ج2 ، ص 391.

مساعفته[1]. وإن كنت في شغل بال وعدم ملائمة الحال للمقال وأخذي في أهبة السفر أشرف لمن تشد إليه الرجال، فاسعفه رجاء بركة نبته وإخلاص طويته واغتناما في الدعاء الصالح في خلوته وجلوته ورجاء من المولى الإجابة على إبداء العلم وتدوينه وأن ينفع به في القبر والمحشر وهوله وتنكيده وأن ينفعني به وأن يجعله شافعا نافعا، ولكل هم في الدارين دافعا وهو حسبي ونعم الوكيل وسميت هذه العجالة " فتح الهادي في شرح المجرادي" [2].

ج – تآليف أخرى: كما ألّف الفكون تآليف أخرى منها

1– شرح شواهد الشريف على الأجرومية: حيث التزم بذكر عقب كل شاهد حديث مناسب من أحاديث النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو " فتح المولى في شرح شواهد الشريف بن يعلى"، فرغ منه عام 1027 هـ

2– شرح مخارج الحروف من الشاطبية [3]

المطلب الثاني : في العلوم الدينية

أ – " منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية":

يعتبر هذا التأليف من أهم تآليف الشيخ عبد الكريم لأنه يعطينا جلية عن الحالة التي كانت تعيشها قسنطينة خلال فترة هامة من تاريخها وهي الفترة العثمانية من كل النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية.

ومن عدة دلائل نعرف أن الفكون قد ألف منشور الهداية على فترات في شكل مذكرات ومهما كان الأمر فإنه قد انتهى منه بعد سنة1045 هـ / 1635 م وهي السنة التي توفي فيها والده بالمويلح أثناء منصرفه من الحج، ثم أنه ألف كتابا في علم الصرف هو " فتح اللطيف" سنة 1048هـ وذكر فيه أنه ألف منشور الهداية ، وأن هذا الكتاب قد جلب غليه نقمة البعض ورمقته العيوم بالبغض من أجله ومن هذين التاريخين نعرف أن الفكون انتهى من هذا الكتاب بين 1045 – 1048 هـ[4]

---

[1] كذا في الأصل ولعلها كلمة دراجة تعني النزول عند رغبته.

[2] الفكون : فتح الهادي في شرح المجرادي ، مخطوط ، ورقة 01.

[3] العياشي : الرحلة العياشية ، ج2 ، ص 206 وسليمان الصيد : نفح الأخبار ، ص 23.

[4] عبد الكريم الفكون : منشور الهداية ، ص 14.

ويبدو أن الفكون أخذ في تسجيل مذكراته خلال العشرينات من القرن 11 والدليل على ذلك أنه أرّخ لمرض خطير حل به وألزمه الفراش سنة 1025 هـــ (1616م) وقد دام معه المرض 3 سنوات وبدأ يخف عنه خلال سنة 1029/1028هـــ أشار إلى زيارة المولى علي قسنطينة قادما من السلطة الأحمدية وقد تولى السلطان أحمد العثماني بين (1013 – 4027 هـــ) (1604 / 1617م) فتكون الزيارة المذكرة قد تمت خلال هذه الفترة، ثم إن الفكون استعار من مراسلته مع أحمد المقري أبياتا ضمنها منشور الهداية والمراسلة وقعت في عام 1038 هـــ والمعروف أن المقري توفي عام 1041هـــ[1]

والفكون يسمي تأليف أحيانا تأليف وأحيانا تقييدا ديوانا والنا الذين تعرض لهم يسمى حياهم تارة ترجمة وتارة فهرسة وتارة سيرة ثم إنه يلتزم طريقة معينة في تراجمه فبالإضافة إلى الاستطراد فإنه – كان يطيل ترجمة البعض حتى تتجاوز الترجمة الواحد عدة صفحات وأحيانا يكتفي ببضعة أسطر في الورقة الواحدة وقد يناقش قضية كلامية أو صوفية طارحا الأسئلة ومجيبا عندها دون أن يكون في ذلك علاقة بالترجمة التي يتناولها وكثيرا من التراجم التي تعرض لها تشمل جيلين أو ثلاثة ، فهو يذكر فلانا وبعد انقطاع بتراجم أخرى يذكر ابنه وبعد انقطاع أخر يذكر حفيده وهكذا الأمر بالنسبة لعائلات بأكملها منها عائلة الغربي ، ابن باديس ، ابن العطّار ، بن نعمون فيعطي صورة عن توارت العلم أو التصوف في الأسرة الواحدة وليس ذلك مقصورا على قسنطينة ولكن بالنسبة للأقاليم والأرياف الأخرى أيضا،[2] ولعل أبرز من ألّف على نسق الفكون ابن مريم التلمساني في كتابه " البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان" ومحمّد بن سليمان في كتابه " كعبة الطائفين " فالثلاثة ذكروا تراجم العلماء والفقهاء والأولياء. مع ملاحظة أن ابن مريم لم يترجم لمعاصريه، وأنه هو وبن سليمان راحا يغرقان في إثبات الكرامات إلى إن تصبح غير معقولة أحيانا عكس الفكون الذي ميزّ بين الأولياء بحق وأدعياء الولاية.

وعلى كل حال فقد بدأ المؤلف كتاب المنشور بذكر سبب التأليف، إذ يقول : " أما بعد فلما رأيت الزمان بأهله تعثر وسفائن النجاة من أمواج البدع تتكسر وسحائب الجهل قد أطلت وأسواق العلم قد كدت فصار الجاهل رئيسا والعالم في مترلة يدعى من أجلها خسيسا وصاحب

---

[1] الفكون : منشور الهداية، ص 15.

[2] نفسه ، ص 16.

أهل الطريقة قد أصبح وأعلام الزندقة على رأيه لائحة ، وروائح السلب والطرد من المولى عليه فاتحة، إلا أنهم أعني الطائفتين تمسكوا منت دنياهم بمناصب شرعية وحالات كانت قدما للسادة الصوفية فموهو على العامة بأسماء ذهبت مسمياتها وأوصاف تلاشت أهلها منذ زمان وأعصارها لّبسوا بانتحالهم لهما على أهل العصر أنهم من أهلها فما راقبوا المولى أن يعاجلهم ولا خافو فجأة الموت فيما بعدها أن تصادمهم فاغتروا وما نظروا، واستهونوا وما استبصروا"[1].

ويقول : وربما صارت الطائفة البدعية مقطعا للحقوق وقسما يقسم بهم في البر والعقوق والطائفة الأخرى سطرت أناملهم في قراطيس السجلات ما يوهم من لم يرهم ممن يأتي في غابر الزمن أنهم من حزب العلماء بل ومن مشايخهم الأعلين.

إذن هدف التأليف واضح وهو تبيان الحالة التي وصل إليها العلم الذي أصبح غاية في الكساد وتراجع مكانة العلماء في مقابل إرتفاع مكان أعلام الزندقة والطائفة البدعية فقلب الشيخ يتقطع ألما وحصرة على هذه الحالة ، غيرة على أولياء الصوفية فهو بذلك تحذير من الطائفتين البدعيتين في كل زمان ومكان ، وإظهار عوارهم وفضح أسرارهم ووسيلة للتقرب إلى الله في الدنيا والآخرة فالشيخ غار على دائرة الكمال من أهل حضرته وجهده باللسان والبنان على أهل صوته .....الخ[2]

"فهذا الجهد الذي هو أحد من السيف في نحور أعداء الله ناهيك بهم أعداء نسخوا شرخ سيدنا محمّد ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بآرائهم المسطرة بأقلامهم في سجلاتهم وأحلّوا الرّشا بأفعالهم و التمدح بها والعكوف على طلبها والإعتناء بأخذها في أنديتهم فهي عندهم من أرفع المكاسب سبب وأنسى المطالب ".[3]

و" الطائفة الأخرى أعلنوا بأن سابق الأقدار منوطة بإرادتهم وتأثيرات الأكوان صادرة عن اختياراتهم فزادت بهم العامة شغبا إلى شغبهم وتشويشا دخل القلوب فما أعظمه وأعصبه ، واتخذت أتباعهم ألقابا باسم الشيخوخة والتحذير من أن يغاضوا أو يغتاضوا فأصبحت العامة تجانبهم ولاتحط بساحتهم وأما النكير عليهم فأربابه في قعر حفير وربما زاد في إفصاح أواهم والحمل على

---

[1] الفكون : منشور الهداية، ص ص 32/31.

[2] المصدر نفسه، ص .32

[3] المصدر نفسه ، ص 33.

بثها وإبداعها ما أحدثوه من أن من مات منهم بنوا عليه ، أو شيّدوا بناءات وجعلوا عليهم قبابا من العود وألواحا منقوشة بأسمائهم وما اختاروا لهم من الألقاب التي لا تصلح لهم ، وهي من أوصاف سادتنا العاملين والصلحاء الفاضين الكاملين وصيّروا ذلك لغائر الدهر بحيث أنهم لبّسوا على العامة في الحياة وعلى من سيكون بعد الممات [1].

ومما سبق يتضح أن الشيخ يقسم أهل الإبداع على قسمين قسم نال النفوذ الدّيني الرّسمي كالمفتين والقضاة وغيرهم فلم يحسنوا لأنهم إنّما تقلدوا ذلك عن طريق الرشوة والمحاباة أمّا القسم الثاني فهم الذين نالوا خضوة دينية بسبب تزعمهم للطرق الصوفية و الزوايا ثم أصحاب الشعوذة والدجل اللذين أسماهم مدعوا العلم و الولاية [2] .

شرح المؤلف خطته في التأليف إذ يقول بأنه قسّمه إلى ثلاث فصول و خاتمة أما الفصل الأول فقد خصصه لمن لاقاه من العلمان و الصلحاء المقتدى بهم و من قبل زمنهم نقلت إليه أحوالهم و صفاتهم تواترا فنبه إليهم و ذكر ما كانوا عليه و زمانهم و تواريخهم وفاتهم [2] ،و الفصل الثاني فقد خصصه للحديث عن تعاطي المنصب الشرعي لادعائه العلم من قضاء وفتيا و تدريس، أما الفصل الثالث خصصه للكلام على المبتدعة الدجاجلة الكذابين على طريق الصوفية المرضية أما الخاتمة فقد خصصها لذكر إخوان العصر من الأصحاب و الأحباب [4].

بدأ الفكون تراجم الفصل الأول بالكلام عن الشيخ عمر الوزان الذي طلب منه العثمانيون تقلد منصب القضاء إلا أنه إستعفى من ذلك في رسالة حدد فيها أسباب استعفائه، و قد وصفه المؤلف بأنه العارف " بالله الرباني ياقوته العصر و الأوان " . و قد أشار أيضا إلى سبب تحول الوزان من العكوف على الطريقة الصوفية و كتب الوعظ إلى الاشتغال بالحديث ذلك أن الوزان رأى رجلا في المنام بالمسجد فقال له يا عمر عليك بالأحاديث النبوية تنورك ظاهرا و باطنا فلبى الوزان هذا النداء حتى أنه أصبح يحفظ صحيح البخاري [5]. كما ترجم الفكون في هذا الفصل العدد من أفراد

---

[1] الفكون : منشور الهداية ، ص 33 .

[2] أنظر الكلمة التي ألقاها المهدي البوعبدلي يوم الجمعة 1977/01/07 بقاعة كلية الشعب بقسنطينة ، بعنوان (عبد الكريم الفكون وكتابة منشور الهداية)

[3] عبد الكريم الفكون ، مصدر سابق ، ص ص 32 – 33.

[4] المصدر نفسه، ص 34.

[5] المصدر نفسه ، ص36.

عائلته كجد والده أبي زكريا يحي بن محمد الفكون ،كان رجلا فقيها يعتني بالمدونة تصدى للإفتاء في زمانه[1] ، كما ترجم لعمه قاسم الفكون الذي يتولّى خطة القضاء بعد استعفاء الوزان ،وذكر جده عبد الكريم ووالده محمّد .[2]

أما الفصل الثاني من الكتاب فقد عقده كما ذكرنا للحديث عن من تعاطي المنصب الشرعي لادعائه العلم فذكر منهم أبي زكريا بن محمّد بن محجوبة ، الذي تربطه بالفكون صلة مصاهرة بعد أن تزوج من عمة والده ، ورغم ذلك فلم تشفع هذه المصاهرة بأن جعله من الذين ادعوا ما ليس لهم بأن تقلد رئاسة الفتوى دون علم ، وهو ما يدل على جرأة المؤلف في الحق ، وقد قال فيه لا يخرج إلى الشاذ في فتواه إلا لغرض دنيوي فيما رآه أو سمعه ويطرز فتاواه بحكايات ونقول عمن كان عاصره ، وتوجيهات حتى يضنها الضان أنها صواب كما كان يأخذ الأجر على فتوه تارة بالاشتراط وتارة مكارمة.[3] وذكر عن هذا الأخير أنه كان مخلطا للولاة ولهم معه مشورة في أحوال الرعايا واستجلاب فوائدهم وهو الذي أفتى بعدم قتل اليهودي المختاري الذي نال من جناب النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعارضة الفكون الجد في فتواه حتى حقق النصر عليه وأعدم المختاري .[4]

و لم يسلم أبي عبد الله محمد بن قاسم الشريف من نقد الفكون فبعد أن بيّن حسناته ذكر أنه عاد آخر الأمر إلى تقليد بن محجوبة ففي كل ما يفتى به صحيحا أو خطأ وربما نسي ما كان عنده من المسائل فكان إذا ذكر في مسألة فكأنما رُفع من قعر بئر ، فيقول نعم كذلك هي.[5]

كما ذكر المؤلف أحد طلبة العلم الذي جاؤوا من المغرب الأقصى لطلب العلم في قسنطينة وهو محمّد السوسي الفاسي الذي تتلمذ على الفكون لكن بعد مدة انتهى إلى بعض المشتبهين بزي الفقهاء من أهل العصر فاجتمع عليه حاشيته وأصحابه للإقراء وانتصب للتدريس ، ونسي ما طلب من القراءة وطلب الإفادة وأبدى للناس أنه صاحب علوم ، ولو انقرضت كل العلوم لأحياها وفرح

---

[1] الفكون : منشور الهداية، ص 43.
[2] نفسه، ص ص 47 – 53.
[3] نفسه ، ص ص 63 – 64.
[4] نفسه، ص 66.
[5] نفسه ، ص 68.

بما لديه. [1] وقال الشيخ أنه حضر إحدى مجالسه بطلبه هو – السوسي – قال أعظم ما سمعت منه اختلف في نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – وموسى أيهما أفضل؟ والمختار أن نبينا أفضل! واشتهر عنه أنه لا يجوز وصف سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – بالسيادة في الصلاة وقد أودعنا بعضهما تأليفنا المسمى " نظم الدرر في شرح مختصر سيدي عبد الرحمن الأخضري " وقد هجره الشيخ حتى عاد إلى رشده ووضع نضما مادحا له، فأجابه الشيخ بمثل وزنا وحرفا وضمّنهما تأليفه المسمى " بمحدد السنام في نحو إخوان الدخان".

وفي ترجمة لحميدة بن حسن العربي ذكر محاسنه وقال نه يخدم الولاة ويعظمهم ويمتهن نفسه في موالاتهم ويعطيهم الرّشا وربما يقال فيما اشتهر عنه أنه يتوسط لهم في ذلك من أهل البلد والرعايا وينال هو من ذلك حظا بل قال عنه أنه لم يكن يحسن الكتابة يعرض كتاباته على أحبابه ليصلحوا له فساد الرسم ، رغم أنه تولى خطة الفتوى زمن أبي زكريا بن محجوبة.[2]

ولما ترجم لعبد الله بن نعمون قال بأنه كان من شهود دار القضاء في صغره وتولى خطة الفرائض ومفاصلات التركات والإشراف على صاحب المواريث بعد موت صهره أبي محمّد عبد اللطيف المسبح وترقى لمنصب الفتيا ، كان بليدا لا يحسن ما قرأ ولا يتقنه يوقع بين الناس في خصوماتهم لكليهما النصح إلى أن يقضي إرْبهُ منهما إمّا برشوة كاملة من أي أنواعها، عينا أو ملبسا أو رباعا أو غيره وإما بقضاء وطره من بلوغ أمينة وظفر بعدو وغيره ذلك مما يتفق له ويساعده الغدر حتى يكلّ الخصمان ويَعيَ الفريقان فيردهما بعد ذلك إلى شيء يصطلحان عليه[3]

هذه عينات من التراجم التي أوردها الفكون في الفصل الثاني من كتابه ، تبين أن الوظائف الرّسمية من إفتناء وقضاء وغيره قد تقلّدها في أحيان كثيرة أناس لا يستحقونها أهلا لها عن طريق التملّق وبذل الرشى والوقيعة بين الناس وهي إحدى المشاهد التي شكلت فساد المجتمع وذهاب أهل العلم والصلاح وهو ما تأسّف له الفكون وعبّر عنه في مناسبات كثيرة في كثير من مؤلفاته. ولعلّ المرء يتعجب من كلامه الذي يصل حد التجريح فيمن تكلم عنهم في هذا الفصل

---

[1] الفكون : منشور الهداية، ص ص،73 ، 74.

[2] نفسه، ص.75

[3] نفسه ، ص ص 80 – 58.

ويتساءل عن الهدف ؟ لكن الشيخ لا يترك القارئ حائرا إنما يعطيه الجواب من أن الهدف من هذا التأليف هو النصح العام وأنه كان يطّبق قوله – صلى الله عليه وسلم – " الدين النصيحة" [1]

أما الفصل الثالث فقد عقده للكلام عن من ادعى الولاية من الدجاجلة الكذّابين والمتشدقة والمبتدعة الضالين المضلين وأشار المؤلف أنه ربما ذكر من لم تكن هذه حاله، لقصد التعريف به فقط وقد إبتدأ هذا الفصل بذكر سيرة رجل يسمى قاسم بن أم هانيء إذ يقول " ولنرجع إلى التعريف بالرجل المذكور وبدأنا به لعظم مفسدته بين الخلق وشهرة بدعته وقوّتها ، فاعلم أن هذا الرجل كان في ابتداء أمره ذات سمت حسن بأن جانب جبايا زواياهم إذ لأسلافه رعايا يؤدون لهم الأعشار والزكاة ، فكان ذلك الرجل مباعدا لأمورهم مشغول عنهم بجعله لنفسه خلوة في أماكن يعدّها ويُواضب على الصلاة والصوم ويري تناول طعام الشعير ويتقَشّفُ في لِبْسِهِ الغرارة والمرقعة حتى أمال القلوب إليه وأصغى الآذان نحوه وأشارت بالألف إليه الأصابع وسبب ذلك أن رعاياهم امتدت إليها اللصوص فلم يبقى بينهم جرم وصاروا يأخذونهم حيث ما وجدوهم إلا أن يجعلوا غرامه عليهم للصوص وذلك بعد موت جده حسن المذكور وخصوصا لما لولده أبي عبد الله محمّد من القيام وشق العصا في جبال قرب نقاوس ما هو مشهور ، وخرجت إليه عساكر قواد قسنطينة وافتضح أمره وهرب إلى بعض نواحيها فسقطوا في أعين الخاص والعام وصارت الأعين ترقيهم بما فعل والديهم ، فعزم قاسم المذكور أن يحيى ما اندرس من طريق أسلافه بأن اتخذ ذلك الفعل المذكور شعارا وبقي عليه منه وكثرت مخالطته لبوادي الرعايا والرعايا المذكورون يشنعون أمره ويطهرون للصوص خبره ، ويذكرون لهم جملا من كرامات له ليأمنوا في أموالهم وأهليهم مع إعانة لهم بما أظهر من نفسه التنسك والمثابرة على الطريق الأعدل ولله در من قال :

صلّى وصام لأمر كان يطلبه لما قضى الأمر لا صلّى ولا صام

وقد عَظُم نفوذ قاسم هذا وجعل له تلامذة أسماهم الفقراء عل طريق أهل البدع واتّخذ الحضرة وهي لعبة يتخذونها يراؤون بها الناس ولا يستخفون من الله ، بها يأكلون ومنها يتمولون وعليها في قضاء أوطارهم يعوّلون ويجتمعون لذكر الله تعالى، فيغيرون اسمه، ويرقصون وربما يتضاربون فتراهم ككلاب نابحة ، ولعابهم كمياه طافحة وأنفاسهم كنيران نافحة لا يفرقون بين

---

[1] الفكون : منشور الهداية، ص ص 94 – 95.

واجب ولا محرم ومكروه ، ويعتقدون أن ما هم عليه هو الحق الواضح.[1] " استحوذ عليهم الشيطان فأساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون".[2] ومن قبائحه المأثورة وطريقته المشهورة أنه إذا سمع أن عند أحد رعاياه فرس تعجبه أو بغل أو نحو ذلك يترل عليه ويقول له ذلك الشيء هو لي ، فإيّاك وبيعه أو إخراجه لغيري ، فلا يقدر على بيعه ، أو هبنه ولو كان في غاية الضرورة حتى يأتيه فيأخذه مجانا وإما بثمن بحسن ، وإما يفرقون ثمنه عليهم وإذا شح ربّه ، إمّا أن يتوعده بنكبة تصيبه ، فإن وافق القدر تحدّى، وإن لم توافق أغرى عليه اللصوص بمعاقبته أو أخذ ماله ويجعل ذلك كرامة له.[3]

ثم يقول ولله در الشيخ عبد الرحمن الأخضري حيث قال:

وقال بـــــعض السادة الصوفية	مقـــــالة جليلة صـــــفية
إذا رأيت رجلا يطـــير أو فوق	مـــــــــــاء البحر قد يسير
ويقف عند حـــــدود الشّرع	فـــــــإنه مستدرج وبدعي

وقال رحمه الله

واعلم بأن الخارق الـــــربّاني	لتـــــابع الســـــنة والقرآن
والفـــرق بين الإفك والصواب	يعرف بالسُـــنة والـــــكتاب
والشرع ميزان الأمــــــور كلها	وشاهد هو لفرعها وأصـــلها
والشرع نور الحق منه قـــد بدا	وانفجرت منه ينابيع الهـــدى[4]

ويشير المؤلف إل أن الظلمةُ أو اللّصوص الذين يظهرون التنسك يتاجرون بتعليم المسلمين يجيئون بالعلماء إلى محالّهم ويجعلون لهم الأجور للإقراء عندهم ويراؤون بهم الناس " ويحسبون أنهم على شيء إلا أنهم هم الكاذبون"،[5] ثم ترى أولئك العلماء يذبّون عنهم ، بأفعالهم يأخذون منهم أكثر من أقوالهم ويقولون إنكم تخرجون ما تأخذون لأرباب الطلبة ، والعلماء أترى هؤلاء في حزب الله أو من دائرة معرفة الله ؟ كلا " أولئك الذين خسروا أنفسهم وظل عنهم ما كانوا

---

[1] الفكون : منشور الهداية، ص 119.
[2] المجادلة ، الآية 19.
[3] الفكون: مصدر السابق ، ص ص 120 – 121.
[4] نفسه ، ص ص 121 – .122
[5] المجادلة ، الآية 18.

يفترون"[1]، فلو نظروا بنور اليقين واستضاؤوا أبراج الإيمان وأن ما يأخذون هم على الإقراء طعم خبيث ، وكسب حرام [2].

وقد عمل المؤلف على تعرية بدع هؤلاء الأدعياء وتبيان كذبهم وزيف دعاويهم ليس بطريق التجريح فقط إنما بالمناقشة العلمية التي تعتمد على طرح الأدلّة ، فقد استشهد المؤلف بقصة لابن المبارك مع أمراء زمانه من العباسين ، وبمقالات محي الدين بن عربي المتصوف وأبيات لابن البنّا السر قسطي وعبد الرحمن الأخضري صاحب القدسية وغيرهم. هذا إضافة على استشهاده بآيات الكتاب العزيز وأحاديث النبي — صلى الله عليه وسلم – .

وفي التعريف بمحمّد الحاج الصحراوي يذكر أنه اتخذ الخلوة في ابتداء أمره واتخذوا زوايا ورعايا تزكي عليه ويأخذ منها الجبايا والأعشار ، واعتقد فيه أهل القطر الغربي وناحية بسكرة ونواحيها وأظهر ما أظهره غيره من الإعطاء والمنع والعزل والولاية ، واتّخذ الطّلبة في بلده للاصطياد بهم على عادة أمثاله شهرة وطلبا للجباية وإعانة لهم على الدّعوى التي هي عين البلوى ، إلى أن قام له ابن أم هانيء فكان الأتباع فريقين والدجاجلة قِسْمَين كل ينهج رئيسه ويفضل قدر شيخه وجليسه.[3]

وقد أورد المؤلف موقف بعض المشايخ منهم الشيخ ابو عبد الله محمّد بن مرزوق التلمساني من هؤلاء الدجاجلة فقال : نقل الزروق عن بعض الفضلاء الفاسيين أنه إذا بالغ في ذلك تُهْدم ديارهم وتُفرّق جموعهم ويُسامون سوء العذاب حتى يُقلعوا عن ذلك، ووافقه على ذلك جماعة من شيوخ وقته لبلاده حين جاؤوا مستفتين في أواخر سنة 873 هـــــ ، ورأوا أنهم لا يمكّنون من الكلام في مسائلهم ولا يفصل فيها ، لغلبة الجهل والفساد على الزمان، وإن كان الشيخ أبو مهدي عيسى بن أحمد الماوسي أفتى بأن أمورهم يُنظر فيها ، فيُصح ما كان صحيحا ويُبطل ما كان باطلا[4]

ويضيف المؤلف معلقا قائلا : وأما طائفة زمننا وجماعة بدع قُطرنا فيما أعلمه فقد تمخضت أمورهم في خالص البدع المحرمة وانقضوا على السنة بمعاول أهوائهم الفاسدة ، لا تراهم خائضين إلا في بحر المناهى والمنكرات والتكالب على الدنيا والتفاخر بالشّهوات ، والتسبب في كثرة أتباع

---

[1] هود الآية : 21.

[2] الفكون ، منشور الهداية ، ص 129.

[3] نفسه ، ص 142.

[4] نفسه ، ص 144.

السوء ، لإقتناص رتب الرئاسات ، فلا يختلف إثنان في طردهم وردعهم ويجلبون عليهم بخيلهم ورجلهم في الله والله حتى يعلنوا التوبة : إن ربك لذوا مغفرة للناس على ظلمهم" [1] " وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات"[2].

وفي التعريف بسليمان المجدوب، ومحمّد الزّعلاني يقول أنها يستعملان الحضرة مخالطة النسوان وتصديهما لإعطاء العهد وقبول ما يأتيهما من اللصوص ، وتناول مال الظلمة وغيرها.[3]

وأورد المؤلف فصل لابن الحاج صاحب المدخل يستنكر فيه التساهل في إعطاء الإجازات للفقراء ولو سألته عن فرائض الوضوء وسننه أو فضائله وكذلك في الغسل أو التيمم أو الصلاة جهل ذلك غالبا[4]

كما إنتقد الشيخ ظاهرة الاختلاط بين الرّجال والنساء إلى حد وقوع المحظور عندما عرّف بعبد الله بوكلب وذكر تعلُقه بإمرأة والخلوة بها ليل نهار وبعض العامة يقولون أن الأولياء أعطوها له فانظر إلى هذا الخطر العظيم.[5] كما ترجم الفكون للشيخ طراد، وطراد هذا من عنابة أصله من اللصوص زعم أنه تاب وعدّه الفكون من الدّجاجلة الذين استفاضت قبائحهم المذمومة وعمّت وفاضت ترّهاتهم ، وحكى عنه أنه يأخذ المحصنات ولا يبالي بعدة ذوات العدد[6].

ولقد إنتدب له أهل بلد العنّاب فصاروا كُلهم من تلامذته أوجُلّهم خصوصا رؤسائهم حتى كادوا أن يقطعوا بعصمته فادخل خطيب جامعها وفقيه بلدها في ضمرته عبد الكافي ومحمّد ساسي، وشاعت بدعته وظهرت في افقها وتوارثوها كابرا ولقنها ذكور الأكابر والنساء والأصاغر،[7] ومحمّد ساسي هو جد أحمد ساسي البوني صاحب منظومة " الدرّة المصونة في علماء وصلحاء بونة " الذي يبدوا أن كلام الفكون في جده لم يعجبه فعقّب عليه في قصيدة إبتدأها بالإعتراف بفضل الفكون :

---

[1] الرعد الآية : 6.

[2] الشورى الآية : 25.

[3] الفكون : منشور الهداية، ص 160.

[4] نفسه ، ص 171.

[5] نفسه ص ص 176 – 177.

[6] نفسه ، ص 161.

[7] نفسه، ص ص 162 – 163.

سيدي عبد الكريم العـــــالم الصالح الفـــــــكون ذي المكارم
مؤلف التـــــــآليف الكثيرة وكـــــان ذا مـــناقـب أثيرة
بنجلـــــه محمّد نور الظـــلام أبقى الإله مــــجدهم على الدوام
وبيننــــــا وبينــه قــــرابة أربي على الأقـــران في النجـــابة
وعنـــــده الكتب بــــالآلاف والمـــجد نـــالـه بـــلا خلاف[1]

ثم عرَّف أحمد ساسي بجده قائلا :

بجـــده محمد ســـاســــي جد الفقير العارف المـــواسي
وفضلـــه أشهر بين الـــــناس من نور نبراس لـــدى العسعاس
من جدّد العلم وكان أندرس وقـــام فيه مخلص بلا دنس [2]

وكان الفكون قد تكلم في تكلّم في محمد ساسي فذكر أنه خلف شيخة طراد وادعى مقام الأكابر وقال عنه أنه جاء شيئا إذاً فلم يستحي من المولى جلّ جلاله في دعواه (دعوى الولاية) الكاذبة وترهاته الباطلة التي لا دليل عليها ولا وازع ورّع ، يكف عن محارم الله يهدي إليها ، ولم يستحي من العباد في قصائده التي تمج سماعها الآذان ، ولا تصدر عن صغائر الولدان لكن إذا لم تستحي فأصنع ما شئت: [3]

ويواصل الفكون قائلا : ومن أشنع ماحُكي عنه أنه قال كنت صاحب الخضر واليوم أنا سيده، فأنظر هذه الكلمة الشنيعة التي توجب هدْر دمه. وحكي للفكون أنه زعم أنه عُرّج به إلى السماء وكُشف له عن أحوال الملكوت فهذا والعياذ بالله كفر صريح.

ويذكر أن أهل بلده جعلوا على أولادهم وضيقة من الجمعة إلى الجمعة الأخرى وأمّا جبايا البوادي له والوعدات من الصغيرة إلى الكبيرة وزكاة أهل وطنه وخصوصا الأندلس الساكنين ببلده فهي أعظم من أن تعد على ما ذكره غير واحد وهو في عدم مبالاة ما يدخل يده واكتنازه.[4]

وقد دافع أحمد ساسي عن جده فنظم أبياتا قال فيها :

طعن الفكـــــون فيه بـــــاطل إذ هو قطب عارف وكامل

---

[1] محاضرة المهدي بوعبدلي بقسنطينة ص .10

[2] نفسه ، ص .09

[3] الفكون : منشور الهداية، ص .165

[4] المصدر نفسه ، ص ص 165 – 166 .

فطعنه تحـــــامل وظلـــــم وعند ربنا تعـــــالى العلم

والقـــــدح في أمثاله حـــرام وذا لا تـــــرضى به الكرام

فالحكم العدل تعالى يحـــــكم بينهما سيجـــــازى الظالم[1]

وفي الصفحات الأخيرة من الفصل الثالث يورد المؤلف كلاما نفسيا نقلا عن علماء السلف ويُعلق عليه هو أيضا فقد نقلا كلاما عن بشر الحافي، وأحمد رزوق الذي تكلم عن مبتدعة زمانه في كتابه " تأسيس القواعد والأصول " . كما نقل كلاما عن الشاطبي عن مالك بن انس "حيث سُئل عن قوم يقال لهم الصوفية يأكلون كثيرا ثم يأخذون في القصائد ثم يقومون فيرقصون فقال بعد تفصيل ، ذلك من أعظم البدع المحرّمات الموقعة في الضلالة المؤدية إلى النّار".[2]

ثم ذكر مقالة للطرطوش الذي ذكر أن الكلام في المبتدعة ليس من الغيبة وقد إستدل بأحاديث في الباب منها قوله – صلى الله عليه وسلم – [لا غيبة في فاسق] وذكر كلاما لبعض العلماء الفاسيين لم يُسمهم [3]، كما نقل كلاما عن الإمام أبي حامد الغزالي في تبيان سوء متصوفة زمانه وأسقط كلامه على أهل زمانه.[4]

أمّا الفصل الثالث فقد أفرده للكلام عن عدد من الأصحاب والأحباب فبدأ بالتعريف بالشيخ بلغيث القشاش الذي أخذ عن علي الجديدي وذكر أنّه قد راسله كما ذكر من علماء زواوة محمّد بن علي وذكر أنه قد زاره كما ذكر أسماء عدد من الطلبة جاءوه من زواوة للتتلمذ على يديه قبل سنة 1031 هـــ[5] كما ذكر حال المرض المزمن الذي لازمه والذي بسببه أنشأ الأبيات التي توسّل بها بالنبي – صلى الله عليه وسلم – للشفاء [6] وقد ابتدأه المرض نحو سنة 1025 هـــ [7] وذكر الواقعة التي وقعت بين عسكر تونس وعسكر الجزائر ، والتي انتهت بالصلح عام 1037 هـــ ، وهو ما ذكره محمّد تاج العارفين العثماني في رسالة له إلى الشيخ الفكون ، كما اثبت

---

[1] محاضرة المهدي البوعبدلي ، ص .09

[2] نفسه ن ص .188

[3] الفكون : منشور الهداية، ص ص، 189 – .190

[4] المصدر نفسه ، ص ص 193 – 194.

[5] نفسه، ص 204.

[6] أنظر التعليق على مسألة التوسل آخر الرسالة.

[7] الفكون ، مصدر سابق ، ص 207.

قصيدة الغرياني يمدح فيها المؤلف وكان كل من الغرياني وتاج العارفين في الوفد الذي حضر من تونس لعقد الصلح المذكور.[1]

ولعل أشهر من ذكره المؤلف في هذا الفصل هو أحمد المقرّي فقد ذكر الفكون أن أحد طلبته وهو محمّد بن باديس سأله عن إعراب آية في القرآن وهي " لأتّم نعمتي" ثم أخذ صورة الجواب معه إلى الحج وعرضه على أبي العباس المقري فأجاب عنه تصحيحا لا توضيحا غير ما طرزه من أوصاف هي إلى التهكم أقرب منها إلى التحقيق وقد وقه خلاف بين المؤلف والمقري تكلمنا عنه حينما تحدثنا عن مراسلات الفكون[2].

ب – محدد السنان في نحو إخوان الدخان (مخطوط)

يعتبر محدد السنان في المرتبة الثانية من مؤلفات الفكون من حيث الأهمية وهو عبارة عن رسالة عالج فيها الشيخ مسألة التدخين التي يبدوا أنها كانت منتشرة في ذلك الزمان أو عمت بها البلوى وقد حكم الشيخ بتحريمها.

والنسخة المخطوطة التي عثرنا عليها كانت موجودة عند إحدى العائلات القسنطينية تنتمي إلى أسرة الشيخ الفكون العريقة والكبيرة وهي غير تلك الموجودة في الخزانة العامة بالرّباط لأن هذه النسخة نسخها حاج مغربي يسمى محمّد عبد الرحمن الحسني التادلي، أمّا النسخة التي بينت أيدينا فقد كنت في آخرها أنّ تم نسخها يوم الثلاثاء ربيع الثاني عام 1323 هـــ والذي نسخها هو الفكون الزواوي القسنطيني – أي أنها نسخة حديثة النسخ مقارنة بالنسخة الأصلية، والتي إنتهى الفكون من كتابتها يوم الجمعة أواسط رجب عام 1025 هـــ[3]

يتناول المؤلف في كتابه قضية التدخين التي عالجها كثير من الفقهاء، وإختلفوا في حكمها، فمن الذي أفتوا فيها أحمد المقري الذي توجد أجوبته في ذلك مجموعة مع أجوبة غيره وألّف فيها عبد القادر الراشدي[4] ، وقد سمى الراشدي رسالته " تحفة الإخوان في تحريم الدخان " ومعلوم أن الراشدي القسنطيني توفي عام 1194هـــ/ 1780 م، أي أنه متأخر عن الفترة التي عاش فيها الفكون،

---

[1] الفكون : منشور الهداية، ص 216 وما بعدها.

[2] نفسه ، ص .229

[3] أنظر محدد السنان ، مخطوط ورقتي 57/ .58

[4] سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج2، ص 82.

لكنها إستمرار لها ما يعني أن مشكل التدخين قد استمر إلى هذه الفترة وقد تعددت المصنفات في شأن الدخان نذكر منها :

1/ عبد القادر المحب الطبري المتوفي عام 1033هـــ له كتاب " رفع الاشتباك عن تناول التنباك".

2/ موسى ابن يوسف القدسي الحنبلي ت 1033 هـــ له " تحقيق البرهان في شأن الدخان".

3/ إبراهيم اللقاني المالكي ت 1041 هـــ له " نصيحة الإخوان في اجتناب الدخان ".

4/ أحمد الأنصاري الحنفي ت 1043 هـــ له " الرسالة الدخانية ".

5/ محمد بن علان المكي ت 1051 هـــ له "إعلام الإخوان بتحريم الدخان"، و" تحفة ذوي الإدراك في المنع من التنباك"

6/ الأجهوري المالكي ت 1066 هـــ له " غاية البيان لحل ما يغيب العقل من الدخان".

7/ حسني الاسكندري ت 1084 هـــ له " مفتاح الفلاح".

8/ علوي السقاف ت 1080 هـــ له " قمع الشهوة عن تناول التنباك".

9/ محمّد البرزنجي ت 1103 هـــ له " المنياك في دخان التنباك".

10/ أحمد الرومي الرمي الحنفي ت 1117 هـــ له " الرسالة الإنصافية في بحث الدخانية".

11/ محمّد الجمالي المغربي ت 1129 هـــ له " تنبيه العقلان في منع شرب الدخان".

12/ خليل حابي الحنفي ت 1134 هـــ له " رسالة في الدخان".

13/ عبد الغني النابلسي ت 1143 هـــ له " الصلح بين الإخوان في حكم إباحة الدخان ".

14/ عيسى الصفطي الحنفي ت 1143 هـــ له " جواهر الحسان في حل شرب الدخان"[1]

15/ محمّد الخادمي الحنفي ت 1176 هـــ له " رسالة الدخان".

16/ محمّد الأمير الصناعني توفي 1182 هـــ له " الإدراك لضعف أدلة التنباك"

17/ عثمان الرومي الحنفي ت 1190 هـــ " رسالة الدخان".

18/ عبد الباقي الزرقاني ت 1099 هـــ له " هدية الإخوان في حلية الدخان"[2]

---

[1] عبد القادر الراشدي القسنطيني : تحفة الإخوان في تحريم الدخان ن تحقيق عبد الله حمادي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1997 ، ص 51.

[2] نفسه ، ص 53.

يعطينا الفكون في محدد السنان وصف لجلسات التدخين حيث كان يجتمع جمع من الناس وفي وسطهم آلة التدخين يتداولون استنشاق دخانها، وربما هي المعروفة عند المشارقة بإسم الشيشة كما أورد الفكون اسم النبتة المستخدمة في عملية التدخين وهي جوزة الطيب. وقد يضاف إليها أيضا الدخان المعروف بالنفة أو الشمة وكذلك دخان الورق .

هذه الحشيشة قد يفهم من سلسلة التآليف التي سبق ذكرها والتي وُضعت لهذا الغرض أنّها تعود لأخريات القرن 10 هـ بداية 11 هـ ويحدد عبد القادر الراشدي وغيره من المؤلفين ظهورها في حدود السنة الخامسة بعد الألف الهجري وهي أوراق شجر في بلد تنبكت (مالي) حرسها الله ، يسمى طبقا ، ابتلى الله بها المسلمين.[1]

ويظهر من بعض النصوص إن أول من تطرق إلى تحليل تعاطيها هو الشيخ علي الأجهوري المالكي المتوفي عام 1066 هـ.[2] في رسالته التي وجّهها لطلاب السودان والتي عنوانها "غاية البيان كل ما يغيب العقل من الدخان".[3] وهي الرسالة التي كثر الجدل حولها وأثارت حفيضة الشيخ إبراهيم اللقاني المالكي المتوفي عام 1041 هـ فرد على الفور برسالته المسماة " نصيحة الإخوان في اجتناب الدخان " ، وذلك بعد سماعه بأن الأجهوري وضع طلبة السودان رسالة في حلّه، فساء بينهما وعمد يقرر أدلة تحريمه فضايقه الأجهوري و لم يمكِنَه فغضب اللقاني وقال ليس بيننا سوى المباهلة أي اللعن، فدعوا بالعمى على من يبتعد عن الحق ، فأصبح الأجهوري أعمى ، وقد ذكر الحفناوي أن الأجهوري قد رجع عن قوله بحلِّ الدخان.[4] ورسالة الأجهوري هذه هي التي أثارت حفيظة الشيخ الفكون لما رءاه من مباعدة الحق والشرع فألف كتابه " محدد السنان" لدحض أدلة الأجهوري. قد ذُكِر محدد السنان من قِبل أبي سالم العياشي في رحلته " ماء الموائد" حيث قال ومن تآليفه جزء في تحريم الدخان أسماه محدد السنان في نحو إخوان الدخان وهو في عدة كراريس مشتمل على أجوبة عدد من الأئمة وقد لخصنا بعضه حسب ضيق الوقت.[5]

---

[1] عبد القادر الراشدي القسنطيني : تحفة الإخوان في تحريم الدخان ، ص 58.

[2] أنظر ترجمته في خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمجي ، ج3، ص ص 158/157.

[3] الراشدي : مصدر سابق ، ص 59.

[4] الحفناوي : تعريف الخلق برجال السلف ، ص ص 167 / 168.

[5] العياشي : الرحلة ، ج 2 ، ص 396.

تقع النسخة المخطوطة في 58 صفحة بخط مغربي واضح ، يسوق لنا الفكون سبب التأليف فيقول " أما بعد فقد دهمت بلية وقعت في البلاد وسرى سمها في الخاص والباد وانتحلت مذهبا في الأقطار وتوارثتها عن سفلتها الأشرار وتدرّع لإرتكابها أكابر الأعمار لّما توهموا الإباحة إنما تعمى الأبصار ، ولم يزل في قلبي منها نكد ، وأشهرُ الإنكار على الأب والولد ، كأني أصبح في فيفاء: قد أسمعت لـــــــو ناديت حيا لكـــــــــــــن لا حياة لمن تنادي.

ويضيق افكون قائلا : "اتخذوا القولَ مني هزؤا ولعبا، ورميت عن قوس البعاد عن وَاصلٍ أو صَحبٍ فأمسكت عنان المقال وناديت في الضمير يا الله ، ولم أزل بين نَكد البَال وكف اللسان أروم إبداء ما في الجَنانِ، ببستان البنان ، ثم أقول لست من فرسان هذا الشأن حتى أن حرّك منـــــــه الباعث أجوبة لبعض أهل الزمان من لا يُراقب مولاه ، ولا يُبالي بما اكتسبت يداه بإباحة تناولـــــــــــه والتنكيت على مُنكره فلهج به من هو على شاكلته ، وأذاعه في ناحيته وغير ناحيته ، وما درى أنه ممن ضل وأضل وغش وأعل على أنه وأمثاله ممن أخبره الصادق المصدوق بوجوده آخر الزمان حين انقراض العلم وخراب الأوطان، فعندي منه ما أجد من أَلَمِ المُصاب وقلت إن لم أرمهم بشهاب المعروف لم آمن من المولى العتاب وما علي من بعده من جاهل غمر أو حاسد حبر فبينما أنـــــــــا في مجاري الأقدار نابذاً حلية الأحجار ، متعرضا لأوان الكلام، من فراغ البال ، واستواء الحال إطّلعت على جواب في القضية لبعض أهل مصر من العلماء والصلحاء والنجباء.[1] فأنست النفس بـــــعد استيحاشها وانبسطت بعد انكماشها واستعنت بالله على تبيين الحق في المسألة وتبيين الصواب في هذه المعضلة لمن عني نظما ونثرا وتتبع جواب الأول منها سطرا سطر وبعد الفـــــــراغ إن شاء الله أذيّله، لما عليه ابناء الزمان وأذكر مساوئهم ما هو غاية النصح للإخوان، ولذا سميته " محدد السنان في نحور إخوان الدخان" [2].

هذا هو سبب التأليف انتشار الدخان بشكل واسع حتى أصبح ظاهرة بها البلـــــوى وأصبح معروفا بين الناس بحكم الحلال وأصبح ينكت على مانعه بل وظهرت فتاوى خاصـــــــة في مصر تقول بإباحة التدخين ويحدد الفكون العالم والفتوى المقصودة فيقول : " سئل الأجهوري من علماء المالكية بالقاهرة المحمية، من علماء العصر عن حكم الدخان فأجاب الدخان المذكور ليس

[1] الفكون : محدد السنان ، ورقة 01.

[2] المصدر نفسه ،ورقة 02.

مُسكر قطعا، لأن المسكر ما غيّب العقل دون الحواس مع نشوة وطرب، وهذا إن سلّم أنه يغيب العقل فليس مع نشوة وطرب كما هو مشاهد وأخبرنا به جمع كثير ممن يفيـــد خـــبرهم العلـــم الضروري وإذ لم يكن مسكر ، وسلمنا أنه يغيب العقل فجيء على حكم المُفسد والمُرقد ، فيَحْـــرم على من يغيب عقله ، ولا يحرم على من لا يغيب عقله ، وهذا يختلف باختلاف الأمزجـــة وكثرة الإستعمال وقلته. والمُفسد هو ما غيّب العقل دون الحواس لا مع نشوة وطرب، والمُرقد هـــو مـــا غيّب العقل والحواس جميعا، صرّح أئمتنا بأنه يجوز استخدام القدر الذي لا يُغيّب العقل ولو لغير ضرورة ، وممن ذكر ذلك القرافي صاحب الذخيرة والشيخ خليل في توضيحه ، وابن غازي في تكميل التقييد وغيرهم انتهى.[1]

هذه هي فتوى الأجهوري في تحليل شرب الدخان والتي سوف يناقشها الفكون مناقشـــة علمية يرد من خلالها على الأجهوري ردا لغويا، منطقيا، أصوليا ويذكر المؤلف حال بعض المفتين المتزلفين للسلطان عندما يذكر مفتي القيروان الذي أفتى بجواز التدخين خدمة لحضرة أمير إقليمه ففشى الدخان في البلد ، وقد اطلّع الفكون على هذه الفتوى لكن لم يهتم لها لأنّه لم يكن يعتقد أن أمر الدخان سوف يصير إلى ما ءال إليه من كثرة متعاطيه وشاربيه. وما هم عليه من مباعدة الخير وأهله ولقلة الإكتراث بجواب المجيب ، وعدم وقوع جواب المجيب في نفه وقوعا معتبرا وقد إعتمد في فتواه بإباحة وأغرب في إنكار دعوى معارضها واستند إلى أنه من الجمادات وكلها طاهرة إلا ما استثني وليس هذا منها، وأن أصله ورق فهو من النباتات التي لا حرج في استعمالها ، ثم يعلق الفكون قائلا هذا اللب منها وما سواه فحشو أو بطلان.[2]

كما نقل الفكون عن مفتي مصر أنّه يَشربُ الدخان ويلهج به في مواطنه وجمع الناس عليه في مسكنه وإجماعه مع الناس على ذلك ، ولعمري أن تثبت عنه ذلك فلقد أضل بفعله أكثر مـــن قوله، والعوامل هوام لا تفقهُ حلال من حرام فه تابعة لمن يرجعون إليه في الأحكام ونوازلها.

وأشار الفكون الى أن مفتي مكة الشيخ خالد الزواوي ، وشيخ المالكية بمصر إبراهيم اللقاني ذهبا إلى تحريم الدخان كما أشار إلى أوراق الأستاذ المغربي أبي عبد الله محمّ{ السوسي الذي جاء إلى الجزائر عام 1023 هـــ وقد تكلّم عنه في مؤلفه " الدرر في شرح المختصر ".

---

[1] الفكون : محدد السنان ، ورقة .02

[2] الفكون : محدد السنان ، ورقة .06

أما السوسي فقد ذكر في أوراقه عن تحريم الدخان في رسالة أسماها " كشف الغسق عن قلب دفق في التنبيه على تحريم دخان الورق" ، كما استفتى أحمد سلطان مراكش الشيخ أحمد بنحسون فأجاب بالتحريم وهي نفس فتوى أبي الغيث القشاش وضمّنها ردود على فتوى الأجهوري السابقة على أن السوسي رغم ذهابه إلى التحريم إلا أنه أسلوبه ركيك ورغم ذلك فقد عذر الفكون ، السوسي ، لأنه جاء على فترة من العلم وكثرة الجاهلة وسوء الفهم ولا عجب في ذلك والزمن هو القرن الحادي عشر وفي الحقيقة وجود مثله في هذا الزمن ، وأحرى في هذه البلدة من البلدان حتى أن بعد موته رحمه الله حصل الأسف على فقده.[1]

وأثبت الفكون قصيدة السوسي التي انتقد فيها شرب الدخان منها قوله:

فاتقوا مولاكم ولتصلوا قرباكم ولا تميلوا للبغا ولا تمصو التبغا

من مصها فليرض حتى يكون حرضا وهو من الملاهي وأقبح الدواهي

ينسي عن الصلاة والذّكرِ والصّلاة لأنها كالخمر أخي لذكر

لأن ما يفتر كمثل ما يكسر كذلك في الآثار عن النبي المختار

ولا يمص التبغا إلاّ الجبان في الوغى نظمها محمّد أبي الفقير أحمد

نظمها للولد ابن شيخة المؤيد وصلي يا رب على محمد وتلي [2]

ويذكر المؤلف الرحلة التي قام بها جماعة من العلماء إلى القسطنطينية عاصمة العثمانيين وعلى رأس الجماعة مفتي الجزائر أبو الربيع سليمان الأوراري، حيث التقى بمفتي الديار العثمانية محمد ابن سعد الدين، وقد أرسل المفتي من قِبَل جيش الجزائر لقضاء مآربهم وقد سأل الجماعة مفتي الديار العثمانية عن حكم تناول الدخان وورد نص السؤال نضما:

رأيت الناس جنحوا البلوى وهي والله مفسدة الرجال

دخان يشربون لكل وقت وعم الخافقين على التوالي

أفي المكروه يدخل شاربوه جهارا أو حرام أو حلال

فقل بالحق إذ من شاء يومن بما أفتيت أو يكفر بحال

فإننا تقتفي في فتواك حقا ونترك ما عداه ولا نبالي[1]

---

[1] الفكون : محدد السنان ، ورقة 07.

[2] نفسه، ورقة 11.

وقد ورد جواب السؤال نضما أيضا :

أحمد ربنا مولى الموالي ... ومولينا بألطاف جزال
وأثني بصلاة على نبي ... كريم الخلق محمود الخصال
صلاة مع سلام لله شفعا ... تعم الأنبياء على التوالي
صلاة طيبها يسري للطف ... إلى صحب وأزواج وآل
وأما بعد يا أهل السؤال ... هداك الله في هذا المقال
سألت على الدخان بحسن نظم ... بديع في اللطافة كالآتي
حوى إشكال أشكل سطور ... محررة بأنملة الكمال
تيقن ليس فيه غير ضر ... وما فيه سوى إتلاف مال
وإن أمنعت تضييعا لنفس ... ومسخ للنساء وللرجال
فما في ضمنه هلاك مربي ... وبال في وبال في وبال
كراهة ريحه لاشك فيه ... شراب عافه طعم الأهال
وأما شربه في كل وقت ... من الأيام وآناء الليالي
خصوصا شرب إدمان وفسق ... وأعلاه على وجه الضلال
حرام ليس فيه شوب شك ... محال ذكره بين الحلال
وأما شربه للسكر ... ففي الإسلام عين الاعتلال
حرام مثل سائر مسكرات ... ولا يرضى بذلك ذو الجلال
إباحة نفسه أصل ولكن ... على وجه السلامة في المآل
وإن كان المراد به دواء ... فيمكن في محل وهو خال
خيال النفع في و رق دقيق ... قريب النفع من ورق الخيال
خيال باطل وفساد ذكر ... ليته لا محالة بالمحال
يغور شاربوه بعد نهي ... مطاع دام حتم الإمتثال
لسلطان الأنام أقام خلقا ... كثيرا في مهاد الإعتدال
أدم الله دولته بعمر ... طويل كامل وافي الظلال

[1] الفكون : محدد السنان ، ورقة 11.

محمّد بن سعد الدّين أفـــــــتى أعاهمـــــا الإلـــــــه كذا النوال
وحفظهمـــــا بلطـــف منــــــه واف مــــولى المــــــــــوالي[1]

ويرى الفكون أن تحريم الدخان من ثلاث أوجه أما الوجه الأول فهو تحريمه من حيث ذاته فالدخان خبيث الرائحة وكل ما كان خبيث الرائحة طلب اجتنابه وأن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يكره الرائحة الكريهة فعلينا إتباعه ثم أورد أثارا من السلف في إتباعهم النبي – صلى الله عليه وسلم – في كل كبيرة وصغيرة.

وذكر أن أصحاب الفطر السليمة تفر منه، بل حتى الحيوانات كالذباب . والنحل الذي يترك أعز ما يصنع وهو العسل فرارا من الدخان الذي يستعمل لجمع العسل وذكر لنا أيضا أنـــــه لمـــــا غزاهم الجراد عام 1023 – 1025 استخدموا الدخان لطرده. وقد ساق المؤلف مـــــضار التـــدخين الصحية ، فهو مشوه للخلقة مدمع للعين ومنقص للباه لا يمكن أن يكون دواءا.[2]

أما تحريمه من حيث صفته فمن حيث الإضرار وتغيب العقل والإسكار ثم ذكر حملة أضرار التدخين واستشهد بآراء الطبيب جالينوس فهو مسبب لانسداد مجاري النسيم وذهب إلى أبعد من ذلك حين قال أنه يثقل اللسان عن النطق بالشهادة،[3] ويورد المؤلف الأدلة الشرعية علـــــــى تحريم الدخان فيقول بأن الشريعة جاءت لحفظ النفس وقد قال الله عز وجلّ " ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما"[4] ولا فرق بين أن يقتل الإنسان نفسه بحديدة أو حجر أو يتحاشــــــى الطعام والشراب وبين دخان يورث أخطارا أدناها الألم مع سلامة النفس ، وأعلاها الموت.[5] وذكر الشـــــيخ أن الحشيشة المستخدمة في التدخين مُسْكِرة وأنها ذات شدة وطرب وذلك أنا رأينا أنهم يغــــــالون في أثمانها، حتى يبلغ المثقال منه ما لا يخطر بالبال ، ويبيع أحدهم في سبيل اجتلابه أعز ما لديه من أمتعة ، وذكر صور كَلف الناس بتعاطي الدخان وإدمانهم عليه.[6] أمـــــا اجتناب الدخان من حيث عوارضه فمن قسمين :

---

[1] محمد الفكون : كتاب النوازل ، مخطوط ، ورقتي 585/.586

[2] الفكون : محدد السنان ، ورقة 19.

[3] نفسه ، ورقة 21.

[4] النساء الآية .29

[5] الفكون ، مصدر سابق ، ورقة .23

[6] نفسه ، ورقة 28.

القسم الأول ما يصل إلى حد التحريم ومن ذلك أنه ذريعة إلى الغيبـــــــة والنميمـــــة عند الاجتماع لذا وجب تركه وقد قال تعالى :" والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد إحتملوا بهتانا وإثماً مبيناً"[1] وقال أيضا :" عن الدين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كـــــــانوا يعملــــــــون"[2]

كما أن التدخين وسيلة للمزاح والجدال وهما محرمتان لمــــا يـــؤدي إلى البغضاء والمـــشاجرة والمشاحنة.[3] وهو وسيلة لترك الصلاة إما جملة للإنشغال به للذة شـــربه مــــع الأقران ، فالليل لاستراحة الأجساد، والنهار لمشاكلهم ومشاربهم و لم يبقوا لعظيم واجبات الدين وقتـــــا ، أو تأخيرها عن وقتها كما أنه وسيلة للسخرية المحرمة شرعا ، إضافة إلى أنه موطن يجر إلى الكـــــذب بإختلاق الأقوال الباطلة إما لمصلحة تعود للقائل ليدخل قلوب رؤساء المحل، ويُكثرُ وُدَّهم وحبهم فيقول على نفسه مقالات شنيعة أنها صدرت منه ، وجعلها كذلك الغرض الفاسد وإما أن يتقول على غيره ممن في مقاطعته ومدارعته غرض ، كما أنه وسيلة لكثرة المزاح المذموم كالاستهزاء بالمتدين والشريف.[4]

كما يعتبر التدخين ذريعة إلى المنادمة التي يستعملونها في شربهم بـــأنواع مــــن المنـــاولات فيحاكون بها تنادمهم على الكؤوس التي تدار على الرؤوس وقد حرّم الرسول – صلى الله عليه وسلم – تشبيه الماء عند الشرب بالمسكر ، كما أنه ذريعة إلى الأموال ببذلها في غير حق شرعي وقد نهى النبي – صلى الله عليه وسلم – عن إضاعة المال وقيل وقال حتى أن من عُرف بجمع أهله يتداين لأجل تحضير ما يتناول الجمع عنده، وربما يحصل له بِتركه الغنى.[5]

أمّا القسم الثاني فهو ما لا يصل طلب الإجتناب له حد التحريم من حيث ذاتــــــــه ، وذلـــــك أنواع منها :

أنه شعار السفهاء فيُطلب اجتنابه ، فقد بنى لها السفهاء البناءات، ضاهوا بها حانات الخمور وأعطو لها ما استطاعوا من آلات اللهو والطرب والمزامير التي قامت الأدلة بتحريم سماعها، فضلا

---

[1] الأحزاب الآية .58

[2] النور الآيتان 23، .24

[3] الفكون: محدد السنان ، ورقتي 33 – .34

[4] المصدر نفسه ، ورقتي 35 – 36.

[5] الفكون: محدد السنان ، ورقتي 37 – 38.

عن حضور مواطنها مع ما ينضاف إلى ذلك من مردة الشباب، والغناء المتلف للألباب وربما صار لأصحابها حضوة على أهل خانات الخمور ، بكثرة ما يدفعون لهم من الدراهم فترى تلك الأماكن مزخرفة مشيدة بالجيار، مملوءة بأنواع الفسقة الفجّار، وقد زّينوها بأنواع الزّينة، وفرشوها بأنواع من الفرش الثمينة ، وربّما عُطّلت المساجد بسببها وخرجت بفتنة عامريها.[1]

وقد حث الشيخ من له طرف في فقه تعتقد فيه العامة إلى ترك الشبهات كي لا تغتر بـــه وقال بانه سمع عوام البلدة الاستناد في تناولهم على من يشاركهم ممن ينسبون للإفتاء وهـــم من المتفقهة الذين ضلّوا وأضلوا ثم ذكر أبيات لأبي منصور بن علي الدمياطي جاء فيها.

أيـــها الـــعالم إيـــاك والزلل   احذر الهفــــوة والخطب جلل
فهفـــوة الـــعالم مستعظمة   إن هفـــى أصبح للعالم مثـــل
وعلـــى زلتـــه عمدتـــهم   بهـــا يحتج من أخطـــأ وزلّ
إن تـــكن عندك مستحقرة   فهـــي عند الله والناس أجل
ليس من شبه الـــعالم في   كـــل ما دق من الأمر وجل
مثل مـــن يدفع عن جـــهله   إن أتـــى فاحشة قيل جهل
أنظر الأنجم مهما سقطـــت   من رآها وهي تهوي لـــم يبل
فإذا الشمـــس بدت كاسفـــة   وجـــل لهـــا كل الوجـــل
وسرى العالم فـــي زلـــته   فـــغدت مظلمة منـــها السبل

أنها ذريعة إلى الاستقذار وذلك من خلال مصهم تلك الأنبوبة التي هي بمثابة الثدي لرضاع ما في بطنها من الأجرام الدخاني لذا سمينهاهم إخوان الدخان إشارة إلى تراضعهم تـــلك الآلة المعدّة لتناوله، وما هو مستقذر كالبصاق واللعاب ويتخذون إناءا فيما بينهم لرمي ما بالحلق من الأخلاط البلغمية وغيرها . كما أن تناولها يعتبر من صفات الأعاجـــم الـــذين مـــأمورون بمخالفتهم.[2]

---

[1] الفكون: محدد السنان ، ورقة 38.

[2] نفسه ، ورقتي 41 – 43.

أما خاتمة الكتاب خصصها المؤلف رحمه الله، للكلام عن أحوال خاصة بلدة قسنطينة وما هم عليه من الصفات التي يأباها الشرع منها منابذة العلم وأهله ومعاداهم ، واستهـــزائهم بهـــم واتكالهم على شرف آبائهم وما هم عليه من الرّياسة ، ورمقتهم أعين العامة بها وخدمتهم لأجلها، وهم الذين يسمون الحضر ، وقد وصل الحد بمعادات العلماء إلى الوشي بهم إلى الأمراء والوعد بالأذى في النفس والمال ، وهو ما كان سببا في هجرة هؤلاء العلماء [1] ومن أوصاف الحضر أيضا ما هم عليه من الحسد والبغضاء وهتك أعراض المسلمين، وعدم الوفاء بالعهد، وبيع الصدقة وتعوُّد الأيمان الفاجرة وقد وصل الفكون أذاهم إذ يقول : ولا أبرئ نفسي أن أكون ممن لا يجري عليـــه ظلمهم وغصبهم.[2] كما تعرض الفكون لأشباه العلماء إذ قال : تخيل الناس أن من تشبه بالعلماء وبالفقهاء فقيه، هيهات، هيهات، هذه تُرّهات يقول أحدهم مسألتين أو إلى باب الـــمسح علـــى الخفين ثم يلبس عمامة ثمينة ويضم على عصاه يمينه ويقبل على هذه الدنيا المهينة، ويفتي بالجهالـــة ويحكم بالرذالة ، وقد ذكر المؤلف مساوئ خاصة بلده قسنطينة (الحضر) في قصيدة جاء فيها:

ألا فاحـــذر أناســـا قد تبرأ ... الله العرش منهم والمـــــلائك
وأبعدهم من الخـــيرات كلا ... وأصلاهم جحيما ذات حـــالك
هم القوم الأراذل قد تسمـــوا ... بجـــنس فـــي الخليفة لا يشارك
قالوا نحـــن أحضـــار بدار ... نعم صدقوا لكن في المهـــالك
وجـــوههم إذا ما قد تـــبدت ... فمـــا منها إليك تراه ضاحك
وقلبا منهم لا ترضى مـــنه ... بما يعطى اللسان من المنـــاسك
لقد جبلوا على غـــش البرايا ... كما جبلت يهود على الأفائـــك
وسيماهم فجور ليس يبـــدو ... مدى الأزمـــان إلا من أولئك
فإن لم تأل جهـــدك في وداد ... فـــلا يألوا بجهد في عتـــابك
وإن راعـــيت حـــالهم بخير ... فـــشرّ الشرّ قد راعـــوه لحالك
فـــعهدهم الخـــؤون لذلك ينمي ... وأيـــــديهم تردد في خوانك
طريق الشرع قد نبذوه ورامـــوه ... أمـــورا قد تبدّت من هنالك

[1] الفكون: محدد السنان ، 49.
[2] نفسه ، ورقة 51.

كما لا تسمع الأذنان عـــــنهم سـوى فحشا فتبا للفواتك

لقد فتكوا بدينهم ومـــدوا ألحـــلف النوال رضى بذلك

لـــــعمري فالوبال لهم تصدى وبـــال الله لا ترضى بهالك

لنفسك صاحبا منهم وجـــانب شرارا وأصر منهم من قبالك

وعاشر ما بقيت بحسن صنع ومـــا شنؤوك لا تلقي ببالك

وأخسر في فراقهم نـــــفيسا واشكــــوا الله غوثا من مرابك

وكّل كل الأمـــــور إليه منهم وعنــــد الله تبقى في ثوابك

وقل ربي عليك بـــــهم وخذهم ومثواهم يكون بـــدار مالك

ودارهم إلا هي فأَزْو عنــــها صلاحا وأغمسنهنم في بلائك

وخذ ممن أذى وتعدى حقـــا وأحلل فيه بلوى مـــن سمائك

ومن كل المكـــــاره لا تصنه وفي العقبى أذقـــه من وبالك

ويا قهـــــار فأقهر منه كيدا أفنتــــه الضـــلوع و لا تبارك

له عمرا وســـــؤلي لا تخيب .بمـــــالك من نبي أو ملائك

وكـــــل الأنبياء بما تلـــــقي سفير الرسل طرا من كلامك [1]

ثم ذكر المؤلف قصة لقائه مع أبي عبد الله محمّد السوسي الذي وجد الفكون يصلح بيتا له بالجيار فأعجب السوسي لونها الأبيض فقال فيها أبيات في مدحه أسماها " بهجة التكحل في العين ورونق الشيب في مصوغ التبر واللجين" واقترح الفكون تسميتها " بأم الزر كون في مدح ربـــــوع أولاد الفكون" حيث يقول :

ألا عج إلى البطحاء ترى البرق يومض على دار علم بـــــالعلوم تنظنض

وتُذْهب جـــلباب الدجــــى بيهـــائها كـــان كـــــأنها قلوع تريض

أعارت بياضا للحمــــام وجــــردت كساء الطوسي في نفوس تعرض

كأن سليما مـــن أعــــاليه أشرفت تمــــد لــــنا كفا خضيبا وتقبض

إذا ما توالى وميضه نقص الدجــــا لـــــه صيغة المسود وكان ينفض

قماط العقود في الربيع تــــلألأت تحــــــــاريها كل العيون وتمرض

[1] الفكون: محدد السنان ، ورقة 53.

كـــــأن الثـــــريا والغروب يحثها　　　على عاتق الجوزاء رقط مفضض

فدار علت قدرا ومجـــدا وغـــــيرها　　　إلـــــــى قدرها علوا عيونا تغمض

فمــــــالك امـــــرئ ســـوي مفصل　　　زكــــــي تـــقي بالعلوم مقيض

حـــــــتى فتح الله المـــعارف باسمه　　　غني بأمــــــــره عن القيل معرض

تأخر في لــــــــــفظ الــــزمان وأنه　　　بمعناه فـــــي أهلــــــه متقبض

وخص باشتات للعـــــلوم جـــــــلاله　　　وجــــــاء بهـــــــا من ألّفها متقبض

وهبت لـــــــه ذا القول مــــــني تحية　　　بمســــــــك عبيق للذيول يخضخض

كتبت وما وفيت مـــــــبرك حـــــقه　　　لمـــا قصرت كفي برقم يقضض

وناب القـــــــريض في الهناء نـــــــيابة　　　والقاصر المـــــوسوم بالذنب يمخض

ومن رام نقد الشـــــعر مني جـــــــهالة　　　فذلك خديم الزور للحق يدحض

سل الشعر عني من أبـــوه ومــــــن أنا　　　إليــــــه ومن القريض يــــــقوض

ولكني أبغي من ألحـــــــق شطريه　　　ونصف الجميع بالدعاء يـــــمضمض

واعــــــذر إمــــــرءا رام طعنا تملقا　　　بضغن كـــــــبير في الصدور يمرض

لأن جميع الناس قســــــــمان طبعهم　　　فــــــــذا منصف منهم وذا مــتعرض

فــــــــــلست ترى سوى وجوها ذميمة　　　تخــــــوض بأعراض الأنام وتعرض

وقد كنت أشكوك من الدهر دائمــــــــا　　　فقد كنت أشكو من أناس تـــرضرض

ويصعب حمل الوزر والوزر حمله　　　فأنت تـــــــرى في حمله كيف يشضض

واستنجد الدمع الأبي عــــــلى الأذى　　　فينجـــــــــدني مـــــــنه جداول فيض

ومـــــــــا يصنع الإنسان وهو بفهمه　　　يــــــحس بــــــأنواع البلايا ويعرض

وختمي مقالتي بالصلاة على الرضا　　　محمّد الداعي هـــــــداه يحـــرض

واله والأصحـــــــاب ما لاح فـــــــرقد　　　تبالى نبـــات للغروب يـــــــركض[1]

وقد ردّ عليه الشيخ الفكون بقصيدة أسماها " الدر المكنون لجواب أم الزر كون في مدح ربوع الفكون" حيث قال :

لك الحمد تعطي من تشاء وتــــــقبض　　　فضل من كـــــــان للدين يعـــرض

---

[1] الفكون: محدد السنان ، ورقة 55.

وجازي إله نخبة جـــــاء عصـــــره — بـــــه وبمثل فـــاضل متقبـــض

تـــــردى بنيل واكستى فخـــــــره — له من قريض الشعر درع مفضفض

تطاوعه لما استـــــدل صـــــحاب — كريم على فعــل الكـــرام يخضض

مـــــــن تلقه نبيها ممــــلكان — صفوحـــا على من كـــادمه ومعرض

أديب أريب حـــــــافظ الذي روى — وأستاذ قرن عنـــدما قـــد يقبض

فحرّك مني ســاكينا نظمه الــــذي — تخـــاله درا بل جمـــانا مفضض

رمـــــــاه بني لّمـــــا صبــابتي — ولم لا وأنا الــــــدهر أقلى وأبغض

فلا ترى إلا شائنا عـــــن تحــسد — و كأتروجة في الجنان ممـــــــرض

تعرضي الأنذال إذا صـــرت بينهم — كــذي طيران بذي جناح تقرض

فلله مـــا لاقاه قلبي مـــن الأســـا — ومن ربعـــهم تالله أنفك أغرض

فياليت شعري هــــل أبيتن لـــيلة — بعدوة واديها وللـــدار أرفض

وحولي أهلي والــــركاب مـــــناخة — بمــــا حملت من ثقل زاد تـــنهض

إلى خير خلق الله تنحوا مـــــــطيتي — ودار بهـــــا القربان تجلى وتنبض

ثوابي بها أرجوه حـــــيا ومـــــيتا — بغـــرقد الأنوار تبدوا وتومض

فأنشد فيها مــــــا حييت نفائسا — تحل عويصا أو مـــــقفلا يـــــغمض

وأطهر من عوراء أهــلي جيرتي — دفاتر طول الــدهر فيهم تبغض

وأشكـــوهـــم لله ثم لمـــن يحق — عظيـــما على المولى يسن ويفرض

وإنّـــــي وإن طالت بي المنية التي — أرجــــــى فــــفيها لم أزل أتعرض

وردّ جموع النفس بـــعمل شدد — لمأوى أخ بالخيــــــــــر باد ومعرض

فلي في مجال الشعر أعلى منصة — بهــــا قضى أمل وطبـــــــع مريّض

فيعرفه أهل ويـــــأباه جـــــاهل — غبي ومن بالضغن للــقدر يـــــخفض

وأهدي سلامـــا طيب النشر الذي — بـــــذكراه مني العرق قد صار ينبض

فأحــــــيا مواتا واستـــغفر قر نباته — وأطفأ في الأحشاء مــا كان يــرمض

له الفضل من بــــدءا والإثابة بيننا — لألئ عقـــــــود في الفؤاد تأرض

تنباته مـــــن سوقه لـــــقصيدة — بقافية بالــعجز عــها يعرض

فما أقبح التقصير والجهل بالـــــفتى إذا عاصف التثريب في الوجه يـــــنفض
وثل إلهي كل وقـــــــت وســـــاعة على من لرجس الشرك ينفي ويدحض
وآله والأصحاب مــــــا هبت الصبا ومــــــا دام داع الله للكفر يقرض
وأنصاره والتابعين لهـــــــم من لــــكل أمور الله تجري مـــــــــفوض[1]

ج/ديوان الفكون :

ارتبط ديوان الفكون بالحالة التي كان عليها الشيخ حيث يقول عن مرضه :" أعيى الأطباء دواؤه وتمكن من قلبي وأزمن وانهكني وكل يوم يردُ علي نوع منه تظهر منه حالة الموت فلا ترى الأهل والأصاغر إلا في بكاء ونحيب، وآيس من القريب والبعيد و لم يبقى لهم حديث إلا في تجهيزي لدار الآخرة وما ينالهم بعدي وتأسفُ كلُ محب لله وبقي في عفوانه وابتدائه سنة كاملة لا أكتحل بنوم ولو سِنَةُ، حتى ساعة سهو ، والعرق يتفصد مني من الجبهة كمثل الديمة الهطلاء في اليوم الشديد البرد الكثير الثلج نازلاً ومستقراً ومهما تحرّكتُ أو إلتفتُ يرتعد طرفي الأيسر ويغشى علي في اليوم مرارا، وتلوّنهٍ وعدم ثبات مجيئه على صفة واحدة هو الذي أوجب تقييده في غير هذا.

وبقيت به تلك السنة على ذلك الحال والسنة الثانية كلّها كانت السنةُ هي نومي فلا أراه لا ليلا ولا نهارا إلا ما ذَكرناهُ من السِنةِ هنيهة وأقوم فرعا من إحساسي بنفسي فاضت فكأنها بين عيني وأوهواله أعظم من أن يصفها اللسان ، ولا أقدر على ذكر نزر من صفته إلى الــــــسنة الثالثة أُلهمْتُ مدح سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تسليما فاتخذته قصائد في مدحــــــــه عـــــــــلى حروف الهجاء متضمنا كل حرف من الحروف حروفا تقرأ من أوّل كل بيت في الحرف وتجمع فيخرج منها : اللهم أشفني بجاه محمّد آمين فربما وجدت الراحة في بعضه بجاه سيدنا رسول الله – ص –[2]

[1] الفكون: محدد السنان ، ورقتي 57 – 58.
[2] الفكون: منشور الهداية ، ص 206.

ونلاحظ أن العبارة الناتجة عن جمع حروف أول كل بيت غير صحيحة والصحيح ما أورده العياشي من أنه التزم بفعل مبدأ كل سطر حرفا من حروف العبارة التالية " إلهي بحق الممدوح أشفني آمين " وجملة ذلك خمسة وعشرون حرفا ، ففي كل قصيدة مثلها أبيات.[1]

فرغ الفكون من تأليف ديوانه في الثالث والعشرين من جمادى الآخرة من 1031 هـ ، وقد بدأ المؤلف ديوانه بعد البسملة والصلاة على الرّسول – صلى الله عليه وسلم – بقوله : يقول كاتبه العبد الفقير إلى الله تعالى الراجي عفوه وغفرانه قال الله تعالى :" يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وترى الناس سكارى وما هم سكارى ولكن عذاب الله شديد" ، المتمسك بحبل من مولاه سبحانه عبد الكريم بن محمد الفكون أصلح الله حاله ووفقه لإتّباع سنة المصطفى أقواله وأفعاله الحمد لله مفرّج الكرب ومولى من فضله أعلى المراتب ، والصلاة والسلام على أفصح العرب أما بعد فقد صادفتني يد الأكدار في هذه الدار ، ورمتني بإسقام وأوصاب ....[2] ثم راح المؤلف يذكر أمر مرضه ومعاناته معه كما نقلناه عنه من كتابه منشور الهداية.

وقد أورد العياشي في رحلته أبياتا من هذا الديوان على قافية الهمزة إذ يقول :

أبدرا بدت في الخافقين سعوده ونورا بـه الأكران اضحت تلألؤا

لـه في العلى أعـلى العلى رتبة وفي مـرافي ذوي العرفان قدما مبوء

أضـاء وجود الكـائنات ببـعثه وطلعـته الغرا من الشمس أضواء

---

[1] العياشي : الرحلة العياشية ، ح2، ص391 كان ابتداء المرض بالفكون بداية من سنة 1616/1025 كما عبر هو عن ذلك

ذكر الشيخ الإسلام بن تيمية في كتابه قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة : إذ قال القائل : اسأل الله بحق فلان أو بجاهه أي أسألك بإيماني ومحبتي له فهذا من أعزم الوسائل. فمن قصد هذا المعنى فهو معنى صحيح فمن قال أسألك بإيماني بك وبرسولك ونحو ذلك أو بإيماني برسولك ومحبتي له ونحو ذلك فقد أحسن في ذلك كما قال تعالى في دعاء المؤمنين : " ربنا إننا سمعنا مناديا للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنّا ربّنا فإغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفّنا مع الأبرار " آل عمران 193 وقوله تعالى :" الذين يقولون ربّنا إنّنا آمنا فإغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار " آل عمران 16 وقوله تعالى :" إنّه كان فريق من عبادي يقولون ربّنا آمنّا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين" المؤمنين 109. أما التوسّل بذات النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ، أو غيره من الأنبياء فليس هذا مشهور بين الصحابة والتابعين، بل إن عمر وغيرهُ من الصّحابة لما أجدبوا توسّلوا بالعباس عم النبي – ص – وليس به ، أما ما يرويه البعض عن الرسول – ص – أنه قال :" إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم " فهو موضوع ص 197، 198.

[2] سليمان الصيد : نفخ الأخبار ، مؤلف نفخ الأخبار أن نسخة من الديوان موجودة في المكتبة الأحمدية التي صمت إلى المكتبة الوطنية تونس ص 24.

قافية اللام

أعـــــــــيني جودا بالدموع تأسفـــــــا   لصب نحيل الجـــسم زايله عقـــــله
لــــــذا غصني نفح من الحـــــب فأنتجت   محاسن وجه ذاب إذ يبقى الشكـــــل
أذاعـــــــــت شهود الوجد كامن دفقـــه   فأضحى المحـــــيا كاسفا ضاء من قبل
حـــــــــللت لنيرَان النوائس أضلــــع   فيا ليت كان الوصـــل وانتظم الشمل
يبيت من الأشـــــــواق قلبي معذبـــــا   كـــــملدغ رقط أو تنالـــه النبــــل
بناظـــــــــــر عيني لاح ساطع نـــــوره   على روضة الخضراء حيت بدا الوصل
حـــــــــوت غبة لم يخلق الله مثلهـــــا   ولا شـــــــابهه الأنبياء ولا الـــــرّسل
نـــــــــداه بها مسك يفوح لـــــــنا شذا   وغرّ بـــــه الأنوار كلا بها تجـــــــلو
أتت به أخبـــــــار مضت كتب بهـــــا   هواتف صدق بان من وصفها الفضـــل
لمـــــــــــولده الأسنى تدلت كـــواكب   وحفت به الأفلاك وازدحم الحفـــــل
مــــــزاياه عند الوضع جاءت شهيـــــرة   فقد حضرته العين لمـــــا انقضى الجهل
مكــــــــارمه إذ ذاك أبـــدت فضائـــــلا   لذا جاء مســـرورا بكحل الهدى كحل
دنـــــت شـــــــــرفا للهاشـــمي محمّد   ملائكة تسعى بـــــخدمته تـــــعلو
وقد صانه الرحمن من كشف ســـــوءه   تـــــوالد مختـــونا فليس له مثـــــــل
حوى الطست والإبـــــريق أيدي ملائك   كما حوت المنديل من سندس تـــــحلو
أزالوا من المنديل خـــــاتم صــــــــدقه   به ختموا ظهرا فقد كـــــمبل الـــــنيل
شـــــــــريف المحيا غسلة قـــــد بدا إذ   بما مــــــــــن الإبريق نائلة جــــــزل
فألقوا عليه جفنة خــــــوف أن يــــرى   يسبق لجــــــد إذ تَلاحَظهُ الأهـــــــل
تــــــزيد بأملاك له الطـــــرف نزهت   لدى ملكوت الله والســــــرّ لم يخـــل
يجولـــــون أقطارا وكتبوا إسمــــــــــه   على ورق الأشجــــــار والشيم القفل
أيا نخبة لم يخلق الله مـــــــــثلها جنيت   و بالأوزار ينهـــــــــــكني الثِّقـــــل
أتيت ذلـــيلا خـــائفا بابــــــك الذي   بـــــه أمن من المذعور وانقشع المحـــل!
محلك غوث والعليل بـــــه التجـــــــأ   تريح من الآلام كي يذهب الشكـــــــــل!
يحن طبيب للمـــــصاب وأنت لـــــــي   طبيب ومنك الطب إذ ما بدى الســــؤل!

نسألك التخليــص مـــــن كــــل عاهة وفوز الرضى والسؤال من مبدأ يحلو[1]!

قافية اليــــــــــــــــــاء

أيا باهر الإشراق يا غاية المـــــــــنى ومن جاز في تشريفه الـــــــــرتبة العليا
لوجهك يا بدر الكمـــال تلألــــؤ وغيث به الأكــــــوان إذا ما بدا تــــعيا
أزحـــت ظلام الشرك بالطلعة التــــي أضاءت كما أولــيت من نـــورها هديا
هــــداك صراط مستقيم مــــن اقتفى مراشــده استهجى وقد جانب الغيـــــا
ينجي مـــــن العاهات معتصما بـــه وقد جاء بالبشرى كما يدفع الخزيــــــا
بــــه فاز من قد فاز يا خير مرشــد لذا ورث الفردوس إذ ورث الوحيـــــا
حوى كل علم ســابق مؤخـــــرا وأهدى إلى من قــــد ينـــاله العيـــا
قـــــــوارعه من نظمه قدت الحشا فما وجــدوا طعنا ولا أظـــــهروا أليا
أيا من سما فوق السمــــاوات والعــــلا وجاوز العجب لا يرقى إلــى البغـيـــا
وقد جئت يا ذخري وكتري وعــــدتي ليوم تعاد الخلق فيـــــه كـــــما هيا
حصينــــا من الزّلات ضـــــارع غلــة توالــت على من نابذ الكفر والخزيـــــا
مدحتك ومني التقصير شأني وشيمــــتي وقـــــد خفت مــــن ربي إذ جئته حيا
دعـــــاني الصبا للهو حتى أقـــامني مقامـــــــا تراني قد خبئت به السعيـــا
ولـــعت بــــها مــن زمــان شبيبتي وحملتها الأهواء مــا خَسِئت أيــــــــا
وحللت محل الجود ذو الفـــضل أبتغي نــوا لاً يريح الذنب كي يكسب المهيـــا
أغثني إذا ما المـــوت أحكم سكــــرتي فحـــضرتك الحسناء تصلح لي الوصيا!
شفـــــاعتك العليـــا أراعي بمحشري لتستــــر زلاتي وتــسقط لــــي البغيا
فظني جميل فـــيك يا أكــرم الـــورى عــطاء أبت جزلا كما تحسن الرعيـــا
نـــريد جوار الخـــلد معك وفي الدنــــا فلا تحرمني مـــا به مصلحتي تحيــــا
يــــحقق آمـــالي ويــدفع كــربتي مـــديحك يـــا مختار أكرم به ريّــا
أمــــا والــذي أحيــا بك الكــون إنني ببابك راج مـــــا تلبث فــي الدنيــا!
ألــم يك للمــــهدي جزاء يســــرّه عــلى من له اهدي بشرعــك ذي الفتيا

---

[1] العياشي : الرحلة العياشية ، ج2، ص51.

مواهبك الفضلى طلبت لمنــــيتي	جزاء على مـــــدح وأنعم بـــــه البغيا
يا من عظيم الجود من سبح بحـــره	تحـــقيق أمـــالي كمـــــا يكـــرم اللقيـــا
لنساب بنظم رؤية الله في غـــــد	وســــــــؤلي وما بالبدء من ذي وذي ثنيا[1]

وأخيرا علينا أن لنسجل بع الملاحظات على كتابه في مدح النبي – صلى الله عليه وسلم – فقد تكلمنا في تعليق في موضع آخر على مسألة التوسل وقلنا بأنه يكون بالنبي – صلى الله عليه وسلم – في حياته أو بالأعمال الصالحة، كحب النبي مثلا ولا شك أن المؤلف رحمه الله له نية صادقة في حب النبي – صلى الله عليه وسلم - ولكن يبدو أنه أخطأ في مسائل في هذا الديوان.

لاشك أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قد مات، وقد وردت أدلة على أن الله عزّ وجلّ يرد للنبي – صلى الله عليه وسلم – روحه ففي سن أبي داود عن أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال :" ما من رجل يسلم علي إلا رد علي روحي حتى أرد عليه السلام" ، وفي سنن أبي داود وغيره عنه أنه قال :" أكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة وليلة الجمعة فإن صلاتكم معروضة علي فقالوا يا رسول الله ، كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أَرِمْتَ فقال إن الله حرّم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء".

و لم ترِّد أدلة تثبت أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أرشدنا إلى دعائه أو طلب قضاء الحاجات منه بعد مماته فالله هو الذي يسأل وحده ، ويقسم عليه بأسمائه وصفاته ، ولا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلاّ به[2] ، وكمثال على مخالفات الشيخ في هذه المسألة قول المؤلف في قافية اللام في البيت الأخير نسألك التخليص من كل عاهة ، وفي قافية الياء أورد البيت التالي:

نريد جوار الخلد معك وفي الدنا	فلا تحرمني ما به مصلحتي تحتا

كما قال في قافية الهمزة : هو الغيث أحي الأرض ! والمقصود هو النبي صلى الله عليه وسلم ، في حين أننا نعلم أن الله هر المحيي والمميت ، أمّا مسألة الشفاعة فالمقصود بها شفاعته – صلى الله عليه وسلم – يوم القيامة بعد إذن الله عز وجل له وليس حال مماته. أما حديث " فإن جاهي عند الله عظيم " فلا أصل له كما ذكرنا في موضع آخر. كما أكثر المؤلف من الإستغاثة بالنبي – صلى الله عليه وسلم – فقال في آخر قافية الباء.

---

[1] العياشي : الرحلة العياشية ، ح2، ص 52.

[2] ابن تيمية : إقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، دار الحديث بالأزهر ، دون تاريخ ، ص 30.

ينادي عليل الجسم غـــــوثا بباكم فيشــفي بها الأسقام عن ذلك تسلب!

نهضت بمدحي مستغيثا وطــــالبـــــا فلاحا ومــــــا في أول السطر يجلب!

وفي آخر قافية اللام : محلك غوث والعليل به التجأ! وفي قافية الياء : أغثني إذا الموت أحكم سكرتي !

ولنوضح المسألة نعرض رأي بن تيمية حيث يقول : والنبي – صلى الله عليه وسلم – في حياته يجوز أن يستغاث به فيطلب منه أن ينصر المظلوم ويطعم ويسقي الظمآن، ويخلص الأسرى ويقضي الدين عن المدين، ويبين الدين ويزيح شبهات المعارضين ويجيب السائلين ونحو ذلك.

ومعلوم أن نبينا – صلى الله عليه وسلم – أفضل الناس عملا وأعظمهم على البر والتقوى بل كل خير في الوجود فهو معين، بل له مثل أجر كل عامل خير من أمته ، فإنه هو الذي دعى لذلك فمن دعى إلى الهدى كان له مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئا. وإستغاثة الصحابة به في القحط إنّما إستغاثوا ليدعوا لهم ، كما يستغيث الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ليشفع لهم.

و الإستغاثة بالمخلوق ليدعوا للعبد أو ليعينه بما يقدر عليه ليس بممنوع ، وإنما الممنوع أن يستغاث فيما لا يقدر عليه ، وأن يقسم على الله به ، ولا سيما إذا كان المخلوق ميتا أو غائبا فلا يجوز أن يستغاث به فيما يقدرُ عليه حيا ولا فيما لا يقدر عليه وأمّا من يقول أن الإستغاثة به بعد موته ثابتة ثبوتها في حياته فهو كلام باطل قطعا لأنه يلزم من ذلك أن يطلب منه أن يَخرجَ إلى الغزوات ويقيم الحدود ويعود المريض فاعلا ببدنه كما كان ذلك في حياته فهل يقول بهذا إنسان؟ فليس عليه بعد الموت فعل من الأفعال لا واجب ولا مستحب كما ليس ذلك على غيره من الناس بل الموت ينتهي به التكليف الثابت في الحياة بإجماع الخلق فليس علي نبي ولا على غيره وبعد موته أن يفعل ما كان يؤمر به حال يؤمر به حال الحياة من واجب ومستحب ولا يستطيع أحد أن نتقل عن أحد من الصحابة ولا السلف أنهم بعد موته طلبوا منه إغاثة ولا نصرا ولا إعانة ، ولا استسقوا بقبره ولا استنصروا به كما كانوا يطلبون منه ذلك في حياته[1].

[1] محمّد خليفة التميمي ، حقوق النبي على أمته ، دار الفتح الطباعة والنشر الشارقة ، الإمارات ، ط1، 1997، ص 710 – 711.

زيادة على " منشور الهداية " و " محدد السنان " ترك لنا الفكون كتابات كثيرة ومؤلفات متنوعة في الشريعة وقد ذكرنا هو قسم من هذه المؤلفات وقسم آخر ذكرها لنا غيره ولعل من أبرز مؤلفاته الدينية التي وصلتنا هي" منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية"، و"محدد السنان في نحور إخوان الدخان" ، و" ديوان في مدح النبي – صلى الله عليه وسلم – " وهي المؤلفات التي سوف نعرض لهال بالدراسة لكن قبل ذلك المؤلفات الأخرى للفكون والتي منها:

1/ نظم الدرر في شرح المختصر (لعبد الرحمن الأخضري) ضمنه بعض الآراء التي لا أصل لها في الإسلام والتي جاء بها محمّد السوسي، وقد ذكر هذا المؤلف في منشور الهداية .[1]

2/ " سربال الردة فيمن جعل السبعين لرواة الإقراء عدة " ألّفها في واقعة لم يذكرها حدثت لأبي العباس حميدة بن حسين الغربي .[2]

3/ " سلاح الذليل في دفع الباغي المستطيل " افتتحها المؤلف بقوله :

بأسمائك اللهم ابدي توسلا فحقق رجائي يا إلهي تفضلا

وقد استنسخها المغاربة وصارت مشهورة بينهم .[3]

4/ " شافية الأمراض فيمن التجأ إلى الله بلا اعتراض أو سمّاه العدة في عقب الفرج بعد الشدة"

وبدأها بقوله : بك الله مبدي الخلق طرا توسلي وفي كل أزماتي عليك معولي

توسل فيه بالنبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه والتابعين والفقهاء والأولياء .[4]

5/ " شرح على إضاءة الدجنة " لأحمد المقري وعد الفكون بتأليفه لكن لا نعلم إن كان أنجزه أم لا.

---

[1] الفكون: منشور الهداية ، ص 72.

[2] نفسه ، ص 78.

[3] نفسه ، ص 205.

[4] الفكون : منشور الهداية ، ص 206. يقول بن تيمية التوسل يراد به ثلاث معاني : أحدها التوسل بطاعته فهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به والثاني التوسل بدعائه وشفاعته وهذا كان في حياته ويكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته. والثالث التوسل به، بمعنى الإقسام على الله بذاته والسؤال بذاته فهو الذي لم تكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه لا في حياته ولا بعد مماته

أنظر ابن تيمية : قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، طبع إدارة البحوث العلمية ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط2 ، 2002.

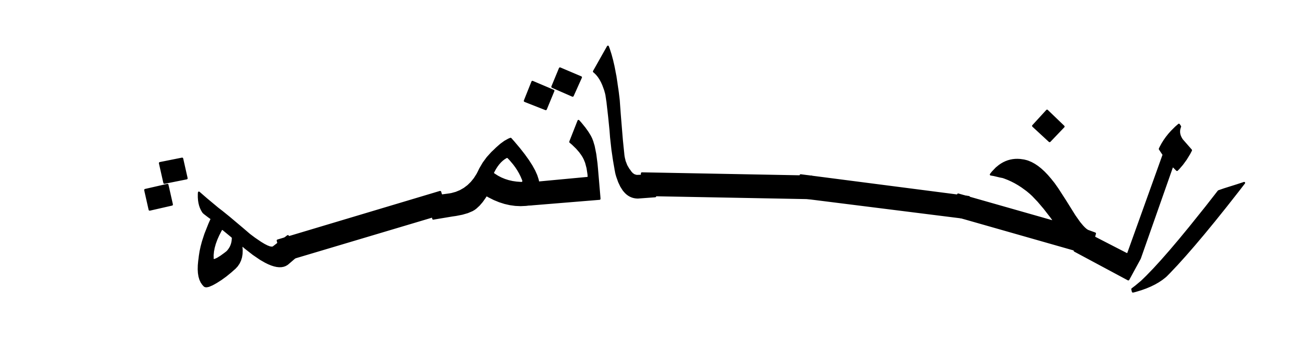
6/ تقييد على كرامات الوزان وعد الفكون بتأليفه .1

7/ تقييد في مسألة حبس 2.

وبذلك يتبين أن الفكون أثرى المكتبة الجزائرية بعده مؤلفات خاصة كتابية منشور الهداية ومحدد السنان اللذان يعدان مصدرا هاما للحياة السياسية والإجتماعية والثقافية خلال القرنيين السادس عشر والسابع عشر.

[1] الفكون: منشور الهداية ، 37.

[2] نفسه ، ص 67.


الخاتمة

الخاتمة :

تعتبر الفترة التي عاش فيها الفكون من أهم الفترات في تاريخ الجزائر فقد تمكن الأتراك من بسط سيطرتهم على البلد، ويبدوا أن الجزائريين لم يستقبلوهم بالورود في مناسبات كثيرة مما ينبهنا على أن الجزائريين عبروا عن وجودهم وذاتيتهم ولو في نطاق قبلي وكمثال على ذلـــك رفــض القسنطينيين إستقرار القوات العثمانية في مدينتهم ورفضهم تأسيس سلطة عثمانية رسمية (بايلـك) عام 1567 ومن ذلك أيضا الثورة الخطيرة التي قام بها احمد بن الصخري بو عكاز والتي كادت أن تعصف ببايـلك الشرق خاصة وأنها تزامنت مع ثورات أخرى، وثورة أولاد عبــد المومن بقسنطينة، وقد لعبت عائلة الفكون دور بارز في إنهاء هذه الثورات وحقن الدماء ، مما فتح المجـال للتقارب بين هذه العائلة وبين العثمانيين.

ومما لا حظناه أيضا تخوف العثمانيين من إستقلال الجزائر، مما جعل نظـــام الحكـم يتغير باستمرار والصراع الحاد حول السلطة، خاصة من قبل الإنكشارية الذين ساهموا في الإضطرابات السياسية وتمكنوا من الإستيلاء على الحكم، أما على المستوى الدولي فقد إستمرت الأطمـــاع والإعتداءات الأجنبية خاصة الفرنسية ضد الجزائر، مستغلين علاقاتهم المتميزة مع إستانبول حتى تمكنوا من إعدام خضر باشا عام 1603، ورغم الحملات الفرنسية المتكررة إلا أنها باءت بالفشل كالحملة الفرنسية على جيجل عام 1664، ولعل سبب تلك الإنكسارات رفض الجزائـريين للإحتلال الأجنبي ، وقوة البحرية الجزائرية التي أصبحت ترهب القوى الأوربية.

ورغم هذه الأحداث والتحولات ، إلا ان الفكون لم يتحدث عنها ونحن نتساءل عن السبب وربما نجيب بأن الفكون كان منشغلا بالتدريس والتأليف، وكان يرى أن الجهــاد ضــد النصارى من عمل الجند ، أما دور العلماء فهو مكمل لهم، وربما يكون السبب هو أن الفكون كان معتزلا السياسة وهذا ما يميز الطريقة الشاذلية التي إنضوى تحت لوائها، وربما يمكننا أن نضيف الخوف من بطش السلطات العثمانية.

إن من أهم النتائج التي توصلنا إليها، تلك التحولات التي شهدها المجتمع الجزائري، لعل من أبرزها الشعور بالوحدة و هو ما أعطى ملامح بداية الدولة الجزائرية الحديثة عكس الإدعـــاءات التي تقول أن هذه المبادئ بدأت في فترة الإحتلال الفرنسي، ويمكننا أن نتساءل عن العلاقة بــين السلطـــة العثمانية والمجتمع الجزائري ، ويمكننا أن نجيب بأن هذه السلطة ضـلت متحفضة مـــن

الجزائريين بل حتى من الكراغلة أنفسهم خوفا من الثورات و التمردات، وهو ما يفسر القسوة التي كان يستخدمها الترك ضد الجزائريين في أحيان كثيرة، رغم هذه العلاقة المضطربة فإن الأتراك لم يمارسوا سياسة الإقصاء– خارج الحياة السياسية – فلم يعملوا على إفناء العنصر الجزائري مثل ما فعل المحتل الفرنسي، بل قربوا بعض العوائل والشخصيات ومنحوا لها إمتيازات مثل ما ذكرناه سابقا حول عائلة الفكون التي أشرفت على المساجد وأوقافها، والأسواق ورسومها وأصبحت ملاذا للباحثين عن الأمان، كما تولت كثير من المناصب كالقضاء والإمامة ومشيخة الإسلام والقضاء وقيادة ركب الحج.

لقد اعطتنا مؤلفات الفكون ومؤلفات إبنه كثير من المعلومات حول الحياة الإجتماعية خاصة في قسنطينة، فلم يكن المجتمع القسنطيني يختلف عن باقي المجتمعات في المدن الكبرى حيث كان ينقسم على فئات أما خارج المدينة فكان يتميز بالتركيبة القبلية وقد صنفت هذه القبائل حسب ولائها للسلطة العثمانية.

وقد وردت معلومات عن الأزمات الإقتصادية التي عانت منها المدينة وبعض العادات الإجتماعية والعلاقات الأسرية وما ينجر عليها من مشاكل، ولم تكن مصطلحات الرشوة والمحسوبية والظلم والفساد الغائبة عن يوميات الجزائري خلال هذه الفترة فقد أعطانا المؤلف صورة واضحة عن إنتشار هذه المظاهر بشكل واسع، سواء من أجل نيل حضوة عند الترك أو للضفر بالمناصب العليا من قضاء وغيرها.

ولعل أبرز ما توصلنا إليه من خلال البحث ، وجود حركة علمية نشيطة فبالرغم من أن العثمانيين لم تكن لهم سياسة واضحة في مجال التعليم إلا أنهم لم يقفوا في وجه تعلم الجزائريين، بل تركوا لهم الحرية في بناء المدارس والتنقل داخل البلد وخارجه لطلب العلم ولقاء العلماء فكبرى المدن الجزائرية كالعاصمة كانت تعج بالمدارس والمساجد والتي بلغت أكثر من مائة مسجد حسب هايدوا ولم تكن تلمسان أقل حظا من ذلك حيث إنتشرت المدارس والمساجد ، تحدث عنها محمد بن سليمان في كتابه كعبة الطائفين، كما أعطانا أسماء أماكن أخرى في التدريس وأسماء كثير من المشايخ في تلمسان ومستغانم وتنس وغيرها ، وهي نفس الحالة التي كانت عليها قسنطينة التي إنتشرت بها المساجد والزوايا، كالمسجد الأعظم وزوايا العائلات والمكتبات الملحقة بها منها زاوية بن نعمون وزاوية بن باديس وزاوية بن أفوناس وزاوية الفكون، وقد أعطانا الفكون وغيره أسماء

كثير من العلماء وطلبة العلم منهم احمد المقري، وسعيد قدورة، وعيسى الثعالبي ، ويحي الـشاوي وعمر الوزان والفكون الجد وغيرهم، ومما يجدر الإشارة إليه أن العلماء كانوا متحفظين من السلطة العثمانية، فهو الفكون يصف الأتراك بالظلمة والعجم ويثني على بعض الثوار(يحي الأوراسي) كما أن العدواني المعاصر الفكون يتحفظ من الأتراك وبقول عنهم أنهم يقربون الأعلاج، أما عمر الوزان فيقول :" إن العالم إذا قام بحق الله، تثور به العامة والخاصة ويسعون به لدى الأمير ويوغرون عليه قلبه حتى ينحرف ، فيتوصلون إلى مقصودهم".

ومما سجلناه تذمر الفكون من زمانه ونحن نتسال عن السبب؟ وقد تكون اجابـة بـأن المجتمع الجزائري لم يعد يهتم بالعلماء وبدأت الأحوال تسوء يوما بعد يوم ، وقد جسد الفكـون حالة التذمر هذه في عدة مواضع من مؤلفاته، حتى أنه وضع قصيدة كاملـة في هجـاء سـكان قسنطينة لما كانوا عليه من منابذة العلم وأهله والوشي بهم لدى الأمراء والوعد بالأذي في الـنفس والمال وقد إعترف الفكون أن أذاهم قد وصله.

وقد انتقد الفكون اشباه العلماء الذين يتقنون مسألة أو مسألتين ويلبـسون زي الفقهـاء ويفتون بالجهالة ، يحكمون بالرذالة كما إنتقد أدعياء العلـم في الوصـول إلى المناصـب العليـا كالقضاء، واعطانا على ذلك نماذج كثيرة.

ومما إنتقده الفكون الحال الذي وصل إليه التدين والتصوف، حيث ظهرت طائـفة مـن الدجاجلة الكذابين أدعياء التصوف، فتنت بهم العامة وابتعدوا عن العلماء ، واصبح الرجل يكفيـه أن يلبس الرث من الثياب ويعتزل الناس حتى يصبحوليا من الأولياء تجري الكرامات على يـده، يأكلون أموال الناس بالباطل وإتخذوا لذلك مظاهر كثيرة كالوعدات والحضرات ومجالس افنـشاد الصوفي"**استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله، أولئك حزب الشيطان ألا عن حزب الشيطان هم الخاسرون**"

كما تزايدت ثقة السكان العمياء بالأولياء والأضرحة واتخذوهم وسائط بينهم وبـين الله، وتم الإبتعاد المبني على الكتاب والسنة، وعزل العلماء وبذلك تعززت مظاهر الإنحطاط التي أعقبت إنهيار الدولة الموحدية ففي الوقت الذي كانت الكنائس تدافع عن نفسها في أوربا ، كانت الزاوية في موقع الهجوم، وفي الوقت الذي كانت فيه أوروبا تسير نحو العلم والتقنية كان مجتمعنا يسير بإتجاه الانغلاق والتخلف.

ومما وقفنا عليه أن هذه الظاهرة لم تكن محل إنتقاد الفكون وحده، إنما هو واحد من رجال الدعوة السلفية جسدها علماء آخرون منهم عبد الرحمن الأخضري صاحب القصيدة المشهورة(القدسية) وعمر الوزان ومحمد بن سليمان، و أبي الحسن الصغير ومحمد بن مرزوق في رسالته " النصح الخالص في الرد على مدّعي رتبة الكمال الناقص".

وأخيرا نقول أن شخصية الفكون والحديث عنها، هو حديث عن عالم من علماء الجزائر، ولا يخفى ما للعالم من دور في نشر العلم والمعرفة ومحاربة الخرافات والبدع، قال الله عز وجل: " إنما يخشى الله من عباده العلماءُ" وقال :" قل هل يستوي الذين لا يعلمون" وقال أيضا : "شهد الله أنه لا إله إلا هو وأولوا العلم قائما بالقسط" ، وقال أيضا:" أولئك الذين هدى الله فبهداهم إقتده" وقال النبي صلى الله عليه وسلم :" العلماء ورثة الأنبياء".

لقد كان الفكون رحمه الله رغم إيمانه ببعض عقائد الصوفية كالإمان بالقطب والغوث ، وهي عقائد اثبت العلماء فسادها ، يبحث عن الحق ويتحرى الصواب، كما كان شديدا في الدفاع عما يراه حقا، إنتقد أقرب الناس غليه منهم جده لأمه أبي عبد الله محمد الشريف، ومن الذين انتقدهم أيضا محمد الساسي البوني، الذي عده من الدجاجلة وهو ما جعل حفيده أحمد ساسي البونبي يدافع عنه. ومن ابرز الذين تعرض لهم الفكون بالإنتقاد، أحمد المقري ، فلم يعجب الفكون رد المقري وتعليقه على جواب له في مسألة لغوية وإعتبرها تهكم وإستهزاء ورد عليه ردودا لا تليق بمقام الفكون ولا المقري.

أخيرا نقول هذا ما تمكنا جمعه والتوصل إليه فإن وُفقنا فمن الله وحده، وإن أخطئنا فمن أنفسنا ومن الشيطان ، نستغفر الله على ذلك، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

المصادر والمراجع

I - المصادر

أ – المخطوطات :

1 – الفكون عبد الكريم (الحفيد) : " فتح الهادي في شرح المجرادي"

2 – الفكون عبد الكريم (الحفيد) : " محدد السنان في نحور إخوان الدخان"

3 – الفكون محمد عبد الكريم (إبن الحفيد) :" نوازل الفكون"

ب – المصادر المطبوعة :

1. ابن أبي الضياف أحمد :" إتحاف أهل الزمان، بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان" ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الدار التونسية للنشر، تونس 1976، دون ط، ج1.

2. ابن العطار أحمد المبارك: " تاريخ قسنطينة" ، ت رابح بونار، دون معلومات حول الطبع.

3. ابن تيمية أبي العباس أحمد: " قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة" ت عبد القادر الأرناؤوط أدرة البحوث العلمية الرباط، السعودية ط2، 2002.

4. ابن تيمية أحمد: " مجموع الفتاوى" تقديم محمد حسين مخلوف، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت 1976، ج11.

5. ابن تيمية: "اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم" ، دار الحديث للأزهر ، دار الملكية مصر ، دون ت.

6. ابن حمادوش عبد الرزاق الجزائري: "رحلة حمادوش" ، ت أبو القاسم سعد الله ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1983، دون ر، ط1.

7. ابن قنفد أبي العباس أحمد القسنطيني: "الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية" ، ت محمد الشاذلي النيفير ، الدار التونسية للنشر ، 1968، د ، ر، ط.

8. الأندلسي محمد (الوزير السرّاج): "الحلل السندسية في الأخبار التونسية" ، ت محمد الحبيب الهيلة دار الكتب الشرقية، تونس 1973،ج2.

9. ابن مريم محمد التلمساني: "البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان" ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د ، ر، ط ، 1986.

10. أبي راس محمد الجزائري: "فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته"، ت حمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر1990،د،ر،ط2.

11. الترعزيز سامح: "الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية"، ت محمود علي عامر دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1987، 1.

12. التمبكتي أحمد بابا: "نيل الإبتهاج في بتطريز الديباج" ، كلية الدعوى الإسلامية، طرابلس، ط1، 1989.

13. الراشدي عبد القادر القسنطيني: "تحفة الإخوان في تحريم الدخان" ،ت عبد الله حمادي دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان، 1997،ط1

14. الزر كلي خير الدين: "الأعلام" ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط2 ، 1989.

15. الحفناوي أبي القاسم: "تعريف الخلف برجال السلف" مؤسسة الرسالة، لبنان، 1985، ط2.

16. العدواني محمد بن عمر: "تاريخ العدواني" تحقيق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 2005، ط2.

17. العنتري محمد الصالح: "فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها"، مراجعة يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، 1991،د،ر،ط.

18. العياشي أبي سالم:"الرحلة العياشية، ماء الموائد"،فهرسها محمد حجي، الرباط1977،د،ر،ط.

19. الغبريني أبي العباس: " عنون الدارية في فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" ، ت رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، دون تاريخ.

20. الفكون عبد الكريم: " منشور الهداية في كشف حال من أدعى العلم والولاية" ، ت أبو القاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي.

21. القادري محمد: "نشر المثاني لأهل القرن الحادي العشر والثاني" ، ت محمد حجي ، أحمد التوفيق، مكتبة الطالب ، الرباط، 1982.

22. الكتاني عبد الحي :"فهرس الفهارس" ، ت إحيان عباس، دار الغرب الإسلامي ، لبنان 1982، ط2، ج2.

23.الكرمي زين الدين مرعى بن يوسف الكرمي : "شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور" ، ت جمال بن حبيب صلاح ، إدارة البحوث العلمية ، الرباط ، المملكة السعودية،ط2، 2003.

24. الكعاك عثمان :" موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الإحتلال الفرنسي" ، تقديم مجموعة من الأساتذة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 2003.

25. مخلوف محمد: " شجرة النور الزكية في طبقات المالكية" ، دار الكتاب العربي بيروت، ط1، 1349هـ.

26. المحبي:" خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر" مكتبة نباط، بيروت لبنان، دون تاريخ ج3.

27. المراكشي بن براهيم عباس:" الإعلام بمن حل مراكش وآغمات من الإعلام"، طبع المغرب، دون ت ، ج3.

28. المقري أبي العباس أحمد:" رحلة المقري إلى المشرق والمغرب"، ت محمد بن معمر، مكتبة الرشاد، الجزائر، دونط ، 2005.

29. المقري: " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب" تحقيق محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط1 ، 1949 ، ج3.

30. المكناسي أحمد بن القاضي: " جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الإعلام مدينة فاس" ، دار المنصور للطباعة، الرباط 1973، ق1.

31. الوزّان الحسن بن محمد: " وصف إفريقيا " ، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ، الشركة المغربية للناشرين المتحدين 1983 ط2 ، ج1 ، ج2.

II -المراجع

1. أبو عمران الشيخ وناصر الدين سعيدوني: " معجم مشاهير المغاربة " ، جامعة الجزائر، 1665
2. إينالجيك خليل: " تاريخ الدولة من النشوء إلى الإنحدار " ترجمة محمد أرنؤوط ، دار المدار الإسلامي ، بيروت لبنان ، ط1 ،2002.

3. بوحوش عمار : ط " التاريخ السياسي للجزائر منذ البداية ولغاية 1962" دار الغرب الإسلامي لبنان ، ط2 ، 2005.
4. بوداود عبيد : " ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط بين القرنين السابع والتاسع الهجري و13-15 ميلادي " دار الغرب للنشر والتوزيع وهران 2003.

5. بو عزيز يحي : " علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا 1500 – 1830 " ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دون تاريخ.

6. بلغيث محمد الأمين : " دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي " ، دار التنوير ، الجزائر 2006.
7. التميمي محمد خليفة : " حقوق النبي على أمته " ، دار الفتح للطباعة والنشر ، الشارقة ، الإمارات ط1 ، 1997.
8. جوليان شارل أندري : " تاريخ إفريقيا الشمالية " ، ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلامة ، الدار تونسية للطبع ، الطبعة الثانية 1983 ، ج2.
9. جيلالي عبد الرحمن : " تاريخ الجزائر العام " ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1974، ط7 ، ج3.
10. سبانسر وليام : " الجزائر في عهد رياس البحر " ، تعريب عبد القادر زبادية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، دون ، ر،ط 1980.
11. سعد الله : " تاريخ الجزائر الثقافي 1500 – 1830 " ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، ط1 1998 ، ج1 ، 2.

12. سعد الله أبو القاسم : " أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر " ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1990.

13. سعيدوني ناصر الدين والمهدي بوعبدلي : " الجزائر في التاريخ ، العهد العثماني " ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1982 ، دون ر بط.

14. سعيدوني : " دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني " ، المؤسسة الوطنية للكتاب 1984 ، دون ، ر، ط

15. شعيب المهدي : " أم الحواضر في الماضي والحاضر " ، مطبعة البعث قسنطينة ، 1985.

16. شوفالييه كورين : " الثلاثون السنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510 – 1541 " ترجمة جمال حمادنة ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، دون ، ر، ط ، .1991

17. الصيد سليمان : " نفخ الأخبار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار " ، دون معلومات حول الطبع ، ط1 ، 1994.

18. عباد صالح : " الجزائر خلال الحكم التركي (1514 – 1830) " دار هومة ، الجزائر، ط1 ، 2005.

19.العيني محمد : " عبد القادر الجيلاني شيخ كبير من صلحاء الإسلام " ، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1993.

20.الفيلالي مختار بن طاهر : " رحلة الورتلاني " ، عرض ودراسة دار الشهاب باتنة الجزائر ، بدون ت.

21. قايد مولود : " البربر عبر التاريخ من الكاهنة إلى عهد التركي " ، منشورات ميموني ، الجزائر دون ر ط ، 2007.

22. قشي فاطمة الزهراء : " قسنطينة في عهد صالح باي البايات " ، ميديا بلوس قسنطينة ، 2005، دون ر ط.

23. قنان جمال : " معاهدات الجزائر مع فرنسا 1919 – 1830 " ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، ط1 ، 1987.

24. قنان جمال : " نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500 – 1830) " المؤسسة الجزائرية للطباعة ، دون ر، ط ، 1987.

25. المدني أحمد توفيق : "حرب 300 مائة عام بين الجزائر وإسبانيا(1492 – 1792)"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1976 ، ط2 ، ج1.

26. نويهض عادل : " معجم أعلام الجزائر " ، مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت لبنان ط 2 ، 1980.

27. وولف جون : " الجزائر وأوربا " ، ترجمة أبو قاسم سعد الله ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986 ، دون ر ، ط.

رسائل ومحاضرات:

1 – معاشي جميلة : " الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق القرن 10 و 13 هـ/ 16 و 19م ، معهد العلوم الإجتماعية ، قسم التاريخ ، جامعة قسنطينة.

2 – المهدي بوعبدلي : " عبد الكريم الفكون وكتابه منشور الهداية " ، محاضرة ألقاها في يوم الجمعة 07 جانفي 1977 بقاعة كلية الشعب ، قسنطينة.

III - المصادر والمراجع باللغة الأجنبية

3 – BERBUGGER : notes relatives a la révolte de ben SAKHRI, R.A n° 10, 1866.

4 – CHERBONEAU : inscription arable de la provinces de Constantine

5 – DE GRAMMONT H D: relation entre la FRANCEC et la régence Alger a 17eme siècles , revue africaine, n° 23 . 1879.

6 – DEVOULX :la marine de la régence d'Alger , revue africaine n° 13, 1869.

7 – DO HAEDO : « topographie et histoire générale d'Alger au 16eme siècle», traduit de a berbrugger et monnreau , *GRAND ALGER LIVERES ALGER*, 3eme édition , 2004

8 – DO HAEDO : Histoire de rois d'Alger, Traduit de H D DE grammont, Edition Grand Alger livres, Alger 2004.

9 – ERNEST Mercier : élévation de la familles ELFFEGOUN, recueil des notes et mémoires de la société archéologique de constantine, 1878.

10 – ETCHIALI Reda : l'épopée de Euldj – ali rais, le grand KELETCH Ali Pacha 1507 – 1587, edition dehleb, Algérie.

11 – EUGENE Vayssettes ; histoire de constantine sous la domination Turque de 1517–1837, Présentation de Ouarda SIARI, Edition BOUCHENE, France 2002.

12 – GAIDE mouloud ; « chronique des beys de constantine » office de publication universitaire ALGER.

13 – GRONGAND isable ; la ville empruntable une histoire sociale de constantine au 18eme siècle, édition média plus, constantine 2004.

14 – MARTHE et EDMOND gouvion : kitabe Aayane el Maghariba, imprimerie Orientale Fontana, ALGER, 1920.

15 – VENTURE DE PARADIS : Alger au 17eme siècle , R.A n° 39 , 1985.

ق الأول: اربع وثائق تمنح إمتيازات لعائلة الفكون مأخوذة من " صعود عائلة الفكون"
رسي، المجلة الاثرية القسنطينية، 1878.

ثيقة رقم 01:

الحمد لله * ليعلم من يقف على هذا الامر الكريم
الخ من القواد والعمال والخاص والعام ببلد قسنطينة
سدد الله الجميع وبعد فان الشيخ العالم القدوة
التقي الخ الناسك الابر النحرير المولى الخ البليغ
سيدي عبد الكريم الفكون دامت بتوفيق الله عنايته
ونفعنا ببركاته جددنا له على مقتضى ما بيده من
الاوامر فلما كان توجه للارض المشرفة وزار خير
المصطفى عليه الصلاة والسلام بعد استخارة الله
سبحانه وظهر له يتبع طريق امام التحقيق شيخ
الاشياخ العارف بالله المحقق المتبرك به
في الحركة والسكون سيدي احمد زروق نفعنا الله
ببركاته الخ واذنا له بضرب الطبل ويتوجه بالمسلمين
كما كان ويكون رفاس الرسول عليه الصلاة والسلام
لا مانعا له ولا معارض ولا مدافع الخ لانه احق بها
ويقوم بحقها الخ موصى فيما سعى وقلد اليه
واتباع الطريق فيما اقتدى واهتدى والرفق
بالرفيق والشافق المنزل للبيت العتيق يسير
على قدر سيرهم ولا يؤثر البعض على بعضهم الخ
قصدنا بذلك وجه الله العظيم ورجاء ثواب الجسيم
الخ وكتب بامر عبد الله المجاهد في سبيل الله
ابي الحسن علي باشا ايده الله بتاريخ اوايل
رمضان المعظم عام ١٠٤٨ ثمانية واربعين والف
وباوله خاتم به ما قصد اضعف العباد على

الوثيقة رقم 02:

(٢)

الحمد لله * ليعلم من يقف على الامر الكريم الخ من
القواد والعمال والخاص والعام وجميع المتصرفين
بان حامله المعظم الفقيه الخ الاحسب الانسب
ابي عبد الله محمد بن المرحوم الخ الشيخ البركة
سيدي عبد الكريم الفقون نفعنا الله ببركاته الخ انعمنا
عليه وجددنا له حكم الاوامر التي بيده لاخواننا
الباشاوات المتقدمين قبلنا بان يكون في موضع
والده المرحوم المذكور اماما مرضيا وثقة محصنيا
وخطيبا بالجامع الاعظم يصلي فيه بالناس
الصلوات الخمس مواضبا لها ومحافظا عليها
وملازما لها في اوقاتها ويخطب فيه الجمع والاعياد
ويكون جميع تصرف احباس الجامع المذكور من
على داخل البلد المذكور وخارجها على يديه يصرفها
في ضروريات الجامع المذكور في زيت واستصباح
وحصر ومؤذنين وحزابين وكناسين وشعالين
ومستخلف وجميع ما يحتاج اليه من بناء وترفيع
وهدم وما بقي ينتفع به كما هي [illegible]

المعلومة وكما هي عادة والده المذكور وعادة الايمة
المتقدمين قبله وكما هي عادة ايمة الجزاير المحمية
بالله مع حرمه واحترامه الخ ولا يقاس بها يقاس
به غيره وكما يحترمون جميع خدام الجامع المذكور
مع حيلة خماسيه وشركايه بالحرم الداير بها
في ذلك على عادته السابقة المعلومة وعادة
المرحومين اسلافه قبله من غير معارض له في ذلك
الخ انعاما تاما وتجديدا مباركا الخ بحسب من
يقف عليه العمل بما اقتضاه الخ وكتب بامر
عبد الله المجاهد في سبيل الله تعلى الاسعد ابي
الصدق مولانا اسماعيل باشا ايده الله بتاريخ
اواسط صفر الخير عام اربعة وسبعين والف وباوله
خاتم به اسم اسماعيل بن خليل

الوثيقة رقم 03:

الحمد لله * ليعلم من يقف على امرنا الكريم من
القواد الي المتصرفين في الاحوال ببلد قسنطينة الي
اما بعد بان الفقيد الاجل الي اميركب المسلمين
ورفاس رسول رب العالمين سيدى عبد الكريم العفون
لما ان قدم الينا بمكتوب المعظمين المرضيين
برحات باي ورجب باي على انهم وهبوا له
سوق الفواكي والخضر وجميع داخله يكون بيد

السيد المذكور يصرفه في ضروريات الجامع ..
زيت واستصباح وحصر وغير ذلك واصلاح م
غير معارض له في ذلك ولا منازع ولا مدافع ...
هذا عمل من يقف عليه والسلام وكتب بام
عبد الله المجاهد في سبيل الله مولانا ابو العلا.
مراد باشا ايده الله بتاريخ اوايل شوال عا
ستين والف * وبا وله خاتم فيه مانصه اضعف

العباد مــراد

الوتيقة رقم 04

(٤)

الحمد لله * ليعلم من يقف على كتابنا هذا بمقتضى
امر مولانا الباشا نصره الله من الفواد الخ ببلد
قسنطينة الخ بان حامله المعظم الفقية الخ امير ركب
المسلمين ورفاس رسول رب العالمين السيد المولى
والسند الاعلا الحاج المبرور البركة الشيخ محمد بن

المرحوم السيد الحاج عبد الكريم الفقون الخ جددنا
له بان يكون اميرا مرضيا وثقة محضيا وامينا زكيا
على ركب المسلمين ورفاس رسول رب العالمين ينظر
في امورهم وكافة شؤنهم ومأربهم فعلى كافة اهل
ركب المسلمين المذكورين المتوجهين معه قاصدين
البقعة المشرفة على صاحبها افضل الصلاة وازكى
التسليم ان يكونوا كلهم عند نظره وسمعه وطاعته
بحيث لايخرج احد منهم عن امره ونهيه ويكون
مسموع القول عندهم نافذ الحكم فيمن يستحقه منهم
ويجري في ذلك على عادة والده المرحوم المذكور
وعادة من تقدم من المعظمين السادات الابرار
الاجلة الاطهار امراء اركاب المسلمين المتقدمين
قبله في اخذ عوايده وفوايده كما هي العادة المعلومة
والطريقة السابقة المتعادة واذنا له بحسب التنفير
حيث اراد المسير لزيادة قبر المصطفى البشير النذير
يوذن في الناس بالحج بضرب الطبل سعيا لمن

اراد يتودى العريضة الى الاماكن العلية الشريف
لامانع له في ذلك لانه احق بها لكونه من اهله
ويغرم بحقها ؞ قال صلى الله عليه وسلم لا تعطوا
الحكمة لغير اهلها فتظلموها ولا تمنعوها من اهلها
فتظلموهم الخ ماضيا فيما سعى وموصى ابناء
طريقة من به اقتدى واهتدى مع الرفق بالرعية
والشفقة بالمنزل للبيت العتيق بسير على قدر
سيرهم ولا يدنى البعض على بعضهم الخ قصدنا
بهذا الخ مع حرمة واحترامه ورعيه واكرامه وحفظ
اجنابه بحيث لا تهتك له حرمة ولا يهضم له جناب
الخ وكما يحترمون جميع خدامه واصحابه وحاميه
وشركايه بالحرم الواجر وكما ان جميع ما يدخله من
باب البلد المذكور او يخرجه مسرحا من قايد الباب
ولا تهتك له حرمة ولا يصله احد باذاية ولا بكروه
جريا في ذلك على عادته وعادة اسلافه قبله من
غير معارض له تجديدا تاما الخ وكتب عن اذن

المعظم مصطفى اغا الجيش المنصورة بالله تعلى
بتاريخ اواخر رمضان عام خمسة وخمسين والف
وخلفه طابع به ما نصه طالب اللطف
مصطفى بن خليل

الوثيقة رقم 05:

السنة المحمدية على صاحبها الخ يامر بالمعروف
وبالجود والحلم موصوف يطعم الطعام ويصلح
بين الانام محب لاهل الخير والصلاح والرشاد
مبغضا لاهل الشر والفساد واهب بنفسه لله تعالى
باذلا ماله في سبيل الخير فيجب ان يحرس
بعين العناية ويحاشا بالحماشات التامة
ويواجه بالقبول والبشرى عند الخاص والعام
كل ذلك منا لانصاحه بما ذكر وكونه من سلالة
الصلحاء الابرار الفقهاء الاخيار العارفين بالله
المحسنين لمارمد الخائفين من عقابه اذ موالات
العلماء والاولياء واكرامهم واجب على كل الانام
من له تعلق بنسبه عليه افضل الصلاة الخ ولكونه
اماما مرضيا وخطيبا مرشدا وواعظا محظيا
الجامع الاعظم الكائن بالبطحا المشهور بجدة
[illegible] الجمع والاعياد محافظا عليها
[illegible] الناظر على الجامع المذكور

(5)

الحمد لله الخ * هذا ظهير كريم الخ اظهر على
المستظهر به ملابس العز الخ [illegible] من يقف عليه
من الباي لار والعلماء الاعلام والاعيان والخليفات
وساير من له تصرف في البلاد من العرب والاجناد
سدد الله الجميع الخ اننا انعمنا على العالم الاجل
الخ الشيخ الفاضل ابى عبد الله السيد محمد الشيخ
نجل الفقيه الخ المرحوم المنعم السيد عبد الكريم
المذكور وجددنا على مقتضى ما بيده من اوامر
ساداتنا الباشاوات واخواتنا الباي لار السالفين
المتضمن كونه اميركب الحجاج ووقاف صاحب
المعراج سيدنا محمد صلى الله الخ بمقتضى
الترسلية الصالح وتمسكوا بمنهجهم القويم
الواضح عدل في سمته مرضي في افعاله متسم
بسم الهادي متحلي بالاعتدال الحميدة [illegible]

الوثيقة رقم 06:

ريبا وابن السبيل وان جميع الهاربين لها
الحالين بساحتها لهم الامان والعافية والاحسان
والذنب الكبير من الذنب لا يخرجه احد منها
ينتهك حرمتها كما جرت بذلك العادة
القديمة والطريقة السالفة المستقيمة وكذا اوصينا
على كافة خدامه بزاوياه مثل اولاد جبارة وبني
ونتين والثوارة وجميع خماسه الخ ولا يقربهم احد
باذاية ولا بمكروه الخ ولا يطلب الباي لا ر زواياه
شيء من المطالب الخ انعاما تاما وتجديدا
باركا الخ * والسلام من الفقير لربه عبده احمد باي
لطف الله به * اواخر محرم الحرام فاتح شهور
سنة ١٢٤٢ وبجنبه خاتم السيد الحاج احمد
بن محمد الشريف بـــــــــاي ١٢٤١

V.

Louange a Dieu etc.,
Ceci est un diplôme généreux, etc., conféré à celui
en est l'objet, celui qui est revêtu de gloire, etc.

— ٢٤٤ —

ومواقفه كالزاوية الكائنة بواسي الخرازين وجميع
اوقافها والحسب المشهور بحزب بن محسن
واوقافه كلها بيده وهو المستخلص لغلة اوقاف
ما ذكر ويصرفه على يده في مهمات الجامع
المذكور والزاوية بصلح ما يحتاج الى صلاحه
ويكمل ما يخصه من الفرش والماء والزيت
للاستصباح ومراتب المؤذنين والطلبة الذين
يقرؤون الحزب والمؤذنين وغيرهم مما هو مشهور
ومعتاد وما فضل من ذلك يصرفه في مصالحه
وحوائجه وشاربه جاريا في ذلك على عادة
اجداده الاكرمين واباءه المرحومين ولا مدخل
لاحد غيره في ذلك مع الاعتناء عليه بالحرمة
والاحترام والمبرة والاكرام واحترام داره بالحرمة
الكاملة وحفظ من استجار بها كعادتها من سالف
الزمان وهي ملجا للهاربين ومقصد للخائفين
وامنا للمستامنين وماوى للفقراء والمساكين

الملحق الأول: الورقة الأولى من مخطوط: "محدد البسنان في نحور إخوان الدخان"

قال الشيخ الورع الحافظ العالم العلامة سيدنا وبركتنا
ووسيلتنا إلى ربنا الشيخ الرباني والفرد الصمداني
سيدي عبد الكريم الفكون نفعنا الله ببركاته وأعاد
علينا من نفحاته آمين

[illegible]

[illegible]

[illegible] الشيخ الامام العلامة المحقق الفهامة الوحيد
بالجامع المتفنن أبو محمد عبد الكريم الفكون رحمه الله تعالى

الحمد لله الذي رفع راية الاسلام لما نصبا واثبات الاعلام وخفض جند الكفر فحين جزم ترهات اهل
الاضلال جعلت جملتهم صغرى وان كانت كبرى فيما بينهم من اباطيل الكلام فاصبح الدين في اورى زنده و
انقشع عن الارض ظلام الكلام احمده وله الحمد الكامل التام واشكره على ما من به من الانعام واشهد
ان سيدنا ومولانا محمدا ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تكون لنا عدة يوم يشتد فيه الزحام
واشهد ان سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله افصح الانام وبدر التمام اعرب عن معاني الشرع واوضح مبانيه
في كل مقام صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم تسليما ما انسلخ نهار من ظلام وسلم اللهم عليهم افضل سلام
اما بعد فقد طلب بعض الاحباء في الله المنتمين اليه الراغبين في ابداء العلم ونشره للمسلمين ان اضع
له تقييدا على نظم ابي عبد الله المرادي الذي وضعه في بيان الجمل وحكمها مجتنبا فيه التطويل في موضع البحث
الا الامر ما ليس فيه صلاح يوضح عبارته ويبدي رموزه واشارته مقتصرا فيه على الايضاح والافصاح
تقريبا للمبتدي وتذكرة للمنتهي فلم اجد الا مساعفته وان كنت في شغل بال وعدم ملايمة الحال للمقال
واختلاف اهبة السفر لمن تشد اليه الرحال فاسعفته رجاء بركة نيته واخلاص طويته واغتنام في الدعاء التام
في خلوته وجلوته ورجاء من المولى الاجابة على ابداء العلم وتحوينه وان ينفع به في العمر والحشر والولد وتكثيره
وان ينفعني به ويجعله نافعا شافعا ولكل طرف الدارين دافعا وهو حسبي ونعم الوكيل وسميت هذه
العجالة بفتح الهادي في شرح المرادي وانا اعتذر بما انا فيه من مو الات الاسقام واعتلال على توالي
الايام مع ما انا فيه من ايلام وتشتيت الفكر وكلال الذهن مما هو ادهى وامر على اني لم اطلع بشرح
اعتمد عليه ولا ابرز كلامه الا عند تعليقي عليه والله الهادي والمستعان وعليه التكلان
[illegible] ثم [illegible] [illegible] [illegible] بعوث [illegible]
[illegible] [illegible] ابتدا كتابه بحمد الله تعالى اقتداء بكتاب الله الوارد على هذا الاسلوب وامتثال
الحديث الوارد في الامر بالبداءة في قوله صلى الله عليه وسلم تسليما كل امر ذي بال لا يبدا فيه بالحمد لله فهو ابتر
والحمد هو الثناء بالكلام على المحمود سواء تعلق بنعمة او غيرها فالثناء جنس وقولنا بالكلام يخرج ما وقع بغيره
من الافعال فلا يسمى حمدا وما بقي من الحد بيان لماهية الحمد فما اورد بعضهم عليه من دور الاشتقاق و
لزوم التكرار فيه لزعمه ان الثناء مشتق من التثنية فقد اجاب عنه غيره من تواليفنا والاتيان به هنا يخرج
عن المقصود وقولنا بالكلام احسن من عبارة بعضهم باللسان لشموله الحمد القديم والحادث كما نبه عليه
الشيخ السنوسي وغيره [illegible] الواقع في عبارة المصنف الحمد لله او حمدت الله او احمد الله وكل هذه
العبارات وليست من الحمد المطلوب في شيء فلا وقع في تعبير الامام ان حمد الله تعالى ليس عبارة عن قولنا الحمد
لله فان ذلك اخبار عن ثبوت الحمد لله تعالى والاخبار عن الشيء مغاير لذلك الشيء بل حمده عز وجل عبارة

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الكمال [illegible]
بالجوارح ان ياتي بفعل يدل على كونه موصوفا بصفات الكمال وفي الثناء ان قولي لكونه مما يتعدى و
لفظ الحمد ونحوه خبر محتمل للصدق والكذب لا ينصرف الى الانشاد الذي هو حقيقة الحمد الا بنية اوعرف
ومع فقد هذا لا يكون حمدا واختار الناظم الجملة الفعلية حمدا لله تعالى دون الاسمية الكثرة والية
ذلك بنفسه واتبارا وكان صيغة الماضي لكونه داخلا في الانشاء كبعت واشتريت واعتقت ونحو وقوله
ثم صليت اولا اعقب الثناء على الله بالصلاة على نبيه المصطفى لانه السبب في اشطار النعم وابدائها وهو
الواسطة العظمى بين المولى جل جلاله وعبيده فكان اجدر واحق بطلب هذه الكرامة له وفيها مع
ذلك غاية الامتثال المامور بها وناهيك من فضيلة شرعها المولى بابدائها بنفسه وثنى بملائكته قدسه
فقال وهو اصدق القائلين ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما
واعلم ان الصلاة من المولى على نبيه زيادة تشريف وانعام وتبجيل واعظام والكلام في هذا الفصل يطول
الايجاز ومن اراد الاستقصاء فعليه بشرحنا فتح المالك على الالفية ابن مالك فان قلت قول الناظم ثم صليت
اولا يقتضي بظاهره ما العطف بمقتضى الحال وذلك لان ثم تقتضي تاخر رتبة مدخولها على ما قبلها لما فيه
من الترتيب والمهلة كما تقرر في محله وقوله بعد ذلك اولا يقتضي البداءة والتصدير والا لما كان اولا
فسواء اضافي لا يتحقق الا بغيره فيكون مبدوا به وغيره ثانيا له لحقوا وليته فلت اراد بقوله اولا
ما قبله من الثناء على الله تعالى ما عرف ذلك وقوله على سيد الرسل الكرام ذوي العلا وصف من السيد
الاولية الاضافية لا المطلقة وذلك لانه اولا بالنسبة لما بعده من كلمات الناظم وان كان ثانيا بالنسبة
واصله سيود قلبت الواو ياء لاجتماعهما وسبقت احداهما بالسكون على ما تقرر في التصريف وهو من له
السودد وهو الشرف والكمال وفي اطلاقه خلاف والكتاب والسنة دالان على جواز ذلك وما ورد في
بعض الاحاديث من النهي ماول ولسنا بصدده والرسل جمع رسول فعول بمعنى مفعل والرسالة هي عبارة
عن اتصال خطاب الله بالرسول فانه نامر الدين وليست بصفة ذاتية وهي ماخوذة من المتابعة يقال
الله ابتدائتابع ذكره ولمن رام ان يخرج عما فيه على سلك اي تابع طائفة فيه مما كنت فيه فسمي بذلك الرسول
لتتابع عمله ووصف الناظم نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم تسليما بانه سيد الرسل لما ورد في الحديث انا سيد
للمرسلين وثبتت سيادته صلى الله عليه وسلم تسليما للخلق عامة في غير ما حديث وخبر وسيادته للرسل كما في
النظم تستلزم سيادته للانبياء الذين هم دونهم لان الرسول اخص من حيث اختصاصه بالتبليغ والنبي اعم لانه
مخبر عن الله فحسب والتفضيل على الاخص تفضيل على الاعم والخلاف شهير بين العلماء في ترادف النبي والرسول
ام لا وما ذكرناه هو المشهور والاحتجاج للمذهب فيخرج عن المقصود وقد ذكرنا بعضه في غير هذا وقوله
الكرام جمع كريم والكرم كل الكرم اللائق بالخلق التقوى قال الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وما دون ذلك
كرم يسير كل الكرم اذ المعصوم من الكرم المتصف من جميع المعايب كلها قلبا ونفسا وهذا الكرم الذي
هو اعلى مراتب الكرم واما الكرم النفساني فهو كثير جدا في العرب والعجم وقد حاز الانبياء من التعيين

الملحق الثاني: الورقة الأولى، من مخطوط فتح الهادي في شرح المرادية

كتاب النوازل للعالم
العلامة المدرس
المفتي الشيخ سيدي
محمد بن عبد الكريم بن محمد
ابن عبد الكريم العقوني التميمي
رضي الله عنه
ونفعنا به آمين
وقد ضاع أول الخطبة
ورقة واحدة لا غير
والله الموفق
هذا بخط بن ابنه
سيدي محمد رضي الله
عنهم أجمعين ونفعنا
بهم آمين

من ... ابن ...
سئل الوالد رحمه الله عن قول الشيخ الطريقة عبارة عن نقل شيخ ودينه
برز المذهب على ما نقلوه مع قول ابن الحاجب وفي ان الذي اقتصر ... ثلاثة
هي في الأولى لابن القصار والتلقين والرسالة الثالثة للجلاب وشرح الرسالة انظر
كيف نقض نفسه بما قال الدار ابن الحاجب لان التلقين هو لعبد الوهاب وهو ايضا
الشارح ... قال الاختلاف في الوجوب ومن قال الاختلاف في السنة وابن
الغاية الموصلة فبان بطلان ما يقول ابن الحاجب وانظر كيف ... التنبيه
الشيخ ولم يعرج على شيء أصلا ومثلها كثير وكذلك قول ابن الحاجب
النية على الأصح في الوضوء مع ما في الغسل انها واجبة وجوبا لا نزاع
فيه والوضوء أقوى تعبدا من الغسل إذ ليس فيه الا تعميم الغسل من القدم
والوضوء في أعضاء مخصوصة وفي أوقات مخصوصة ولعبادة مخصوصة
وهذا كان العكس أولى وأيضا النية في باب الوضوء مختلف فيها
وفي باب الذكاة متفق عليها مع أن الذكاة شيء عن لسد الخلاف فهي أقرب
للمعقولية من الوضوء وان كان الحنفي يقول لا نية فيه لانه عنده من باب
النظافة أعني نظافة الادران والأوساخ ونحن نقول من باب النظافة
أيضا الا أن النظافة نظافة الذنوب فهي أقوى فلذلك وجبت النية في
الوضوء وأيضا من شروط المؤذن الإسلام مع أن الاعلام يصح من الكافر
كالفاسق بالجوارح إن قلنا من باب الخبر لا من باب الشهادة وهذا مسلم
لما قصده وتلفظ بما يحصل الإسلام والاعلام كوضوء الكافر وصلاته
ودخوله المسجد فانما تدل على الإسلام مثل صلاته الا أن يدعي الخوف
وأيضا ابن القاسم يقول لو أجمع على الإسلام واغتسل به أجزأه غسله
عبادة إن قلنا بالجنب ولا يغتسل لان رفع حدث الجنابة لا يصح من الكافر
لان نيته قربة والقربة لا تصح من كافر ... رحمه الله وعفى عنه
الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليما. تأملت ما أورد تموه عنه سالتم
فاعلم شرح الله صدرك وصدرنا بأنوار العرفان وفتح بصائرنا بمفاتح المواهب
الربانية والكشف والتبيان أما المسألة الأولى فلا دخل على الشيخ خليل

... عفى الله عنه ... العقوني ... رحم الله الجميع ونفعنا بهم آمين

الملحق الثالث: الورقة الأولى من مخطوط "نوازل العقوني" لمحمد العقون

الملاحق

الملحق الخامس:

فهرس الأعلام :

- أ -

- ب -

الموضوع: طلب دعم مادي

بعد التحية والتقدير اللائقان بمقام سيادتكم المحترمة وقدركم العالي يشرفنا أن نتقدم إليكم بطلبنا هذا والمتمثل في طلب دعم مادي ملح في الظرف الحالي وهذا من أجل كراء مقر للمكتب الحركة على مستوى الولاية والذي سوف يكون وسط الولاية وهذا بغية تمكننا من الاستفادة من الاتفاقيات

) المعطات من طرف مجلس الشعبي البلدي و مجلس الشعبي الولائي ، مديرية الشباب والرياضة وهذا بعد المجهودات و الأعمال المقدمة و المشرفة كإحتلالنا المرتبة الأولى أي الإنجازات مع الشركاء من مديريات ولائية ، كمديرية سونلغاز ، مديرية البيئة ،مديرية التجارة ، مديرية محافظة الغابات وذلك نظرا لامتلاكنا مكاتب بلدية نشطة .

الأعمال المنجزة من طرفنا .

- مديرية السونلغاز : التحسين والتوعية بالمقابل الأولوية لنشطائنا في مناصب العمل.

- مديرية البيئة: الدورات التكوينية في مختلف المجلات + عتاد كامل قيمته 50.000.00دج جديدة.

- مديرية التجارة : التحسين والتوعية ،مقابل الأولوية لنشطائنا في مناصب العمل .

مديرية محافظة الغابات: التحسين والتوعية ،مقابل الأولوية لنشطائنا في مناصب العمل .

كما نحيطكم علما سيدي أنه ثمن حرماننا في هذه البيئة من 3 إتفاقيات مؤكدة بمبلغ إجمالي مقدر بـ : 550.000.00 دج وهذا من طرف مجلس شعبي البلدي . 300.000.00 دج مجلس الشعبي الولائي بـ 100.000.00 دج ومديرية الشباب الرياضة بـ 150.000.00دج وبما أننا التنظيم الوحيد الذي يقود كل التنظيمات و الجمعيات على مستوى الولاية نطلب منكم سيدي الفاضل دعمنا ماديا بمبلغ 200.000.00دج لكراء مقر للمكتب الولائي .لمدة حتى نتمكن من الاستفادة من الاتفاقيات المعطات من طرف المجالس والمديريات كما هو متفق ، يتم إسترجاعه عند الاستفادة .لسيادتكم لتدعيم مكاتب آخرى هي في حاجة إلى تدعيم.

كما أننا قمنا بإنجاز 7 لافتات من الحجم الكبير للقيام بأعمالنا على مدار السنة بـ (70.000.00دج) وهذا من أملاكنا الخاصة ــــــــــــــــ وتمهيدا للحزب المقبل آلاو هو (حزب الشباب الحر) نكون قد مهدنا له من خلال امتلاكنا مقر مجهز وقابل لتمثيل حزب مستوي وفعال على الساحة السياسية التي نحن نتحكم في زمام أمورها محليا بمعرفتنا للسلطات المحلية كاملة .

في الانتظار رد سريع وإيجابي تقبلوا منا فائق الاحترام والتقدير .

الآمين الولائي

فهرس الموضوعات